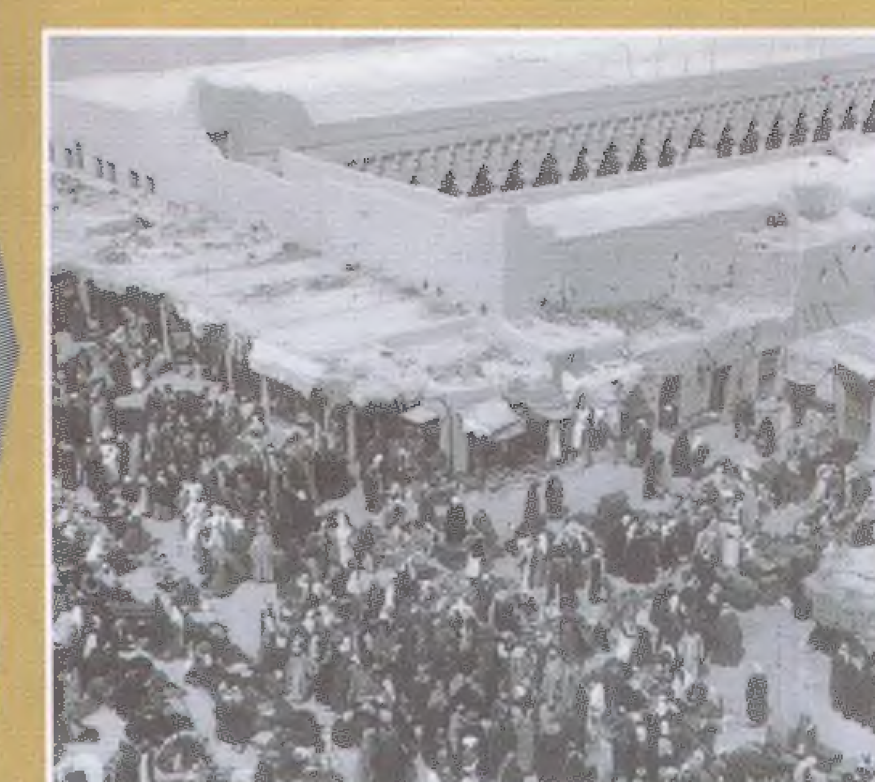
تراث

شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
العدد ٤٤- ربيع الثاني ١٤٢٣هـ - يوليو ٢٠٠٢م



إحياء المدن التاريخية في العالم



الشاعر
علي بن رحمة الشامسي
ونصف قرن من الشعر




مقتنيات وتحف تراثية تحت سقف واحد


السلوقي .. الجناح المنسي في قصص القنص

بيوت الكويت القديمة

أبيات شعر في دفتر الحساب





قلعة الجاهلي التي بناها الشيخ
زايد الأول عام ١٨٩٨م في العين

تراث

مجلة شهرية ثقافية منوعة

تصدر عن نادي تراث الإمارات

السنة الرابعة - العدد (٤٤)

يوليو ٢٠٠٢

المراسلات:

نادي تراث الإمارات، ص.ب: ٢٧٧٦٥ أبوظبي

الإمارات العربية المتحدة، هاتف: ٤٤٦٦١١٦

فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)

بريد الكتروني

email: turathmag@yahoo.com

ثمن النسخة

الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات

البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة

مصر: ٣ جنيهات، اليمن: ١٥٠ ريالاً

الأردن: دينار ونصف

الدول العربية دولار أمريكي واحد

أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

مندوبو تراث:

- القاهرة: عبد العال الباقوري
  محمول: ٠١٢٣٥٥٩٢٣١
- اليمن: أحمد العليمي
  هاتف: ٢٨٢٦٢٦ صنعاء
- الأردن: د. ثابت ملكاوي
  تليفاكس: ٥٣٣٧٩٥١ عَمّان

الاشتراك السنوي

للأفراد ٦٠ درهماً،

للجهات الحكومية: ١٢٠ درهماً

وتضاف رسوم البريد للاشتراك

من داخل وخارج الدولة

التجهيز الطباعي

قسم الإعلام - نادي تراث الإمارات

في هذا العدد

أهلاً بكم

ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:

- أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.
- أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.
- زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. ونعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.
- التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.
- المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.
- المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات - التي لم تنشر - إلى أصحابها.
- قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.

أول القرطاس

في السباق العالمي نحو الهيمنة وامتلاك عنصر القوة، تتجه معظم خطط التعليم إلى التقنية الحديثة وأسبابها، ويكاد الاهتمام يتركز على العلوم التطبيقية، أو العلوم الدقيقة، كما يحلو لبعض أهل الفكر أن يسميها. ويحتج أهل الفكر على هذا التوجه لأنه يهمل العلوم الإنسانية، ويتجاهل جوانب الإبداع غير المادي، ويدير ظهره إلى احتياجات الإنسان ومجتمعاته لأسباب الحياة النفسية والمعنوية.

وإذا كان هذا الجدل يدور في البلدان المتمكنة من التقنية، التي قطعت أشواطاً طويلة في سباق العلوم الدقيقة، وهي التي تملك مخزوناً كبيراً من الإنجازات على صعيد العلوم الإنسانية، ولا تزال تهتم بالعلماء والمختصين في وجوه الثقافة غير المادية، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، والفنون الجميلة، والآداب، وتنفق على إنتاجهم الملايين .. إذا كانت الشكوى بتهميش العلوم الإنسانية تصدر من تلك البلدان، فإن مع البلدان والمجتمعات التي لا تزال تستورد التقنيات الحديثة، وتتعيش على موائد الدول المتقدمة يأخذ مساراً آخر تماماً، فالكلام كثير عن التقنية وأسبابها وضرورة «مواكبة العصر» فيها، والواقع فقير لا يجد إلا القشور، وكأن التقنية بكل تفاصيلها قد تم اختزالها في برنامج حاسوبي.فنحن لم نصل بعد ليكون عندنا علم اجتماع عربي، ناهيك عن علم اجتماع محلي، ولا توجد عندنا خصوصية في علم نفس يسبر أغوار النفس العربية وتقلباتها وانتكاساتها، وأسباب القوة والضعف فيها. ولا نكاد نمتلك قراءة موحدة، أو حتى قراءات متقاربة لتاريخنا ..بل إن الكثير من أقطارنا العربية لا تملك تاريخاً مكتوباً بالشكل العلمي المتعارف عليه،أما الأدب وإبداعاته فقدأصبحت بقاياه تقتفي أثر الغرب وتصنيفاته، فنكاد لا نسمع إلا صدى خافتاً ومشوهاً لصوت نعرف من أين يأتي.

وبعد هذا كله نرى التنافس محموماً على الدعوة للانخراط في العلوم التطبيقية، وازدراء العلوم الإنسانية، دون أن نعرف أن الفلسفة بحق هي أم العلوم، وأن العلوم المادية بدأت بتحفيز القدرات المعنوية لدى الإنسان والتمكن من هندسةما بداخله، واستشراف توجهاته. فلا نحن طلنا من العلوم التطبيقيةوأسباب التقنية غير عناصر لا تزيد على كونها فنية تنفيذية غير مبتكرة ولا مؤلفة، ولا نحن استحضرنا موروثنا النظري الهائل لنبني عليه، ولا استفدنا من تراثنا العلمي الإنساني الثري لنجعله منصة انطلاق لتأسيس علوم إنسانية خاصة بنا.

ولهذا تتوه العملية التعليمية في بلادنا وكافة بلاد العرب، وتظل سياسة التعليم بلا سياسة، وتشتكي المناهج بأنها تفتقر إلى منهج.■

عادل محمد الراشد

اقرأ أيضاً

■ المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.

■ عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.

■ ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.



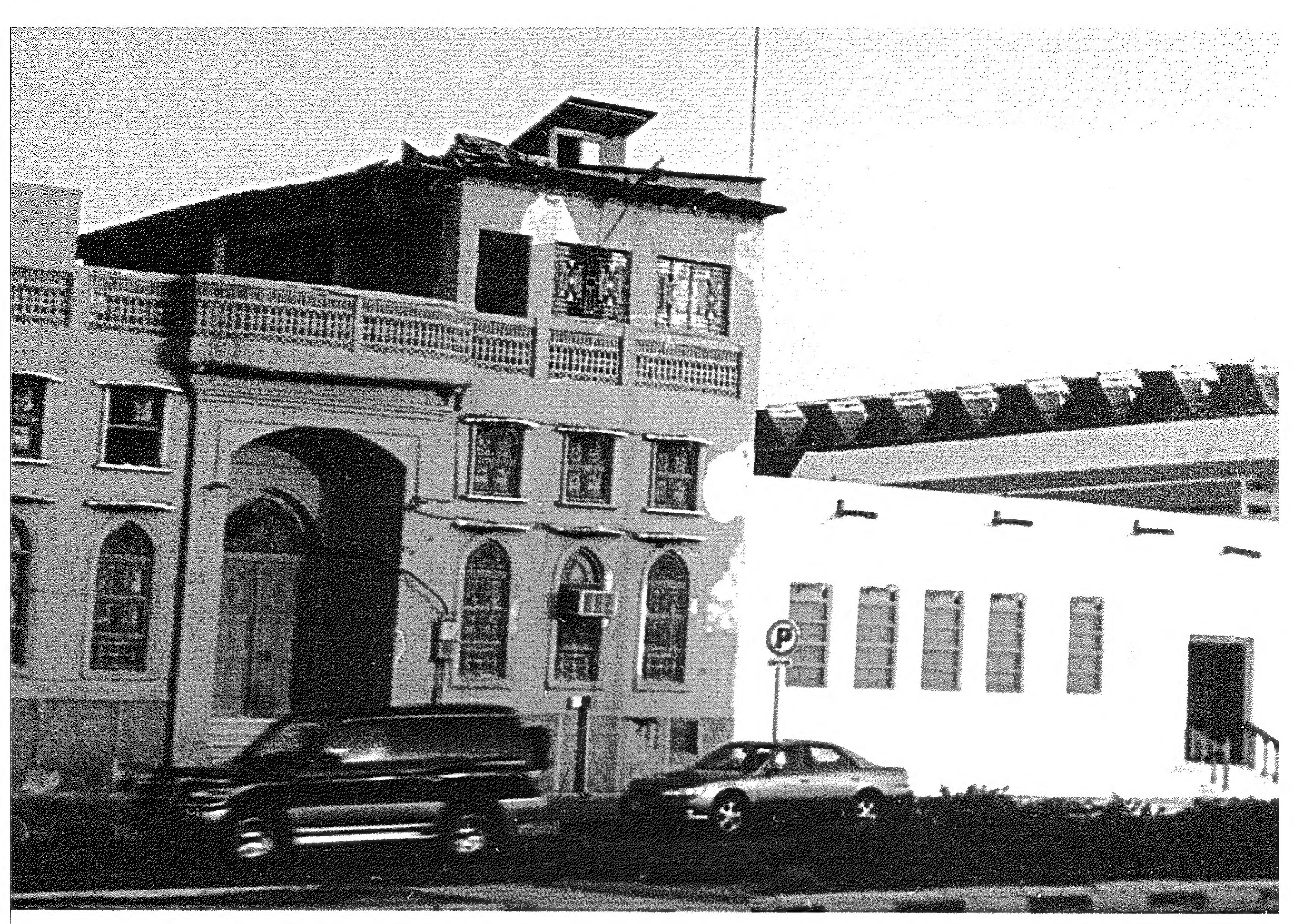
بيوت الكويت القديمة.. أبيات شعر

■ جمال مشاعل

للمنزل أينما أقيم قراءات وتحليلات أبعد من كونه مجرد مأوى للإنسان يحصنه ويحميه، أو مكان يجتمع فيه أفراد الأسرة لينعموا بالأمان والراحة، مع أن هذه الأمور تأتي في المرتبة الأولى من حيث أهميته، ولعل نظرة سريعة إلى أي منزل تشي بواقع أصحابه أولا، ومن ثم بعادات وتقاليد المجتمع، أليس المنزل لبنة في بناء المجتمع وهو أيضا انعكاس للبيئة الطبيعية فهو جزء من البيئة التي تحيط به، وقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك حين يتفحصون الفنون المعمارية فيه، والتي تعكس مدى الرقي الذي سمت إليه المنطقة أو الحقبة التاريخية التي ازدهر المنزل خلالها.

بتمهل كانت السيارة تتهادى على شارع الخليج وأنا متوجه إلى (المرسم الحر) في بيت الغانم، لم أكن قاصدا معرضا أو ورشة فنية، وإنما كان غرضي زيارة المنزل نفسه، فهو من البيوت التراثية في الكويت تم استغلاله لرعاية الفنون التشكيلية وأطلق عليه المرسم الحر منذ عام ١٩٦٠م.

أستعرض صفحات من تاريخ الكويت فتتبدى الطرقات في الماضي غير معبدة، أكثرها ضيقة ملتوية وغير مستوية، مرملة ومتربة يتوجب على الماشي أن يتنحى جانبا إذا ما واجه بين الفينة والأخرى جملا محملا بالقش، وهذا من المناظر المألوفة، وعلى طول الطريق تتلاصق مساكن الكويتيين التي تتسم بالبساطة ورقة الحال، وأكثرها مكون من طابق واحد فقط، ورغم ذلك تبدو عالية لارتفاع جدرانها المبنية كحواجز على مدار السطح، ولكن أين الأمس من اليوم، فالمواقع الأثرية غدت وسط حداثة الحاضر وماوصلت إليه البلاد من تطور كأبيات شعر في دفتر الحساب.



واجهتا بيتي البهبهاني والبدر المطلتان على شارع الخليج

في دفتر الحساب !

في ضيافة.. الغانم

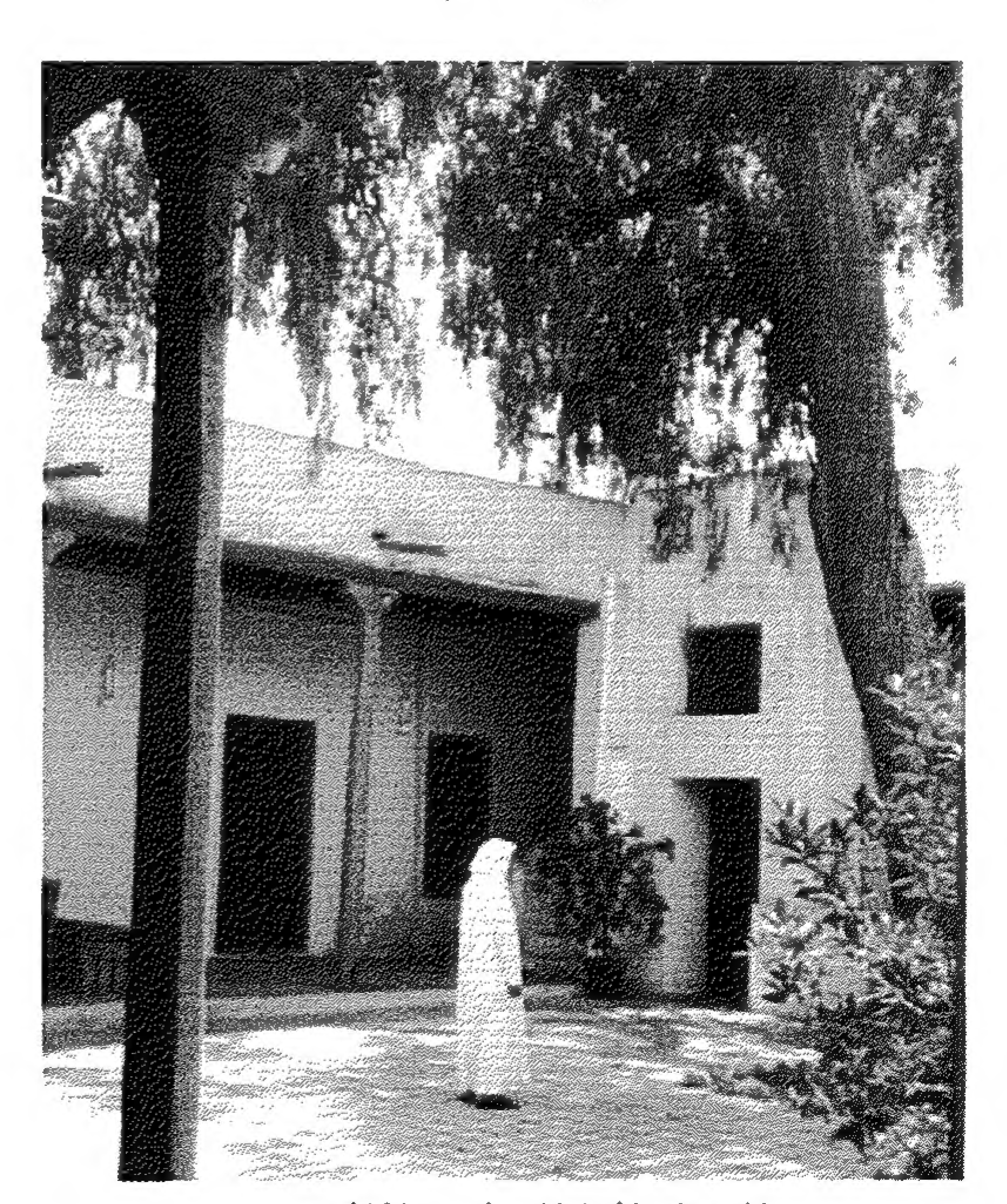
أنعطف إلى اليمين مخلفا مياه الخليج ورائي فأصير مقابل باب بيت الغانم الذي أنشئ من صخر وطين سنة ١٩١٩م على مساحة بلغت ١٩٣٧مترا مربعا، أقف قليلا متأملا المدخل لأعرف أنني أدخل من الباب الذي كان مخصصا للحرم، أيام كان البيت آهلا بأصحابه من آل الغانم، وذلك قبل عام ١٩٥١م، وبما أن هذا البيت نموذج حقيقي للعمارة الكويتية القديمة بملامحها الأساسية فمن الطبيعي أن يكون مقسما إلى عدة أحواش أهمها حوش الديوانية أو مضافة الرجال ولها مدخلها الخاص المطل على شاطئ الخليج العربي، ويؤدي إلى دهليز قصير ينفتح على الشرفة المسقوفة المعروفة بالليوان، ومن ثم حوش الديوانية، في الجانب الأيسر ترتفع الدكة المغطاة بالجص وبعدها مدخل أو مداخل الديوانية، ولها خمسة أبواب خشبية تعلوها شراعات زجاجية نصف دائرية مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بزخارف خشبية على هيئة منحنيات أضلاع تأخذ شكل المقعرات والمحدبات، وتطل الأبواب بمجملها على الليوان المتصل بالديوانية أو بالمضافة، ليوان آخر يطل على الحوش المكشوف، وهو مرتبط بغرفتين إحداهما مستودع للأغذية وأخرى غرفة نوم للزائرين من ضيوف وعابري سبيل وقد ألحقت بهما مرافقهما الضرورية، وقد طرأ على هذا التقسيم بعض التغيير البسيط حين مسحت عليه يد الترميم والتطوير.

يتوسط حوش الديوانية المربعة الشكل والمغطاة بالبلاط الآجري الأصفر بئر مغطاة كانت تتجمع فيها مياه الأمطار للشرب، وأعمدة الحوش بعضها قد زينت بالتيجان وبعضها بدون تاج، ويربط حوش الديوانية ممر ضيق بحوش المعيشة المعروف بالحرم والقابع في الجهة الشمالية الشرقية، كما يؤدي الممر إلى حوش المطبخ في الجهة الجنوبية الشرقية.

و إذا كنا دخلنا من باب الحرم، فإننا بطبيعتنا



بيت الغانم



الحوش الداخلي لبيت الغانم

المشرقية استهوانا حوش الرجال فبدأنا منه ثم عدنا فسلكنا المر الضيق لنعود إلى حوش المعيشة الأكثر حيوية وحركة فمن جهاته الأربع تطل اللواوين الرحبة المحمولة على الأعمدة الخشبية والدعامات المبنية من الطوب، أرضه مغطاة بالبلاط الآجري الأصفر أيضا، ومن وسطها تنبسق شجرة كينا كبيرة تداعب وريقاتها بعض النسمات الساخنة، وتدب بين فروعها الحياة ليس من خلال حفيف أوراقها الخضراء فحسب وإنما من خلال زقزقات العصافير أيضا، وبالأخص في سويعات الصباح والمساء حيث تنكسر حدة أشعة الشمس، ثلاثة سلالم تؤدي إلى السطح الذي يأوي إليه أصحاب المنزل طوال فترة الصيف وأيامه الحارة.

ثمان حجرات تطل على حوش الحرم جميعها أنيقة وفسيحة، وقد أعدت إحداها لاستقبال النساء، وقد ألحقت بها المرافق الضرورية كالحمامات في الغرف المعدة للنوم ويلفت النظر عدم وجود الشبابيك المطلة على الخارج، وهذا يشير إلى الحياة المحافظة في البيت الكويتي القديم.

ثالث الأحواش المطبخ وهو الأكبر مساحة، والدهليز الذي يؤدي إلى بابه الخارجي هو الدهليز الأكبر بين دهاليز المنزل، تطل عليه سبع غرف بعضها لتخزين الغذاء وبعضها للخدم وأخرى للنوم وغيرها تستخدم كمطبخ صغير وفي المطبخ لاتوجد شرفات مسقوفة، ولا لواوين تحيط بحوشه ذي الأرض المبلطة بالآجر الأصفر أيضا.

وبسبب الأحوال الاقتصادية السائدة في ما قبل منتصف القرن الفائت، فقد كانت تربية الأنعام ضرورة ملحة لأية أسرة، ولذلك كان في البيت حوش رابع مخصص للغنم والبقر والخيول والدواجن، وقد كانت الأبقار والأغنام في عهدة الراعي (الشاوي) الذي يسوقها فجر كل يوم عبر المرات الضيقة بين الأحياء (الفرجان) إلى المراعي الواقعة على أطراف المدينة.

بنظرة نحو الأعلى تظهر أسقف المنزل المكونة من (الباسجيل)، وهو نوع من أعواد القصب ومن فوقه (الجندل) وهو جذوع لأشجار تنبت في شرق إفريقيا ويعرف بعضها بـ(أبي طير) وهو ما يقطع بالفؤوس وبعضها (أبو منشار) وهو مايحتاج للمنشار، وقبل الباسجيل والجندل فالسقف يغطى بالحصير المصنوع من سعف النخيل.

الجهات المعنية لم تترك هذه البيوت لتأمل الماضي فقط وإنما استطاعت أن تسند لها مهمة أخرى، فبالإضافة إلى تخصص بيت الغانم بالحياة الفنية التشكيلية ليعج بالحياة وليضج بالألوان، ولكي تدفئه مخيلات الفنانين بعطاءاتها اللامحدودة، فقد جعلت من بيت البدر بيتا للموروثات الشعبية، وعني بيت بهبهاني بالسدو وصناعته كمهنة ضرورية متوارثة عبر الأجيال، وبذلك بقيت الحياة تدب في المنازل القديمة في الكويت.



بيت البدر

لوحة معمارية أخرى

أخرج من بيت الفنون، وهو الاسم الجديد لبيت الغانم، وفيما كنت أصعد إلى سيارتي لأتوجه إلى بيت البدر غير البعيد، كنت أتمنى لو تبوح الجدران بما شهدته من تآلف وتعاطف، ولكن ذلك لن يحدث، لأن العائلات التي قطنت هذه المنازل وترعرعت فيها كان ولايزال أهم صفاتها المحافظة والحشمة وحسن المعاملة مع الآخرين من الجوار الذين تلمهم في الأفراح، ويهبون لنجدة وإغاثة بعضهم في الملمات، مع دوران محرك السيارة ارتفع صوت كويتي شجي بزهيري (موال) من آلة التسجيل:

يامن منزلك عيني والخافق لكم دار
حبك تسمر ثبت ماهزه شمال ودار
زود الغلا حدني أشيد بقربك دار
تعسر لقانا والدمع تحت الرمش جافي..

وقبل أن يكمل الصوت ببحته الحنونة ذلك الموال الجميل، كنت واقفا أمام باب بيت البدر في حي القبلة بمحلة البدر،وإذا كان بيت الغانم نموذجا للبيت الكويتي القديم من حيث العمارة والتقسيم، فربما يقدم بيت البدر لمن يتأمل تاريخه ماهو أبعد من ذلك، فيشي بالمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي كانت تسود المجتمع الكويتي في القرن الماضي .

أنشئ بيت البدر باللبن الطيني والصخر البحري وطليت جدرانه بالجص وأقيم سقفه من، الجندل والباسجيل والبواري على ارتفاع أربعة أمتار عن الأرض وذلك سنة ١٨٤٧م على مساحة تصل إلى ٣٠٢٠ مترا مربعا، وإطلالة واجهته أيضا على الطرف الغربي من شاطئ الخليج، وواجهة البيت الأمامية يتخللها مدخلان كبيران في كل منهما باب إضافي صغير يعرف بباب (أبو خوخة)، وهو المدخل للمنزل إذا أغلقت الأبواب الكبيرة، وهو حال البيوت الكويتية التي اتسمت بجمال أبوابها وزخرفتها، وتقرع الأبواب عادة بقطعة معدنية من الحديد أو النحاس تسمى (المطقاقة)، فالكويتيون بارعون في فنون النجارة التي تتصل بفنون صناعة السفن، كما تتسم بيوتهم أيضا بمنافذ للتهوية والإضاءة كما في أعلى الجدران الأمامية، فوق السطوح تقام أبراج للتهوية والتبريد صيفا عرفت خليجيا بالبادكيرات أو البراجيل، من المدخل الأول الضخم المقوس والذي يؤدي إلى ساحة استقبال الرجال كانت زيارتنا، عقود تشبه أنصاف الأهلة متلاصقة ومشكلة قوسا كبيرا يتوسطه شكل زخرفي كبير كنصف وردة تتوج الباب الرئيس الذي دخلناه إلى ردهة طويلة تعرف بالليوان، وعلى جانبيها الدكة، وأول ما واجهنا في البيت باب صغير على يسار الردهة يؤدي إلى حجرة للحراسة كانت في الماضي تستعمل لتخزين الين وبعض المؤن، وفي نهاية الردهة ساحة حوش الديوانية التي تتوسطها بركة لتخزين ماء المطر أعدت على شكل حوض يتصل بخزان تحت الأرض، وعلى يمين الردهة شرفة عريضة لاستقبال

الضيوف ولها ثلاثة أبواب مزدوجة، وبقية الحجرات المحيطة بالساحة مجهزة كغرف للتخزين أو للنوم أو كحمامات ودورات مياه، وللساحة بابان خلفيان يؤديان إلى ساحة المطبخ ومنها إلى ساحة الحريم، والطريف أن أجمل المداخل الباب ذو القنطرة الذي يؤدي إلى الاسطبلات بحيث يسهل إحضار الخيول إلى ساحة الاستقبال ، ولاغرابة فقد كان يوسف البدر صاحب المنزل تاجر خيول في زمن قامت الخيول فيه مقام سيارات اليوم وقد امتدحه يوسف الصبيح أحد الشعراء:

إن الكويت حماها الله قد جعلت
في اليوسفين مكان السبعة الشهب

وفي الطريق إلى حوش الحريم كان المرور بحوش المطبخ الذي كان في سنين مضت يعج بالحركة، وفيه بئر ماء يحيط به حاجز مشيد من الطوب، وبجوار المطبخ غرفة كبيرة تستخدم كمخزن لتخزين الخشب والفحم، دخلنا ساحة الحريم التي تفتح حجرها الثمان على شرفة مسقوفة، وكانت ست غرف من الثمان قد ألحقت بها غرف أصغر تستعمل كحمامات ودورات مياه، وفي الركن الشمالي من ساحةالحريم يوجد ممر دخول منحني ينتهي بباب خارجي يفتح على طريق جانبي، وعلى الجانب الشمالي اصطفت مجموعة حجرات إضافية بلا شرفة تمنع عنها الشمس رغم أنها معدة لنوم أفراد العائلة، وعلى السطح شيدت حجرتان مسقوفتان معدتان أيضا للنوم ولهما أبواب وفتحات للتهوية.

رابع أحواش البيت يعرف بساحة الأعمال وهي خاصة بصاحب البيت، لها بوابة خاصة ضخمة سبق وأن أشرنا إليها وفيها كانت الحيوانات المستوردة أو المعدة للتصدير وكذلك الأشرعة والصواري ومعدات الصيد كانت تخزن فيها، وتتصل هذه الساحة بساحة المطبخ عبر ممرضيق، كما تتصل بساحة استقبال الرجال، آخر أحواش البيت وصلنا إليه من خلال باب يقع في ركن المطبخ الشرقي وبذلك تتكون حظيرة مقفلة للغنم والماعز.

هكذا عاشوا!..

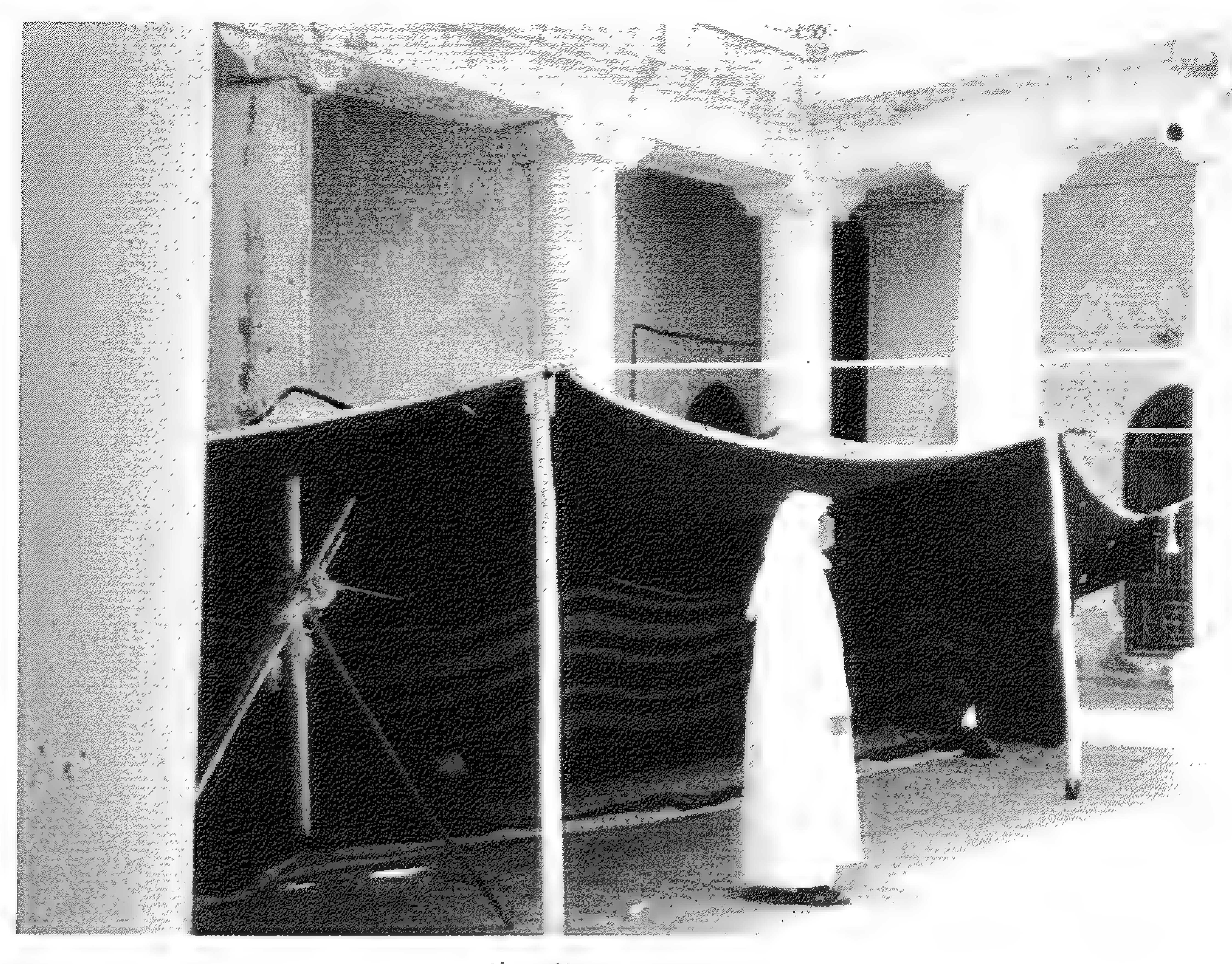
يقول حسن بذال الرشيدي مصورا البيت الكويتي القديم في كتابه (أمسنا ويومنا وغدنا.. يابني): كان بيتنا مبنيا من الطين ومطليا بالجص ومهيأ على شكل سبورة يكتب عليها الأولاد ويرسمون، ولهذا البيت باب صغير لدخول الناس، وباب كبير يتسع لدخول الحمار الذي يسوقه السقا حاملا الماء لسكان المنزل، كما يتسع الباب لدخول أكياس الجراد وسعف النخيل وخشب الوقود.

ولو تجولت في البيت لوجدت عجبا، برميلا كبيرا مملوءاً بالماء، وقد كانت المياه المالحة تستخدم في جلي الأواني وهي متوفرة في الآبار المنزلية، ثم أوعية فخارية تسمى (برما) بها ما يلزم من ماء للشرب ثم تدخل إلى غرف البيت فتصادفك غرفة الأطفال مفروشة بالحصر ليناموا عليها..أما غرفة الأب والأم فتعزز بسرير من خشب، وبها بعض أدوات الزينة كالمبخر والمرش وغيرهما، وتنتقل إلى مكان آخر تتجمع فيه صوامع الأرز والدهن (السمن والزيت) والجاز ومايلزم البيت لفترات طويلة، ثم تدخل إلى المطبخ وهو عبارة عن (غرفة فسيحة) يغطيها لون أسود من أثر الدخان المتصاعد من مواقد ترقد على الأرض، وهي عبارة عن أحجار متراصة توضع بينها الأخشاب ومن فوقها القدور، ويطهى الطعام على هذه الصورة، ولقد تلا ذلك مرحلة المواقد التي تعمل على الجاز وكانت متعددة الأشكال والأغراض، وأدوات المطبخ لاتتجاوز الهاون ويده لدق البقول والثوم، المنخل والمشخال (المصفاة) إلى جانب بعض القدورالمعدنية والأواني البدائية.

ويلحق بالدار مربط البهائم، ويتابع البذال مخاطبا ابنه: هذه صورة البيت الكويتي القديم حبست عنك الكثير من عيوبه، فلم أحدثك عن الفئران التي تشارك أهل البيت في مخزونهم من الطعام، ولم أتحدث عن السحالي التي تسعى في المطبخ، ولم أذكر لك أعشاش العصافير التي تستعمر السقف، ولم أشأ أن أضايقك بالرائحة التي تصدر عن الحيوانات وروثها.. أما خدمات البيت العامة فكانت تعتمد على أصحاب البيت، الرجل يسعى ليجلب العيش والحاجيات الأخرى، والزوجة والأم تكدحان في البيت تعملان في الطهي وغسل الثياب وإطعام الدجاج وتهيئة البيت.. هذا البيت يابني نفخر به أكثر مما نبرأ منه، لأننا كنا نبنيه بأيدينا ونؤثثه بأيدينا، كانت أيدينا هي الصانعة له، وكنا سعداء بهذا أيما سعادة، والبيت الكويتي القديم بني على صورة تفرض حسن الجوار ورعاية حرمته.

بيت البدر: صورة متطورة

ثالث البيوت بيت البدر المطل على الخليج العربي بواجهة تتخللها بوابتان، باعه يوسف المرزوق عام



بيت البهبهاني

١٩٣٨م إلى يوسف شيرين بهبهاني، تاريخ إنشائه مجهول، وقد أقيم على مساحة تصل إلى١٠٦٢مترا مربعا، وقد أدخل بهبهاني على البناء تعديلات فقسم طابقه العلوي إلى قسمين وغطى أرضه بالبلاط وزود غرف الديوانية بمدفأة على الطراز الأوروبي الحديث وفي عام ١٩٥٢م دخلت الكهرباء إلى البيت فتم تزويد جميع الغرف بالمراوح، ولعل ما يميز هذا البيت أنه مؤلف من طابقين ومبني من الطابوق والإسمنت، وقد صمم على طراز كويتي تقليدي متأثر بالفن المعماري الهندي الإسلامي، ولاغرابة إن تم استيراد الشكل من هناك فقد كانت التجارة قديما تنشط نحو الهند وأكثر ما يتجلى ذلك في الوحدات الزخرفية الموجودة على النوافذ، وفي الزخرفة الخشبية على الأبواب والمجلوبة من كراتشي.

وكسابقيه يتألف هذا البيت من أحواش مكشوفة للديوانية وللحريم، وحوش للمطبخ، وللبيت باب ثالث في جهته الشرقية، وفي الدور الأول للبيت تتوزع الغرف والمطابخ الصغيرة والمرافق وكذلك على السطح، وهو يبين بدايات تأثر الكويتيين بتفاصيل الفنون المعمارية في بلاد أخرى فقد شيدت فوق شبابيكه المطلة على شارع الخليج العربي مظلات من الجص، ولتخفيف حدة الحرارة صيفا كثرت منافذ البيت حتى وصل عدد شبابيكه إلى (٨١) شباكا وأبوابه بلغت (٦٩)، وزاد جماله من الداخل كثرة الخزائن التي في جدرانه والتي بلغت (٤٣) خزانة، وليس هذا فحسب، وإنما صمم الكويتيون منازلهم للتغلب على قسوة المناخ، فكانت على شكل فناء مكشوف تحيط به الغرف المبنية من الطين المخلوط بالقش وهما مادتان تمنحان المنزل برودة في الصيف ودفئا في الشتاء، وتزداد مزايا الغرف الصيفية لترتفع جدرانها عاليا، ويتخلل سطوحها البادجيرات للتهوية، ولعل الحصير مع الباسجيل والجندل والبواري مما يخفف الحرارة أيضا، ولأن المجتمع كان محافظا، فإن غالبية الجدران في المنازل التي زرناها كانت مصمتة بلا نوافذ مالم تكن جدرانا لديوانيات الرجال، وإذا كانت البيوت الثلاثة متقاربة فإن ذلك يعزى إلى كون الكويت القديمة كانت محاطة بالسور الأول الذي يلتف حولها كنصف دائرة تكملها مياه الخليج، وبذلك فهي منازل متلاصقة وليست كثيرة، تجاور الخليج الذي يعد مصدرا لرزقها، القادم إما من رحلات الغوص أو من الإبحار إلى بلاد أخرى.■

في شهر سبتمبر القادم .. ملف عن

العمـــارة الإســـلامية

فــن .. إبــداع .. جمــال

إقرأ لهؤلاء

- أ. د. خليل حسن الزركاني
- د. أحمد الصاوي
- د. خالد عزب
- د. منير يوسف طه
- د. وفاء النعسان
- د. بركات محمد مراد
- ماهر سعيد الخولي
- محمد مروان جميل
- نهى علي الهاشمي

ملف الدراسات والبحوث

■ إحياء المدن التاريخية.. يكتب حوله الدكتور إسماعيل سراج الدين، متطرقا إلى العمارة والتقدم، والمفاهيم المتجددة في الموضوع، والبعد التنظيمي، كما تحدث عن المشكلات الناجمة عن التحضر السريع والنمو المتزايد للطبقات الفقيرة في المناطق الحضرية، والعقبات التي تواجهها المدن التاريخية.

■ الشعراء والرواة سادة الإعلام في العصر الجاهلي.. موضوع كتبه لنا محمد علي خميس النجار متناولا الأحداث الكبيرة التي نقلت الشعر من الذاتي إلى الموضوعي، وقصة ذهاب الشاعر الأعشى إلى سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم».

إحيـــاء المـــدن التـــاريخية

■ د. إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الاسكندرية



يعد الحفاظ على التراث الثقافي جزءاً لا يتجزأ من عملية الحفاظ على الهوية الإنسانية والكينونة البشرية. فهو يؤكد أن الحاضر هو همزة الوصل بين ماضٍ عريق ومستقبل نرسم ملامحه بأفعالنا وأنشطتنا وتقوده طموحاتنا وتطلعاتنا ومقوماتنا الفطرية سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي. ويضم التراث الثقافي عدة مجالات منها الآداب والفنون المرئية والموسيقى والأبنية والعادات والتقاليد والطقوس والشعائر إضافة إلى كل العناصر المستخدمة بصفة يومية. وسنقوم في هذا الكتاب بالتركيز على البيئة المبنية والمتمثلة في المدن التاريخية، حيث نعني بذلك أن ينصب الاهتمام على تلك المدن التي ما زالت في حيز الوجود وليس مجرد القيام بالحفاظ على الآثار والمناطق الأثرية. وستحظى المدن الموجودة في الدول النامية بالاهتمام حيث يتعاظم التحدي من أجل حماية التراث.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن كلاً من سمرقند ودمشق والقاهرة ومراكش مدن ذات طبيعة خلابة تستحضر للأذهان عالماً مليئاً بالسحر والأحلام، إلا أن الواقع الملموس لتلك المدن يعكس صورة لمدن شديدة الازدحام تكتظ بملايين البشر المعدمين الذين يصارعون من أجل التعايش مع بنية تحتية غير سليمة ويقطنون مباني متهالكة. ولكن لا يزال الطابع الساحر يغلب على هذه المدن، ويملأ قاطنيها وسكانها بالفخر بعراقة مدنهم وآثارها التي تضفي عليها طابعاً مميزاً وتزيد من قيمتها في التراث العالمي. ومن ثم فإن محاولة اقتحام تلك الأماكن ذات الطبيعة الخاصة يستلزم الجمع بين الحرفية والمهارة وفي الوقت ذاته القدرة على إجلال الماضي واحترامه والتفاخر به والاحتفاء بالحاضر وتقديم كل ما هو جديد ومبدع للمستقبل. كما تستوجب تلك العملية وجود سياسة قوية ومشاركة فعلية وتجهيزات نمطية جديدة وتعاون بين كل من العامة والخاصة. وفوق هذا وذاك تستلزم هذه العملية تعبئة الاستثمارات الضخمة والتي تستهدف على وجه الخصوص تحديث وتطوير تلك المناطق ذات الطبيعة الخاصة.

وإنه لمن الضروري حقاً أن يتم تكريس هذه الاستثمارات في الوقت الراهن من أجل الحفاظ على التراث الثقافي لتلك المدن الأثرية في الدول النامية. وخلال الثلاثين عاماً القادمة سوف يزداد التعداد السكاني للمناطق الحضرية في معظم أنحاء العالم النامي إلى ثلاثة أضعاف العدد الحالي. الأمر الذي سيؤدي إلى زيادة التكدس والازدحام في بعض المدن مثل القاهرة ولاهور وكالكوتا ويوجيا كارتا وجميع المدن الأخرى التي تحوي تراثاً معمارياً عريقاً. وسيكون لزاماً أيضاً وجود فكر واعٍ ومتطور يتفاعل مع قضايا النمو الحضري المتزايد ويضع حداً له إلى جانب إنشاء مدن يمكن العيش فيها.

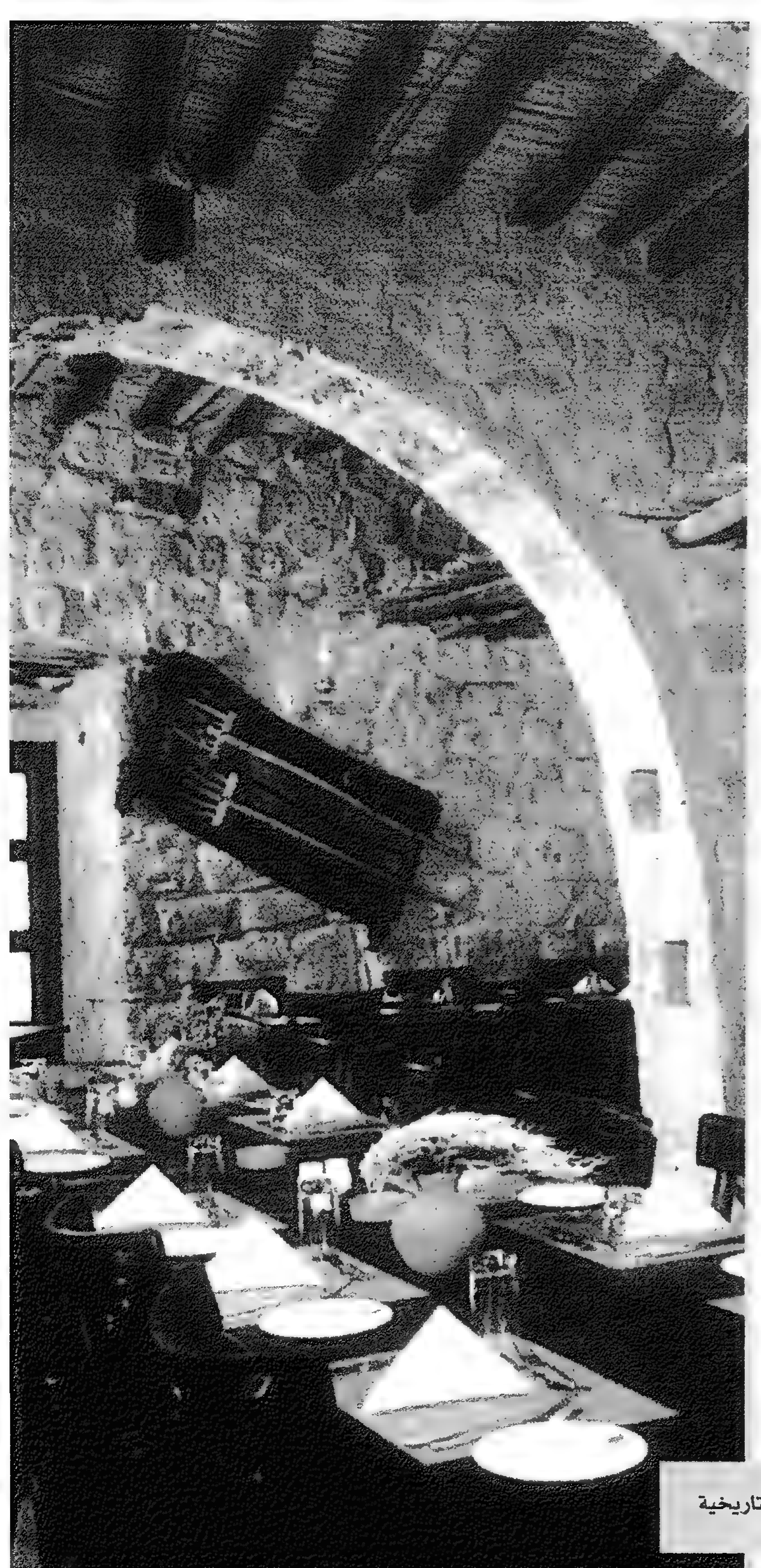
نقاش اجتماعي حاسم

تواجه الدول النامية ـ والتي تشهد حالة من التحضر السريع ـ العديد من التحديات الاجتماعية. فنجد أن كلاً

من النمو السكاني وتزايد أعداد المهاجرين الداخليين من الريف إلى الحضر، ووجود قاعدة اقتصادية تبدأ في إرساء دعائمها يعيق من قدرة تلك المدن على توفير سبل عيش كريمة وفرص عمل لمواطنيها. وتعمل أيضاً البنية التحتية المتهالكة، والمرافق الفقيرة والخدمات المتماطلة والمضاربات المنحرفة على الأبنية والحكومات الضعيفة، على وضع مزيد من الضغوط على المدن المركزية والتي غالباً ما تحوي تراثاً معمارياً وحضارياً لا يقدر بثمن. بينما يحد التدهور في البيئة الحضرية من قدرة هؤلاء السكان، الآخذين في التزايد والتغير على نحو مستمر، على تأسيس مجتمعات عمرانية تحظى أبنيتها ومساكنها بالحد الأدنى من القبول. ومع وجود إدارات داخلية ضعيفة في تلك المدن فإن التوتر السائد بها يعمل على إثارة النسيج الاجتماعي كما تغير المضاربات الاقتصادية من الطابع الحضري. وتزداد المدن التاريخية الداخلية انغلاقاً وانحصاراً يوماً بعد يوم حيث إن الأنشطة الاقتصادية بها وتلك التي تمارسها الطبقات المتوسطة، إما تقوم بتجاهل الجوهر التاريخي لهذه المدن، أو تدمر نسيجها الأصلي.

ويمكن إيجاد حلول لتلك السلسلة من المشكلات، كما يمكن التصدي بصورة إيجابية لتحديات المدن القديمة حتى في ظل أحلك وأصعب الظروف حيث يجب أن تكون تلك المواجهة قادرة على حماية البيئة الحضرية والمحافظة على خصوصية المكان التي تمنحه طابعه الفريد إلى جانب تطوير القواعد الاقتصادية للمدن القديمة وتلبية التوقعات المشروعة لمواطنيها وتحويل أحلامهم وتطلعاتهم إلى واقع ملموس. ونحن في حاجة إلى كل ما سبق ذكره من أجل إبقاء المدن التاريخية على قيد الحياة ومن أجل تطويرها وتحديثها وتعميق الروابط التي تصلها بالمدن الحديثة المحيطة بها. ويستوجب ذلك أكثر من مجرد مشروع تطوير وتحديث بل يحتاج إلى قوى خارقة من أجل منح الحياة لتلك المدن الحضرية.

وفي إطار هذا السياق ظهرت بعض الجهود الجديدة والمتطورة إلى جانب كونها خلاقة ومبدعة وتحقيقها لنجاح كبير. وقدمت تلك المشروعات، والتي فاز الكثير منها بالعديد من الجوائز التي منحتها صيتاً وشهرة



توظيف المباني التاريخية

عالمية، كل على حدة صوراً من الحلول وذلك على نحو يقتدى به. وأصبح من الممكن أن تتداخل المدن القديمة، بعد ترميمها وتجديدها، في نسيج المدن الجديدة بصورة طبيعية وانسيابية، وذلك ما تحقق بالفعل في بعض الأماكن مثل مدينة بخارى في أوزباكستان. وفي بعض الحالات الأخرى أمكن الربط بين أعمال الترميم للأبنية المختلفة وذلك من أجل التركيز على الكل ككينونة واحدة فضلاً عن الأجزاء الصغيرة المفككة كما كان الحال في مدينة صنعاء باليمن. وفي بعض الحالات النادرة أصبح من الممكن تحويل القاعدة الاجتماعية الاقتصادية كما حدث في منطقة حفصية بتونس.

وهناك العديد والعديد من المشروعات الجيدة التي نستطيع أن نتعلم ونقتبس منها، حتى ولو قام كل مشروع على حدة بتقديم حل جديد ومبتكر لجزء ولو بسيط من المشكلة.

وتثري هذه المشروعات في مجملها المناظرات والمناقشات الدائرة على المستوى الدولي حول المشكلات الناجمة عن التحضر السريع والنمو المتزايد للطبقات الفقيرة في المناطق الحضرية إضافة إلى العقبات التي تواجهها المدن التاريخية. ولكن يعد كل هذا أوجه مختلفة الحلول لأجزاء متفرقة من المشكلة وليست المشكلة برمتها، ومن ثم، فإننا بحاجة إلى ربط الصور المختلفة للحلول بعضها ببعض وأن نعمل على تكوين سلسلة مترابطة من الاستثمارات الجادة، إلى جانب دعم الترابط الاجتماعي بين الطبقات المختلفة وزيادة الدخول حتى تتمكن المدن التاريخية القديمة من استعادة حيويتها المتأصلة وسحرها الخلاب الذي يضفي عليها طابعاً فريداً.

المربع الأول: مدينة بخارى

تعد بخارى مدينة أسطورية للتعلم والثقافة فهي جوهرة العصور الوسطى للحضارة الإسلامية ولكنها انهارت في الأوقات العصيبة. فالسنوات التي شهدت الاحتلال الروسي غمستها في إطار حضري نموذجي مبتذل وكان ينظر للأبنية التاريخية الباقية على أنها مجرد آثار. وما لبثت الجهود الخاصة، التي تم توجيهها لإحياء تراث الماضي القديم، في جني ثمارها، إلا وتسبّب سقوط الاتحاد السوفييتي وتكوين دولة أوزبكستان المستقلة في انطلاق نوع آخر من الحركة. ففي ظل السياسات الاقتصادية الضعيفة للجمهوريات الجديدة مقارنة بالأوضاع التنافسية المتزايدة في الاقتصاد الدولي، أخذت المجتمعات المحلية على عاتقها المسؤوليات الجسام لتطوير وإحياء المدن القديمة كجزء منها.

ومن ناحية أخرى، فإن العناصر الباقية للمدينة القديمة ستتداخل بعناية في نسيج المدينة الجديدة لتكوّن بذلك منظومة متكاملة. وتميزت أعمال الترميم التاريخية بالجودة العالمية وتم التركيز على دعم خصوصية المكان والإحساس به. وحققت عملية إعادة استخدام الأماكن التاريخية والأبنية نجاحاً اقتصادياً واجتماعياً ومعمارياً. وتم أيضاً إحياء المناطق المحيطة بها وشيدت أبنية حديثة تتسم بالدقة من ناحية كل من القياس والمواد المستخدمة، إضافة إلى تقديم أنشطة اقتصادية جديدة.

ويستحق الجمع بين الجهود التي تبذلها المجتمعات، والخبرات الفنية المتمثلة في هذا المشروع، كل الفخر. وتمكن الشعور بالزهو العام وتعزيز الهوية الثقافية اللذان صاحبا هذا العمل من إظهار أن تراث الماضي يمكنه أن يكون أكثر من كونه مجرد متحف أو مزار سياحي. فقد يرقى إلى أن يكون جزءاً هاماً من الحاضر الذي نحياه، حيث يمكن لكل من السكان المقيمين والزوار الانتفاع والاستمتاع به على حد سواء كما يمكن أيضاً أن يصبح مصدر إلهام مستمر للعمارة الحديثة والتمدن.

العمارة والتمدن

كثيراً ما تثير عملية تشييد أبنية حديثة في المناطق التاريخية هجوماً عنيفاً، وبالفعل فإن إدخال مبان حديثة في منظومة تاريخية تعد من أكثر الأمور التي يواجهها المعماريون صعوبة. إلا أن فكرة إبقاء هذه المدن مجمدة على مر السنين لكونها عتيقة سيتعارض مع أي محاولة لجعلها كائناً ينبض بالحياة.

والمدن المتحفية مثل حيفا في فلسطين ليست مثالاً لطراز المدن التاريخية الحية التي نطمح في إبقائها على قيد الحياة. بل إن عملية ترميم مدينة بخارى القديمة تحظى باهتمام أكبر مما أدى إلى انصهار الأحياء القديمة في المدينة الحية.

كيف يمكن البناء في المناطق التاريخية؟ يعد هذا التساؤل محور وصميم الفن المعماري العظيم. فلغة العمارة ليست مجرد مصطلحات أو صوراً جمالية، بل إنها ترقى إلى أكثر من ذلك فهي تستحضر الماضي وتتنبأ بالمستقبل وتوضح الحاضر بواقعه المدني للناس جميعاً. ولهذا فإن لغة العمارة تعد جزءاً لا يتجزأ من إبراز صورة المجتمع لنفسه ولبلورتها. بينما يجمع المعماريون بين كونهم رعاة لآثار الماضي والتراث



السوق الرئيسي في الرياض عام ١٩٤٩م

المعماري والحضري بما يحويه من هياكل وأماكن تاريخية من ناحية ومبتكرون لتراث وحضارة الغد من ناحية أخرى.

وفن العمارة هو أكثر الفنون محلية، حيث تتأصل جذوره في الموقع المحدد. لذا يجب عليه أن يتفاعل مع الحقائق والوقائع من ناحية، واحتياجات المستخدم من ناحية أخرى. إلا أن الأمر لا يقتصر على ذلك فقط، فهناك المزيد والمزيد إلى الحد الذي يحدد فيه الموقع السياق المطلوب بينما ترسم احتياجات المستخدم المتطلبات الفعلية. ففن العمارة يختص بمجتمع بذاته وموقع بحد عينه. وحيث إن فن العمارة يستجيب ويتفاعل مع كل من العالمية والعولمة المتطورة وتحدياتها، لذا أصبح لزاماً عليه إذن أن يخترق حاجز المكان ويعطي المزيد للمستخدم والمتفرج حتى لا يصبح مجرد استجابة فعلية للاحتياجات الملموسة. وهذا الفن ذو طبيعة انفعالية كما يجسد حالة كونية.

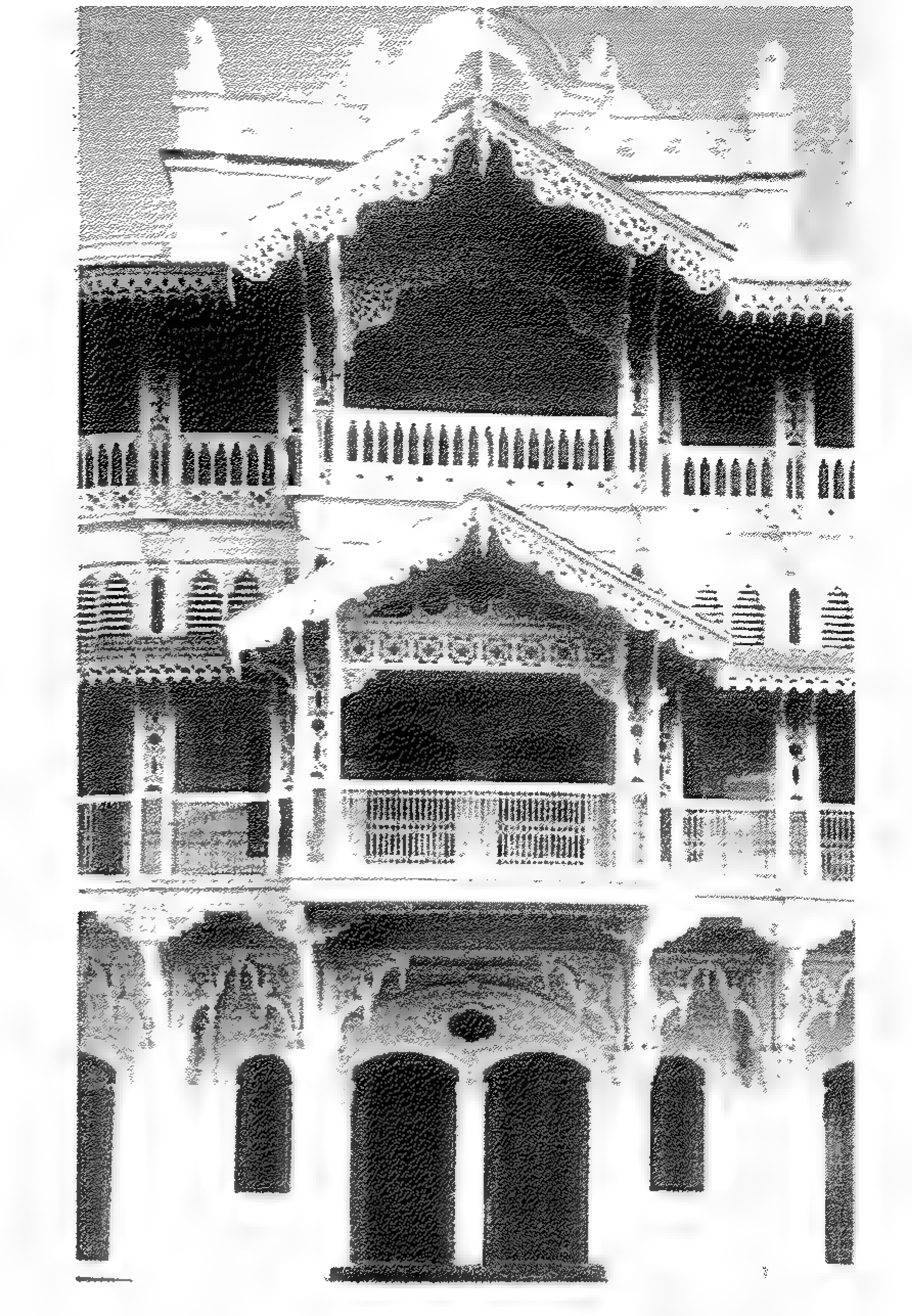
وتكمن مشكلة تحديد الهوية بصورة جلية في الدول النامية عند اختيار المفردات المعمارية، حيث إنها إما أن تقوم برفض ما هو معاصر وتعيد الصبغ الأيديولوجية للماضي، وهو اتجاه تغلب عليه أيديولوجيات ونظم معمارية تقليدية بحتة، أو أن تقوم بكسر حاجز المكان وجلب العمارة الغربية الحديثة كنوع من «التطور». وكلا الاتجاهين أخرق، تعوزه البراعة ويفتقره الإحساس بكل من عنصر المكان والزمان.

وفي واقع الأمر، فنحن بحاجة إلى عمارة تعكس وتثري الجدل النقدي القائم حول اللغة المعمارية المعاصرة ومصطلحاتها، وهو أمر قليل الحدوث حتى الآن. نحن بحاجة إلى عمارة تعيد أمجاد الماضي عن طريق أساليب معاصرة وتنظر إليه برؤى وأعين الحاضر، عمارة تحترم التراث لا عن طريق النسخ العقيم لصور الماضي والوقوع فريسة لأسره، ولكن عن طريق إظهار روح الماضي في الحاضر والتآلف والامتزاج بينهما. وخير مثال على ذلك، الجهود التي بذلها المعماري راسم بدران لإعادة الهيكل المعماري لمنطقة نجد القديمة في مدينة الرياض.

وعندما نرتقي إلى هذا المستوى سيكون لدينا عمارة قادرة بحلولها المبتكرة والمتجددة على ألا تقوم فقط بالحفاظ على الشخصية التاريخية للمكان وحمايتها، بل تقوم بتعزيز خاصية المكان الذي تتعامل معه أيضاً. ومثل هذه المشروعات تحرز الكثير من الإسهامات الفعلية في العمارة الإنسانية متجاوزة بذلك الحدود الفاصلة للمكان.

المربع الثاني: مدينة الرياض

على الرغم من أن مدينة الرياض لا تحوي جوهراً تاريخياً كالعديد من المدن القديمة في المنطقة مثل كل من القاهرة وصنعاء، إلا أنها تمتلك مجمعاً للمباني الأثرية والمعروف بقصر (المصمك) كما تمتلك أيضاً تراثاً معمارياً يختص بمنطقة نجد. وكان من الممكن أن تتجاهل الجهود المبذولة لترميم منطقة وسط المدينة تلك الحقائق، إلا أنها لم تفعل ذلك. ومن ناحية أخرى فإن تصميم المشروع الذي وضعه المهندس المعماري راسم بدران لإعادة ربط الجوهر الحضري لمدينة الرياض بمجموعة من الميادين الفسيحة ذات المساجد المتناسقة،



المباني التاريخية: شهادة ميلاد للفن العربي

تصل المسجد الجامع بالمناطق المحيطة به، تمكن من حصد الجوائز كما تمكن من القيام بإنشاء بنايات على الرغم من الصعوبات الموجودة في البيئة المحيطة والتي تتطلب عناية خاصة لكل من العنصر البشري ومتطلبات التكنولوجيا المتطورة لتلك العواصم المزدحمة بالسيارات.

وتفوق الجهود التي بذلها المهندس بدران لإعادة ترجمة اللغة المعمارية لمدينة نجد مجرد كونها نسخاً لوقائع الماضي وتفاصيله أو أن تكون صدى محاكياً له، ولكنها على النقيض جهود لتجسيد الماضي وإعادة هيكلته من جديد. وتتميز ساحة المسجد الجامع بأنها شديدة الجاذبية، كما تمتاز الحلول التكنولوجية بالحرفية والمهارة وعدم التطفل مطلقاً على الماضي العريق، فهو صورة مُجسَّدة للقدرة على إحياء التراث التاريخي في الحاضر الذي نعيشه، وعدم التصميم على مجرد البقاء أسرى للحفاظ على كل ما هو قديم والعمل على ترميمه.

مفاهيم متجددة

يعتبر التقدم رهينة الأفكار المبتكرة والمفاهيم المتجددة فنادراً ما تستطيع التجديدات المتزايدة أو الحلول المقترحة في أي من صور الماضي، أن تقوم بتلبية احتياجات الغد والوفاء بها. ولا تمتلك تلك الاتجاهات الحرية التي تتميز بها المفاهيم المبتكرة والتي تفتح الباب لإعادة تقييم مضمون التحديات التي يواجهها عالمنا المتطور الذي نحيا فيه، كما لا تفسح المجال أمام الطرق التي يجب أن تُسلك لإيجاد أرض خصبة نستطيع حرثها وغرس بذور جديدة فيها. وتلك الابتكارات التي تستلزم خرقاً لكل الأعراف والمفاهيم التقليدية نادراً ما تشهد ميلاداً سليماً لا يخلو من التشوهات. فالمبتكرون بطبيعتهم مغامرون يسلكون طرقاً محفوفة بالمخاطر ويأتون بإبداعات تتسم بالغرابة الشديدة وتدفعنا بقوة لإعادة النظر في جميع الأمور التي كنا نسلم بها جدلاً. وهؤلاء المغامرون الذين يلقون بأنفسهم في التهلكة، لا بد وأن يتم تكريمهم وتمييزهم لما يقومون به من أعمال وإسهامات تفوق أهميتها بمراحل مجرد إنشاء أبنية جيدة التجهيز.

أما اليوم، فإن العالم النامي، بل إن العالم أجمع في حاجة ماسة إلى قفزات إبداعية، وخيال جانح قادر على خرق الحواجز المفروضة على كل ما لم يتناوله فكر من قبل في ظل الأعراف التقليدية، وهو ما يمكن تعريفه بانعكاس خبرات الماضي.

الترابط الاجتماعي في المدن القديمة

إن الطرز المعمارية والأبنية بهياكلها، تختص أولاً وأخيراً بالبشر، فلا نستطيع تجاهل المخاطر العديدة الهائلة الناتجة عن النزح الحضري والديناميكية الاجتماعية التي قيدت تنقلات السكان من المناطق المجاورة القديمة، أو تجاهل عدم وجود الجذور الاجتماعية المصاحبة للفقر المدقع في المناطق الحضرية والمناطق التي لا يجد قاطنوها مكاناً يأويهم. وفي بعض الأحيان تستطيع التداخلات التي تحدثها التصميمات، سواء المعمارية الجديدة أو الحضرية، أن تستجيب بمهارة لتلك التحديات ونادراً ما أمكن تغيير القاعدة الاقتصادية والاجتماعية كما هو الحال في منطقة حفصية بتونس.

أما المشكلات التي يواجهها الفقراء، تلك الناجمة عن النزاعات القائمة في المجتمعات فقد تم تناولها جميعاً في مشروع آرانيا بمدينة إندور الهندية.

وحتى المشكلات العسيرة، التي يواجهها المشردون النين لا يجدون أماكن تؤويهم، قد تم تناولها بنجاح وبطرق متقدمة ومطتورة في مدينة حيدر آباد في باكستان. وهناك الكثير والكثير من المشروعات الممتازة التي نستطيع أن نقتبس منها العديد من الأفكار، حتى وإن قدم كل منها حلاً مبتكراً ولو لجزء بسيط من المشكلة.

المربع الثالث: أرانيا الهندية

يُعدُّ مشروع آرانيا بمدينة إندور الهندية صورة فريدة للأسلوب المعماري المتميز الذي يستطيع أن يؤثر إيجاباً في كل من المواقع والخدمات، من أجل تقديم تصميم حضري متكامل ونماذج دقيقة لوحدات الخدمات الرئيسة والتي يمكن تشييدها على نطاق واسع. فبوعي شديد ودراية واسعة، تم دمج كل من المجتمعات المسلمة والهندوسية ومعتنقي الديانات الأخرى في إطار نسيج المستفيدين من الفقراء إلى جانب الإعداد لتجهيز شبكات مرافق مشتركة وساحات شعبية، ومن ثم نجح هذا المشروع في وضع أسلوب يجمع بين كل من التحمل الجماعي والتعاون. ويؤدي التنوع في مستويات الدخول المختلفة والخلط بينها إلى دعم المشروع مادياً ووضعه في حيز التنفيذ، حيث إن الدعم المادي يعد عنصراً أساسياً لإعادة النسخ، وتقديم الدعم المطلوب بشكل دائم.

المربع الرابع: النظام السكني في حيدر آباد

يعدُّ النظام السكني المتنامي لمدينة حيدر آباد في باكستان قد نجح في تناول مشكلة الوصول إلى قاعدة عريضة من الفقراء المعدمين على نحو متطابق. فعن طريق توحيد الفقراء بأسلوب من المشاركة الفعالة، تمكن النظام من تمليكهم مساحات من الأراضي، ومساعدتهم في بناء مساكن على نحو متدرج بما يتناسب مع إمكانياتهم. إن الصورة التي يبدو عليها المجتمع الذي لم يكن يقطنه سوى المحرومين والفقراء المدقعين والمشردين بلا مأوى، توحي بحدوث تحول اجتماعي إيجابي كما يتضح التحسن في الأوضاع والظروف الحضرية حتى ولو كان المظهر الخارجي لتصميم الطرق والشوارع لا يرقى إلى المستوى الحضري الذي يحتذى به.

التدخل في المدن التاريخية

إن كلاً من الاقتصاد والمال يعتمدان اعتماداً كلياً على الإطار الذي يجمع بين الجهات العاملة، سواء العامة أو الخاصة، الدولية أو المحلية، الرسمية أو غير الرسمية، وبأسلوب يفوق فيه الكل المجموع الإجمالي للأجزاء.

ولا تتطلب تلك المشروعات وجود أنظمة مالية اقتصادية سليمة فحسب، بل أيضاً أنظمة سياسية فعالة تجمع بين تلك الجهات وتجعلها تعمل في منظومة متكاملة من أجل صيانة المدن التاريخية والحفاظ عليها وتجديد أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

وبصفة عامة، فإن معظم الاتجاهات تتطلب بصورة أو بأخرى الجمع بين ما يلي:

- فرض قيود على أي أنشطة تقام في المدن التاريخية، وحظر القيام بأي أعمال من شأنها تدمير البنايات التي تحظى بأهمية ثقافية وطابع حضاري. وقد تزداد تلك القيود إلى الحد الذي يتم فيه تحديد نوعيات ومستويات بعينها من الصيانة أو كيفية تنفيذ عملية الصيانة ذاتها (وعلى سبيل المثال، تحديد نوعية المواد المستخدمة والتي تتوافق مع المواد الأصلية وتتماشى معها) وغالباً ما تكون الأنشطة المقامة في تلك المناطق محدودة بصفة عامة. ولا يجب أن تقتصر القيود المفروضة على قطاع بعينه بل يجب أن تشمل أنشطة كل من القطاعين العام والخاص.
- القيام بأعمال صيانة للأبنية ذات الطبيعة الخاصة والتي تحظى بأهمية بالغة.
- وضع نظم لتشجيع الجهات المختلفة للقيام بأعمال الصيانة. وفي المجتمعات الحضرية لا يتسم أسلوب التدخل المباشر لصيانة البنايات بالصورة العملية على الإطلاق. ومن ثم فإن الجهود التي تُبذل من أجل الصيانة والترميم تعتمد اعتماداً كلياً على القدرة التحضيرية لتشجيع الجهات الأخرى على تقديم الدعم اللازم.

الاتجاهات والقائمون بالتنفيذ

تظهر على الساحة مشكلة معقدة يصعب حلها مثل مكعب روبيك، فعندما تقوم بضبط أحد وجوهه يؤدي ذلك إلى انهيار الأوجه الأخرى. فمن المحال أن تستطيع الجمع بين كل من التحضر والعمارة الراقية، وتوفير الدعم المالي الداخلي السليم والتحفيز اللازم للقطاع الخاص، وتقديم الرعاية والدعم للفقراء والمحتاجين وتوفير المشاركة المحلية من ناحية، والعمل على تطوير الاختلافات التعددية والاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى. وكمعكب روبيك فعلى الرغم من أن الوصول إلى حل ليس بالأمر اليسير، إلا أنه ليس مستحيلاً، فهو يتطلب التحلي بالصبر والقدرة على التخيل، وتكريس المزيد من الجهود والعمل حتى يمكن ضبط جوانب تلك المعادلة.

ومن أجل القدرة على استيعاب أفضل لأوجه المشكلة والطريق الذي يجب أن نسلكه من أجل الوصول إلى حل مناسب، لا بد أن نبدأ أولاً بتحديد الجهات المتعددة

القائمة بالتنفيذ وصناع القرار، وفوق هذا وذاك لا بد ألا ننسى، في أي وقت من الأوقات، من سيقومون بالتمويل، ومن هم أصحاب المنفعة؟

وتتولى العملية التنفيذية كل من الحكومات المحلية، والجهات الدولية ومنظماتها، والسائحين المحليين الزائرين للمدن التاريخية، والقطاع الخاص، سواء المحلي أو الدولي، وذلك للقيام بمشروعات استثمارية في المدن التاريخية القديمة من أجل تطوير العقارات السكنية، إضافة إلى ما يقوم به ملاك العقارات والمستأجرون من تطوير. ويجب أن يتم توجيه اهتمام خاص بالفقراء المهددين بالتشرد في أي لحظة لعدم قدرتهم على مواجهة التغيرات. ومن ناحية أخرى فإن انتماءهم وارتباطهم بالمجتمعات المحلية، والتي لا تمثل لهم مجرد مسكن يقطنونه أو مأوى يحميهم، بل يُعدّ عاملاً رئيساً في تعريف هويتهم وكينونتهم، قد تكون هي نفسها الأداة الفعالة للتحول عندما يتم الإعداد لهذا التحول بصورة منظمة جداً. وترتبط تلك العملية ارتباطاً وثيقاً بالمرأة حيث إنها تُعد القوة المحركة للأنشطة التعاونية والمبادلات التجارية. وعن طريق دعم تلك الأنشطة وزيادة حجمها، يزداد الترابط الاجتماعي بالمجتمعات، وتتوطد العلاقات بين الأفراد.

ونجد أن الجهات المختلفة القائمة على تنفيذ أعمال التجديد والتطوير للجوهر التاريخي للمدن الحية وذلك في ظل التغيرات السريعة والمتلاحقة التي تشهدها الدول النامية، تتناول قضايا التطوير بطرق مختلفة وتُسهم في تعدد الأساليب لإيجاد حلول للمشكلات. ولكل جهة حساباتها الخاصة ونظرتها المختلفة التي تُحدد مدى جدوى استثمار مجهوداتها وأموالها في تجديد المدن التاريخية والمحافظة على طابعها المميز. وتكمن المشكلة في أن مجموع القوى الدافعة لكل جهة، لكي تقوم بتأدية مهامها بأسلوب ما، لا يمكن فصلها تماماً عن الأدوار التي تلعبها الجهات الأخرى، فهي جزء لا يتجزأ. ومن ثم فلا بد من وضع السياسات المالية والإدارية التي تقوم بتنظيم الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للمدن التاريخية، بما يمنح كل جهة القوة الدافعة المحفزة لها، وحتى يعمل الجميع في منظومة واحدة، من أجل ضبط الأوضاع السلبية والتي سبق تناولها لكي يفوق الكل مجموع الأجزاء المتفرقة ومن أجل أن تتسم أعمال التجديد والترميم بالإيجابية. إنه لغز محير قريب الشبه بمكعب روبيك الذي ذكرناه من قبل.

إن فرض المزيد من الضرائب لمحاولة دعم النفقات التي تتحملها البلدية (السلطات المحلية) قد يؤدي إلى نتيجة عكسية وإلى إقصاء القطاع الخاص عن الاستثمار في هذا المجال. ومن ناحية أخرى، فإن تقديم العديد من التسهيلات للمستثمرين قد يأتي أيضاً بنتائج عكسية قد تؤدي إلى إفلاس تلك السلطات المحلية. وقد ينتج عن جذب الفئات الغنية، من أصحاب الدخول المرتفعة والذين يقطنون تلك المدن، زيادة الدخل الإجمالي وخلق مزيد من الاستثمارات الاقتصادية، ولكن قد يؤثر هذا بشكل سلبي أيضاً على عامة الشعب والفئات الفقيرة، وقد يؤدي إلى نزوحهم إلى أماكن أخرى. ومن ثم فإن المشكلة الحقيقية تكمن في الموازنة بين احتياجات جميع الجهات، أثناء تجديد وتطوير القاعدة الاقتصادية للمدن التاريخية من ناحية، والمحافظة على طابعها التراثي المميز والإبقاء على ترابط الهيكل الاجتماعي، من ناحية أخرى. وتلك معادلة صعبة كلغز مكعب روبيك.

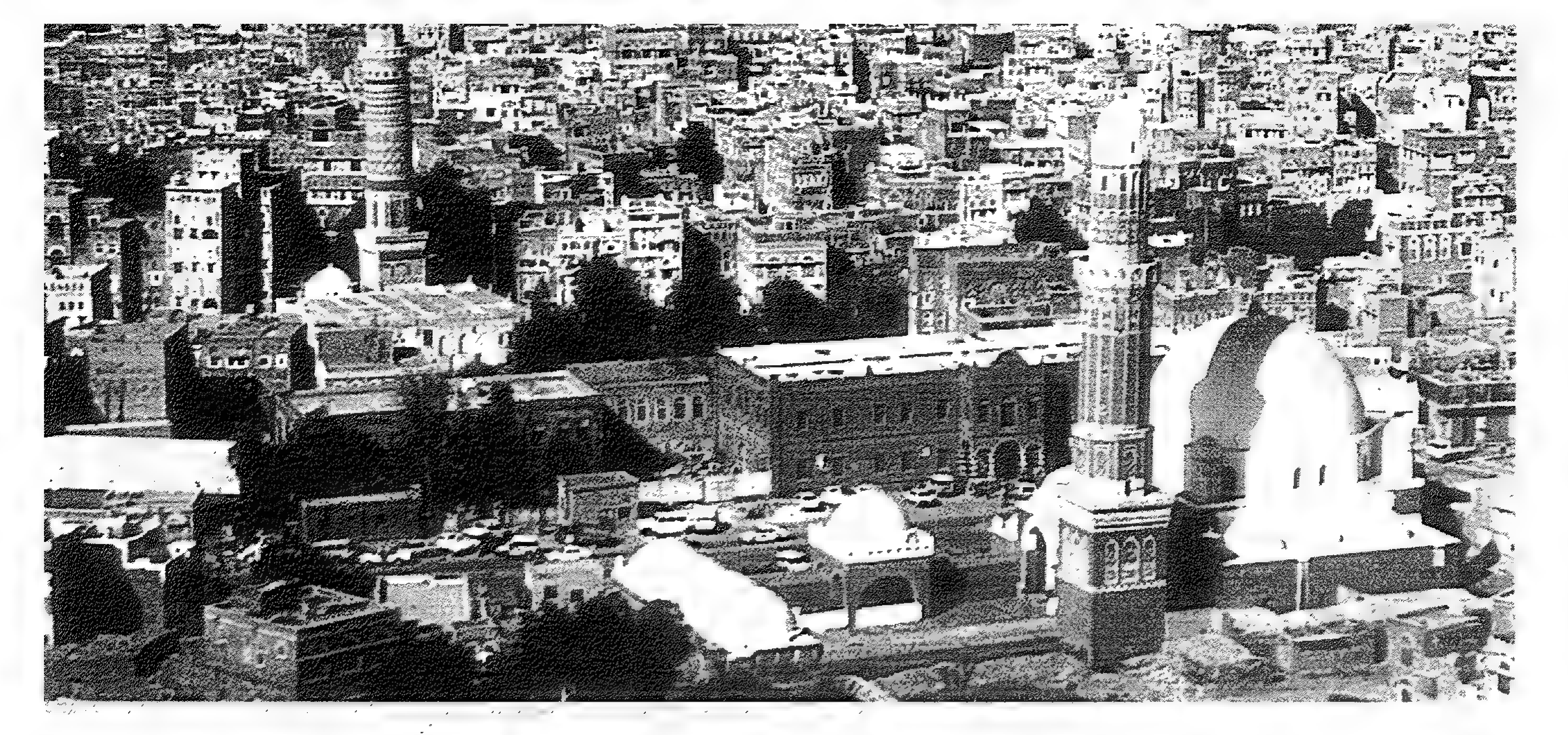
المربع الخامس: مدينة صنعاء

تعد مدينة صنعاء خير مثال على الجهود المضنية التي تبذل لمواكبة عملية الحفاظ على الشخصية والطابع الحضري للجوهر التاريخي وليس مجرد الحفاظ على الآثار البشرية.

فقد أدى الاهتمام العالمي الواسع إلى جلب الدعم المالي الخارجي والذي كان له عظيم الأثر في عملية تجديد المشروعات الفردية. وتمكنت السلطات اليمنية بمساعدة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) وهيئات أخرى من الحفاظ على الكينونة الموحدة للمشروع بأكمله وتكامل عناصره عن طريق التركيز على الهيكل الكلي للمدينة، وإعادة رصف طرقها وتشجيع مواطنيها على إصلاح حدائقها القديمة وإعادة الروح إليها. أما اليوم فيتنامى دور المجتمعات المحلية في إحياء وترميم تراثها. ومع تواصل الجهود، يزداد التركيز على تطوير القاعدة الاقتصادية للمدينة التاريخية، وربطها بباقي أرجاء المدينة والذي يعد هدفاً في حد ذاته على الرغم من أن مشكلات الوصول بالسيارات لهذه المناطق، والقضاء على المخلفات الصلبة لا تزال باقية بلا حل.

البعد التنظيمي

تقوم الهياكل التنظيمية بطبيعة الحال بالتأثير سلباً أو إيجاباً في إيجاد حلول فعلية للغز التراث الثقافي الحضري. وغالباً ما تكون تلك الأنظمة معقدة



كيف يمكن أن نحمي المباني التاريخية

وبيروقراطية حيث تتضمن تلك الهياكل جهات متعددة وتعقيدات بيروقراطية كثيرة، ولكنها لا ترقى لضم العديد من السكان بصورة فعلية، أو استيفاء احتياجات مستثمري القطاع الخاص والذين قد يمثلون الركيزة الأساسية التي يقوم عليها تجديد القاعدة الاقتصادية للمدن التاريخية. ومن الاتجاهات التي يمكن التطرق إليها في هذا السياق، الاستعانة بهيئة أو جهة معينة لتنمية المناطق التاريخية.

ولقد تناولت هذه الجزئية من المشكلة في سياق آخر، ولكن الفكرة ذاتها تعد بسيطة للغاية، حيث يمن اختراق النظم الروتينية الحكومية عن طريق وضع سياسة صارمة إلى جانب تحديد الهيكل المنظم لعملية اتخاذ القرار بحيث تكون هناك إدارة مسؤولة ولكنها في الوقت نفسه تتسم بالكفاءة والفعالية وتكون مسؤولة بصفة أساسية عن كل ما يتعلق بالمنطقة الأثرية.

ومن أهم عناصر التجديد والتطوير هو تحديد حقوق جميع الجهات المشاركة في العملية الإنمائية إضافة إلى تحديد الحصص المالية المخصصة لها وفقاً لحجم الأعمال التي ستقوم بها في المنطقة الجغرافية موضع الاعتبار. ومن ثم سيصبح للحكومة صفة مميزة، بادئ ذي بدء، حيث إنها تمتلك جزءاً كبيراً من الأراضي نظراً لامتلاكها العديد من الأماكن العامة، ووفقاً لهذا النظام يمكن أيضاً تحديد القيمة الإيجابية للأماكن الخاصة في إطار تحديد المخصصات للمستأجرين.

إعادة الاستخدام والمرونة

ما هي الأماكن التي يجب الحفاظ عليها وصيانتها؟ وكيف؟ ولماذا؟ تلك التساؤلات طالما راودت العديد من المتخصصين من ذوي الموهبة. ونحن لا نعني بذلك صيانة المساكن وتجديدها لإعادة تهيئتها للسكنى، على الرغم من أن تلك العملية تحظى بأهمية بالغة، ولكننا نقصد هنا التحدي الأكبر والأكثر صعوبة المتمثل في ترميم المناطق الأثرية والمحافظة على النسيج الحضري من ناحية، والإبقاء على خاصية المكان وطابعه المميز والشخصية الحضرية من ناحية أخرى. وما زالت القطع الأثرية، سواء على نحو فردي أو مجمع، تمثل العنصر الرئيس الذي يحدد خاصية المكان وتضفي عليه طابعه المميز الذي يرسم الصورة الخلابة التي تعلق بالأذهان، كما تضفي طابعاً انفعالياً على الساحات الشعبية المحيطة به أيضاً. ومن ثم، فإن الفلسفة التي تخطط سياسة إحياء وتجديد المناطق الأثرية ككل لا بد وأن تأخذ في اعتبارها المحافظة على الآثار الهامة وترميمها وصيانتها، تلك الآثار التي تمنح المدن التاريخية صبغتها الخاصة وصفتها المميزة.

إن مصطلح «التأهيل لإعادة الاستخدام» يقوم بوصف أعمال التجديد التي تتم على المباني القديمة من أجل إعادة استخدامها ونعني بذلك أن تبقى تلك المباني آهلة بالسكان فتصبح جزءاً من النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمدينة فضلاً عن تحولها إلى أماكن أثرية مغلقة.

وعند تقييم نوعية مشروعات التجديد من أجل إعادة الاستخدام، لا بد وأن نمنح وزناً وثقلاً كبيراً لكل من الاستخدامات الجديدة المبتكرة والناجحة، ولمدى محاكاة عملية إعادة الاستخدام للمناطق الأصلية

المحيطة، إضافة إلى الصعوبات الفنية لتجديد تلك المباني وإعادة تأهيلها، إلى جانب نوعية أعمال الصيانة والتجديد ذاتها. وقد تحولت قصور قديمة إلى فنادق، كما تحولت منازل إلى مكاتب ومراكز ثقافية ومتاحف. ومما لا شك فيه أن تحويل المنازل القديمة إلى متاحف يمنحها المكانة اللائقة بها. وتتطلب عملية تحويل بعض المتاحف إلى مواجهة تحديات تتسم بالصعوبة الشديدة واستخدام الخيال، كما هوالحال في باريس في كل من متحف أورساي (والذي كان من قبل محطة للسكك الحديدية)، ومتحف بيكاسو (وهو الأصل فندق مُفس سابقاً).

وبما أن عملية تطوير وتجديد وتهيئة المناطق التاريخية القديمة من أجل إعادة استخدامها تعد الوسيلة الوحيدة لإبقاء تلك المناطق نابضة بالحياة، فالأحرى بنا أن نمنح اهتماماً خاصاً لأعمال الترميم والصيانة للمباني لإعادة تأهيلها للاستخدام. ويمكن أن تكون نوعية الاستخدام ذاتها للمباني مصدراً للجدل إذا لم تتوافق وتتماشى مع مشاعر وأحساسيس أفراد المجتمع. فقد نجد أن بعض الأماكن (تركت مهجورة) نتيجة التغيرات المتتالية في الكثافة السكانية أو تصدع الهياكل الإنشائية والمباني ذاتها. وفي نفس السياق، فمن الممكن أن تتحول أماكن العبادة السابقة إلى مدارس أو مراكز ثقافية، ولكن تحويلها إلى ملاه ليلية أمر مزر وغير مقبول على الإطلاق. ويجب أن تقترن عملية المحافظة على المناطق الأثرية بتوفير المرونة اللازمة لنوعيات الاستغلال المختلفة لتلك المناطق. فقد أثبتت التجارب الحية أن الالتزام الصارم بنظم وقواعد الترميم البحتة التي تفرض عدم إحداث أي تغييرات على الصورة الأصلية للمباني يؤدي إلى عدم الاستغلال الأمثل للممتلكات والأبنية.

ومن ثم، نجد لزاماً علينا القيام بمراجعة القواعد واللوائح السائدة المنظمة لعمليات الصيانة والترميم للمباني الأثرية من أجل ضمان أن تحقيق الأهداف لا يعمل في حد ذاته على تقويض القدرة على إعادة استخدام المباني وبالتالي يعيق أي تطور للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لجوهر المدن التاريخية.

المربع السادس: فلسفات أعمال الصيانة

تتعدد الوسائل وتتنوع الأساليب من أجل المحافظة على الآثار وترميم المدن التاريخية والمناطق الأثرية، وهي بحق تستحق كل المساندة والدعم، ولكن لا بد أن يتم التعامل مع كل منها على حدة وبمعايير مختلفة. وتتضمن تلك المعايير كل من الصعوبات الفنية، ونوعية التفاصيل الدقيقة التي يجب مراعاتها، إلى جانب دقة الأساليب المستخدمة في أعمال الترميم وكذلك ملاءمة المواد التي يتم توظيفها لتلك الأغراض.

إضافة إلى ذلك لا بد وأن تُراعى الحرفية والمهارة في أعمال الترميم والتجديد وألا تتجاهل تلك الأعمال معرفة المجتمعات لتراثها وحضارتها.

وقد تم وضع ثلاث فلسفات لتنظيم تلك العملية، تشمل الفلسفة الأولى المهتمين بالتمييز بعناية بين القديم والجديد، أما الثانية فتختص بالمهتمين بأعمال تجديد المباني وإعادة الفخامة والعظمة السابقة إليها (مع مراعاة الدقة المتناهية حتى لا يمكن تمييز مواد البناء والطوب الجديد الذي يتم استخدامه في أعمال التجديد). بينما تشمل الفلسفة الثالثة المهتمين بتذكير العامة وتعريفهم بالصورة التي كان من الممكن أن تبدو عليها تلك المباني في الماضي.

الاقتصاد هو الحل

وعند تنفيذ أي من الأعمال الهامة سابقة الذكر يجب أن تكون لدينا أولاً القدرة على توفير الدعم المالي اللازم، واختيار المشروعات الاستثمارية المناسبة، من أجل إحياء وتطوير القاعدة الاقتصادية للمدن القديمة والمحافظة على آثارها الرائعة والإبقاء على الطابع المميز لشخصيتها إلى جانب استيفاء الاحتياجات الثقافية والاجتماعية لقاطني تلك المدن بالإضافة إلى تلبية احتياجات الأجيال الصاعدة. وبطبيعة الحال ستواجهنا العديد والعديد من المشكلات الفنية. وهناك عناصر يجب توافرها من أجل التغلب على تلك العقبات تتمثل في وجود خيال رحب لرسم الأسلوب الأمثل لإعادة استخدام الأبنية القديمة، إلى جانب توافر كل من الخبرات الفنية الواسعة والدعم المالي اللازم.

ومن ثم، فإن عملية استجماع الطاقات والموارد ستستلزم تحليلات مالية واقتصادية شديدة الدقة توضح كيفية استثمار الأموال كما تحفز القطاع الخاص للاستثمار في تلك المجالات. وفي الوقت الراهن لم يتم تطبيق تلك الأساليب بصورة منتظمة في المدن الأثرية.

ولهذا خصصنا الجزء الباقي من هذا البحث لتناول:

أ) الأساليب الحديثة للتحليلات الاقتصادية لمشروعات التراث الثقافي وبعض التطبيقات.

ب) الأمثلة الحية الموجودة في منطقتي حفصية في تونس وفارس في المغرب.■



الشعراء والرواة سادة الإعلام في العصرين الجاهلي والإسلامي

■ محمد علي خميس النجار

يعدُّ الشعر من أهم الوسائل الإعلامية في العصر الجاهلي، فقد استطاعت هذه الوسيلة أن تثبت وجودها على امتداد الصحراء العربية، وأن تستوعب الزمان، وأن تتجاوز المكان، مسافرة هنا وهناك على موجات الأثير، وهي تحمل ما تحمله من مادة إعلامية دعائية تخاطب العواطف، أو دعوية تخاطب العقول، أو تثقيفية تعليمية تهذيبية تعدّل السلوك. وقد أعطاها هذا دواماً واستمراراً زمنياً طويلاً.

وقد استطاع الشعر أن يحتل مكانة متقدمة بين وسائل الإعلام الأخرى في العصر الجاهلي، لما يتمتع به من مميزات أهمها: الموسيقا التي يقوم عليها، والقافية التي تنتهي أبياته بها، وبالتالي سهولة حفظه وتداوله وتناقله وروايته، بما يحمل من موضوعات قد تهم قبيلة ما، أو مجموعة قبائل، أو لما يحمله من المعاني السامية التي تستحق الحفظ والتداول. فالشعر مفضل على غيره «لطول بقائه على أفواه الرواة، وامتداد الزمان الطويل به، وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض.. واستفاضته في الناس، وبُعْد سيره في الآفاق، وليس أسير من الشعر الجيد.. وقد قيل: لا شيء أسبق إلى الأسماع وأوقع في القلوب، وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر، وشعر نادر»[1] ومن هنا، كان للشعر قصب السبق كوسيلة إعلامية بين جميع الوسائل الإعلامية الأخرى في العصر الجاهلي.

ميلاد الشعر

وبدايات الشعر موضوع كَتَبَ فيه كثير من الباحثين والمؤلفين، قدامى ومحدثين، حتى كاد المتصدي للحديث في هذا الموضوع يردد بينه وبين نفسه بيت الشعر القائل:

ما أرانا نقول إلا معاراً
أو معاداً من لفظنا مكرورا

إلا أن ذلك لا يمنع من أن نشير في عجالة إلى نشأة الشعر وبداياته، ونحن نتحدث عن الشعر كوسيلة إعلامية تميزت عن غيرها، وعن العصر الجاهلي الذي نشأ فيه الشعر، وترعرع ونضج واكتمل في صورته التي ما زال عليها حتى عصرنا الحاضر، وإن كان نفرٌ قد حاول التجديد في جانب منه.

فالشعر الجاهلي ليس حديث العهد، بل هو قديم قدم الإنسان الجاهلي الذي كان يترنم بينه وبين نفسه بشعر ذاتي بدائي، بالتفعيلة والتفعيلتين، ثم بالشطر والشطرين، فالبيت والبيتين، وهو ما استطاع العربي في جاهليته أن يخترعه ليسلي به نفسه، وإن كان هذا الشعر - إن جاز لنا أن نسميه كذلك - لم يصلنا منه شيء يدعم هذا القول.

لقد ظل الشعر بصورته الأولى يتردد على ألسنة بعضهم ما شاء الله له أن يظل كخطوة أولى نحو الشعر في مرحلة ما قبل طفولة الشعر، ولعل هذا ما أشار إليه (بروكلمان) عندما تحدث عن قوالب الشعر العربي، وذهب إلى أن «أقدم القوالب العربية هو السجع، أي النثر المقفى المجرد من الوزن»[2] أو ذلك النثر المقفى الذي لا يخلو من تفعلية هنا، وتفعيلة هناك تزيد من موسيقاه، أو قل: كالشعر الذي يكتبه متشاعر فيحرص على وجود القافية وبعض التفعيلات، ما تنافر منها وما ائتلف، معتقداً أن ما كتبه إنما هو الشعر

الأحداث الكبيرة نقلت الشعر من الذاتي إلى الموضوعي ونقلت الشعراء من الخمول إلى الشهرة

لقد ظل النثر الشعري الجاهلي - إن جاز هذا التعبير - يتدرج على ألسنة بعض الناس من ذوي الشعور الذين يتمتعون بحس موسيقي ربما اكتسبوه من خلال إحساسهم بما في الحياة الصحراوية من حركات رتيبة مكرورة، تحفل بها الصحراء، هي بمثابة إيقاعات يصنعها سير الإبل، أو يوجد تفعيلاتها صوت قطاة عطشى تسعى نحو الماء، أو غير ذلك من معطيات البيئة العربية الصحراوية.

واحتاج الإنسان العربي - كغيره - إلى مادة يتغنى بها فوجد النثر، ولمّا كان النثر - عند العرب - لا يصلح للغناء، كان لا بد من إيجاد البديل، يقول ابن رشيق القيرواني: «وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد وسمحائها الأجواد، لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به، أي: فطنوا»[3]، ولعل العرب لم يتوهموا هذه الأوزان دفعة واحدة، بل سبق هذا التوهم - الذي أشار إليه ابن رشيق - مقدمات ومحاولات كثيرة، فقد اهتدى العربي في الصحراء إلى الشعر متدرجاً بالفطرة، وبتأثير من الطبيعة الحياتية التي ألِفَها، فهو كائن في هذا الوجود يحس بما حوله، ويشعربه، ولا بد له من أن يعبّر عما يجيش بخاطره، وإذا كان التعبير عن النفس يتم بالنثر، فإن هناك بعض المواقف التي يجد الإنسان نفسه - تلقائياً - يعبّر عمّا يجيش بخاطره بالموسيقا يملأ بها فمه!! أو بالغناء، أي غناء، ولو بترديد مقطع واحد بحيث يؤدي ترديده إلى ما يشبه الغناء.

إذاً فالشعر العربي قد قطع رحلة طويلة يراها الجاحظ تمتد إلى مائة وخمسين سنة أو مائتين فيقول: «أما الشعر فحديث صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام»[4]، فهل كانت بداية الشعر - حقاً - قبل قرنين فقط من ظهور الإسلام؟ وهل يعني الجاحظ في قوله أن الشعر بدأ دفعة واحدة مع امرئ القيس بشعره المكتمل الناضج، أو مع طرفة بن العبد، أو مع زهير بن جناب الذي عُمّر حوالي مائة وخمسين عاماً، ويقال: إنه مات حوالي سنة خمسمائة بعد الميلاد!.

لا أعتقد أن أحداً يستطيع أن يزعم أن الجاحظ قصد ذلك، أو أشار مجرد إشارة إليه، فالجاحظ لا تعوزه

الفطنة حتى تغيب عنه هذه الأمور، إنما عنى الجاحظ بقوله السابق: أن عمر الشعر المكتمل بدأ مع امرئ القيس دون أن يرى ضرورة لأن يقول: إن هذا الشعر سبقته محاولات وإرهاصات شعرية عديدة استغرقت سنوات طويلة إلى أن اكتمل ونضج واشتد عوده كما رآه الجاحظ، ورأيناه نحن فيما بعد في شعر امرئ القيس، وغيره من الشعراء الجاهليين.

إذاً فامرؤ القيس ليس أول من قال الشعر، فقد سبقه شعراء قالوا الشعر، وأجادوا فيه، ورسموا له طريقته، إلا أن هذا الشعر السابق لامرئ القيس لم تتهيأ له الفرصة الإعلامية فيرويه الرواة، وليس معنى ضياع الشعر السابق على امرئ القيس خلو الساحة من الشعراء قبله، بل كان هناك شعراء قالوا الشعر أبياتاً ومقطوعات بل قصائد، وإن كان هناك من يقول: إنه «لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قصّدت القصائد، وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف»[٥].

وقد اعترف امرؤ القيس بأنه مسبوق بشعراء سار على هديهم، واتبع خطوهم، فهو يشير إلى شاعر سبقه بكى الديار قبله، وسهّل طريق الشعر أمامه، فيقول:[٦]

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكي الديارَ كما بكى ابن خذام

ويقول ابن سلام: «وهو (ابن خذام) رجل من طيء لم نسمع شعره الذي بكى فيه، ولا شعراً غير هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس»[٧]. أما ابن الكلبي فيقول:[٨] إن «أول من بكى الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام بن معاوية، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

يا صاحبي قفا النواعج ساعة
نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وهذا عنترة العبسي يقول في مطلع معلقته:[٩]

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

فهو في هذا البيت يشير إلى أن الشعراء قبله لم يتركوا موضوعاً يقال فيه شعرٌ إلا وقد عرضوا له بشعرهم قبله، حتى لم يترك الأول للآخر شيئاً.

لقد تعددت الروايات حول أول شعر قيل، وأقدم الشعراء، فكان من هذه الروايات ما لا يقبله عقل ولا منطق، ومنه ما يحتاج إلى حجة، ومنه ما يعوزه دليل، ومنه - أيضاً - ما يقف الإنسان أمامه بين الشك واليقين.

وهذه الروايات وتلك مبعثرة في غير مصدر أدبي، أو تاريخي، فهذا ابن سلام يقول: «من قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم، وكان مجاوراً في بهراء، فرابه ريبٌ فقال:[١٠]

قد رابني من دلْويَ اضطرابُها
والنأي في بهراء واغترابها
أن لا تجيء ملأى يجيء قرابها

ثم يورد أبياتاً لزهير بن جناب الكلبي، وكان قديماً شريف المولد، وطال عمره فقال:[١١]

أبُنيّ إن أهلك فإني قد بنيت لكم بنيّه
وجعلتكم أبناء سادات زنادكم وريّه
من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيّه
والموت خيرٌ للفتى وليهلكن وبه بقيّه
من أن يرى الشيخ البجال وقد تهادى بالعشية

وبالرغم من الروايات التي تذكر شعراء، أو أناسي قالوا الشعر في أزمان متقدمة، فإن هناك من جعل امرأ القيس أول الشعراء، ومنهم من قال: إن أول الشعراء عبيد بن الأبرص، وادعى آخرون أنه المهلهل، وزعم غيرهم أنه عمرو بن قميئة، والمرقش الأكبر، بل قالوا: هو أبو دؤاد، وغير هؤلاء وأولئك من قدّم الأفوه الأودي. على أن «أول من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب. قال الفرزدق: «ومهلهل الشعراء ذاك الأول»[١٢].

ويقول الأصمعي: «أول من يُروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم، ثم ضمرة، رجل من بني كنانة، والأضبط بن قريع. قال: وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة، وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير»[١٣].

من كل ما تقدم، وبالرغم من كثرة الروايات، وتعدد الدراسات حول بدايات الشعر فإنه لا يسع المرء غير أن يقول: كان «للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه» وقد اختلف في ذلك العلماء[١٤] قبلنا بقرون، فنشأة الشعر لا تزال مبهمة، وبداياته ضائعة، ولا عجب في أن تضيع الإرهاصات الأولى للشعر العربي، وتطويها مسافات الزمن، ومجاهل الصحراء، إلا أن هذا لا يمنع القول: إن الشعر العربي الجاهلي الذي وصلنا ما هو إلا مرحلة سبقتها مراحل، وما هو إلا حلْقة من سلسلة يشد بعضها برقاب بعض، بل هو ثمرة محاولات

شعرية بدأت تتعثر ثم تنهض حتى وصلنا الشعر ناضجاً مكتملاً له نظامه، وله قواعده وأصوله.

مكانة الشعر الإعلامية

إذاً فبداية الشعر وأول الشعراء لا يوقف عليهما، إلا أن من القدماء من حدد أوليته وربطه بمهلهل بن ربيعة، فقد «زعم الرواة أن الشعر كله كان رجزاً وقطعاً.. وكان أول من قصّده مهلهل، وامرؤ القيس»[15] ولعلّي هنا أستطيع أن أشير إلى أنه لا يوجد ما يمنع أن يكون الشعر مقصّداً قبل مهلهل، إلا أن هذا الشعر كان قبل مهلهل ذاتياً، بمعنى أن الشاعر كان يعبر فيه عن نفسه ولنفسه، وبلهجته المحلية! لذا كان هذا الشعر - قبل مهلهل - محصوراً في القبيلة، وربما في العشيرة، بل لعله كان محصوراً في فئة قليلة، لأنه لا يهم إلا قائله ونفراً من أصدقائه المحيطين به، والمقربين إليه، حتى إذا ما أصبح الشعر وسيلة إعلامية لعوامل طارئة في القبيلة، ارتفع الشعر إلى مستوى المسؤولية، وارتقى إلى مستوى الحدث وأهميته، ولعب دوره الإعلامي، وأصبح جديراً بالتسجيل في الذاكرة وحفظه في الصدور، وروايته على الألسن، وتداوله بين الرواة، وهذا ما جعل المهلهل أولَ من قصّد الشعر – إن كان حقاً أولهم – وربما ما كان له أن يقصد الشعر، ويكون أول من يفعل ذلك لولا الظروف التي أحاطت بقبيلته، وبه شخصياً، فدفعته دفعاً بعد مقتل أخيه، واشتعال حرب البسوس التي فتَّقَت الشعر على لسانه فقصده لحاجة الحرب إلى الإعلام بالشعر.

إذا فالشعر بدأ – فيما يبدو – وقصّد لضرورة إعلامية، تلك الضرورة التي أعطت الشعر دفعة إلى الأمام، وزادته أهمية استمرت حتى وقت طويل، حيث رافق الإعلام الشعري جهودهم العسكرية والسياسية –إن جاز التعبير – ووقف الشاعر يدافع عن القبيلة وينافح عنها، ويرد على خصومها سهام ألسنتهم، يرفع من قدر قبيلته، ويخفض من قدر خصومها. وقد عرفت قبائل العرب ما للشعر من خطر إعلامي، فوضعته في مكانته التي يستحقها، واعتمدت عليه في كثير من أمورها.

الشاعر كرجل إعلام

اهتم العرب في العصر الجاهلي بالشاعر كرجل إعلام، فكان اهتمامهم يعكس مدى الاهتمام بالإعلام ذاته «ففي سوق عكاظ كانت القبائل العربية ترسل أبلغ شعرائها إعلاماً عن فصاحتها وحصافتها، وقوة بيانها، وكان الفخر كل الفخر للقبيلة التي يفوز شعراؤها وخطباؤها بالقدح المعلى»[16] وقد كان الشعر في العصر الجاهلي هو المسيطر على الساحة الإعلامية، وهو الذي يرفع ويخفض إذ «ليس يؤثر في الأعراض والأنساب تأثير الشعر في الحمد والذم شيء من الكلام، فكم من شريف وضع، وخامل دنيء رفع»[17] ونتيجة لذلك فقد «عظم الشعر، وتُهيّبَ أهلهُ خوفاً من بيت سائر تُحدَى به الإبل، أو لفظة شاردة يضرب بها المثل.. فقد رفع كثيراً من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد الخمول والاطراح، حتى افتخروا بما كانوا يُعيرون به، ووضع جماعة من أهل السوابق والأقدار الشريفة، حتى عُيروا بما كانوا يفتخرون به، فممن رفعهُ ما قيل فيه من الشعر بعد الخمول «المحلق»[18] وقصته مشهورة مع الأعشى[19].

وكان الشعر في العصر الجاهلي أسرع وسيلة إعلامية للنشر، وإذا كان الشعر قد وُصِفَ بأنه صحيفة القبيلة، فإن الشعر أيضاً كان إذاعة القوم التي تصل على موجات الأثير إلى كل مكان. وقد عرف العرب هذه الخاصية في الشعر في ذلك الوقت، فهذا المسيب بن علس يقول في قصيدة يمدح بها القعقاع بن معبد بن زرارة:[20]

فلأهدينَّ مع الرياح قصيدةً
منيّ مغلغلةً إلى القعقاعِ
تَردُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً
في القومِ بين تَمثّلٍ وَسَماعِ

وكأني الشاعر يريد أن يقول:

فلأرسلنَّ على الأثير قصيدةً
منيّ ملحنةً إلى القعقاعِ
تَردُ البلادَ فما تزال مذاعةً
في الناس بين تَرنُّمٍ وسَماعِ

فالشاعر، هو المنبع، والرياح، هي التي تحمل رسالته الإعلامية، وإذا ما أنيعت هذه الرسالة وانتشرت، فلا راد لها، فقد التقطتها أجهزة الاستقبال في ذلك العصر وبثتها من جديد. فقد كان عميرة بن جعل قد هجا قومه بأبيات أولها:[21]

كسا اللـه حيَّ تغلب ابنة وائل
من اللؤم أظفاراً بطيئاً نصولها

وأذيعت هذه الأبيات، وانتشرت بين الناس، ولم يعد باستطاعته أن يرد هجاءه كما يُردُّ الحسام إلى غمده، فقد سبق السيف العذل! ولم يعد ندَمُهُ يفيده شيئاً، وقد شعر عميرة بذلك فقال حيث لا ينفع الندم:[٢٢]

ندمت على شتم العشيرة بعدما
مضت واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أسطيع دفعاً لما مضى
كما لا يرد الدر في الضرع حالبه

فقد تناقل الرواة الشعر، وهم قطاع مهم في المؤسسة الإعلامية في العصر الجاهلي، فانتشرت الرسالة الإعلامية بما تحمله من خير أو شر، فالشعر في العصر الجاهلي كان وسيلة إعلامية خطيرة لا تقل خطراً عما للإذاعة والصحافة في عصرنا من خطورة وأهمية في المجتمع، خاصة وأن رواة الشعر قد اتقنوا أدوارهم كمندوبين ومراسلين لوسيلتهم الإعلامية، تماماً كما يفعل المراسلون في عصرنا الحاضر.

دور الشعر في العصر الإسلامي

ولا أدل على خطورة الشعر كوسيلة إعلامية، من موقف قريش عندما خشيت من خروج الأعشى قاصداً رسول الله ﷺ يريد الإسلام، وقد أعد له قصيدة يمدحه فيها[٢٣] وذلك قبل فتح مكة. فقد أدركت قريش ما للشعر من دور إعلامي في ذلك العصر، بل ما لشعر الأعشى من تأثير إعلامي قوي، بما له من رواة كثر، وجمهور عريض، وعشاق لفنه، مما جعل أبا سفيان يعترض طريقه ويراوده في أمره، ويحاول بشتى الطرق والوسائل ثنيه عن عزمه، ثم انطلق به إلى منزله، وجمع أصحابه إليه ثم قال: «يا معشر قريش هذا أعشى بن قيس، وقد علمتم شعره، ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم العرب قاطبة بشعره، فجمعوا له مائة ناقة حمراء»[٢٤] حتى يحتفظ الأعشى بشعره فلا يذيعه بين القبائل العربية، فيُحدِث أمراً تخشاه قريش، وحتى تمنع عن المسلمين وسيلة إعلامية جديدة تضاف إلى وسائلهم، كان من شأنها أن تغيّر - من وجهة نظر قريش على الأقل - موازين القوى السياسية، لأن الشعر، بل شعر الأعشى بالذات كان سيجد من الرواة الكثير من الاهتمام، فينتشر في الجزيرة العربية في سرعة مذهلة، فقديماً قالوا: «أسير من شعر، لأنه يَردُ الأندية، ويلج الأخبية سائراً في البلاد، مسافراً بغير زاد»[٢٥].

وقد سجلت المصادر الأدبية مواقف وقصصاً تدل على قوة تأثير الإعلام الشعري في العرب، فهؤلاء بنو نمير «كان إذا سئل أحدهم: ممن الرجل؟ فخم لفظه، ومد صوته وقال: من بني نمير، إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعي والتي قال فيها:

قصة ذهاب الأعشى إلى الرسول نموذج لرهبة الإعلام الشعري وتأثيره

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً[٢٦]

ويقول أبو عبيدة[٢٧]: حتى صار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر.
وقد صار بنو نمير مضرباً للأمثال في الهجاء فما «في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به نمير من بيت جرير»[٢٨] حتى أن القصّاص وأصحاب النوادر لم يتحرجوا في توليد وإضافة أخبار إلى بني نمير تدور في هذا المجال[٢٩].
وإذا كان الإعلام الشعري قد خفض من بني نمير، فقد رفع من بني أنف الناقة[٣٠] فقد كان الرجل من بني أنف الناقة إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال من بني قريع، فما هو إلا أن قال الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

حتى صار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟قال: من بني أنف الناقة «فصاروا يتطاولون بهذا النسب، ويمدون به أصواتهم في جهارة»[٣١].
إن للمثالين السابقين دلالة على أهمية الشعر الإعلامي في العصر الإسلامي، تلك الأهمية التي نجدها - أيضاً - في العصر الجاهلي من خلال أمثلة تؤكد أن العربي في العصر الجاهلي، وما بعد العصر الجاهلي، استشعر أهمية الإعلام الشعري، وعرف ما له من أهمية، ألم يَبْكِ سيد بني مازن، مخارق بن شهاب حين أتاه محرز بن المكعبر الضبي الشاعر فقال: إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسْعَ لي فيها، فقال: وكيف

وأنت جار وردان بن مخرقة؟ فلما ولى عنه محزوناً، بكى مخارق حتى بلّ لحيته. فقالت له ابنته: ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أغنه؟ والله لئن هجاني ليفضحني قوله، ولئن كفّ عني ليقتلني شكره!! ثم نهض، فصاح في بني مازن، فردت عليه إبله[٣٢].

إذن عرف العرب ماذا يعني هجاء شاعر في ميزان الإعلام في ذلك العصر، بل لقد بلغ خوفهم من الهجاء، ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسب به الأحياء والأموات، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب[٣٣] وهو الذي يقول:[٣٤]

جزى الله قومي بالكلاب ملامة
صريحهم والآخرين المواليا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة
أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا
فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
وتضحك مني شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

تأثير الشعر على المتلقي

هذا ما كان من مكانة الشعر الإعلامي المباشر، أما مكانة الشعر في جوانب الحياة الجاهلية الأخرى، فهي لا تبعد كثيراً عن مجال الإعلام، فقد كان للشعر تأثيره السحري في النفس البشرية، وفي السلوك الإنساني، فهذا علقمة بن عبده المعروف بعلقمة الفحل يقصد الحارب بن أبي شمر الغساني، وقد أسر أخاه شاس بن عبده في تسعين رجلاً من بني تميم، فيمدحه في قصيدته المشهورة التي أولها:[٣٥]

طحا بك قلب بالحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

فلما بلغ إلى قوله:

فلا تحرمني نائلاً عن جناية
فإني امرؤ وسط القباب غريب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الحارث: نعم. وأذنبه، وأطلق له شاساً أخاه، وجماعة أسرى بني تميم، ومَن سأل فيه أو عرفه من غيرهم.

ويظل أثر الشعر في النفوس عظيماً، حتى في صدر الإسلام، ألم يقل رسول الله ﷺ لما عرضت له قتيلة بنت النضر بن الحارث بن كلدة، وهو يطوف بالبيت واستوقفته.. وأنشدت شعرها بعد مقتل أبيها والذي قالت فيه:

ما كان ضرك لو مَننْت وربما
مَنَّ الفتى وهو المغيظ المحنقُ
فالنضرُ أقرب من تركت قرابة
وأحقهم إن كان عتق يُعتقُ

ألم يقل رسول الله ﷺ : «لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته»[٣٦]. ثم ألم يستعطف الشاعر الحطيئة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأبيات بعد أن حبسه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر فقال:[٣٧]

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرقّ له عمر وخلى سبيله[٣٨].

وهكذا كان الشعر بحق ديوان العرب «ديوان علمهم، ومنتهى حكمتهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»[٣٩] حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»، فهو مرآة انعكست عليها الحياة الجاهلية بما فيها من وقائع وأحداث، وخلاف واتفاق، واجتماع وتفرق، وتنافر وتناحر وتفاخر. كان الشعر الصورة التي نقلت إلينا بصدق حياتهم، فهو الصوت الذي يعبر عن مواقفهم، واللسان الذي ينطق بآرائهم، وفوق هذا كان الشعر «نظاماً إعلامياً يُقصدُ به التأثير على الناس على نحو ما تفعله أجهزة الإعلام الحديثة»[٤٠].

وقد استطاع الشعر أن يستوعب أغراض الإعلام في العصر الجاهلي، وأن يحققها إلى جانب الوسائل الإعلامية الأخرى، وإن ظل في مقدمة هذه الوسائل، بفضل ما توفره له من مقومات النجاح والانتشار، وأول هذه المقومات، وجود الرواة الذين أجادوا دورهم في نشر المادة الإعلامية الشعرية، بما تحمله من أخبار أو تثقيف أو ترفيه بين أفراد قبائلهم في أنحاء الجزيرة العربية.■

الحواشي

١) الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي وزميله، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، ص١٤٣.

٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م، ١ / ٥١.

٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل ١ / ٢٠.

٤) الحيوان، للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، منشورات المجتمع العربي الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م، ١ / ٧٤.

٥) طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص٣٥.

٦) ديوان امرئ القيس، بيروت، دار صادر، ص١٦٢، وينظر طبقات الشعراء، ص٣٨.

٧) طبقات الشعراء، ص٣٨.

٨) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العملية، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص٤٦.

٩) شرح المعلقات السبع للزوزني، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية ١٩٧٢م، ص١٩١.

١٠) طبقات الشعراء، ص٣٥. والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي وزميليه، دار إحياء الكتب العربية ٢ / ٤٧٥.

١١) طبقات الشعراء، ص٣٧. وينظر الشعر والشعراء، ص١٨١.

١٢) المزهر، ٢ / ٤٧٦.

١٣) السابق، ٢ / ٤٧٧

١٤) السابق، ٢ / ٤٧٧

١٥) العمدة، ١ / ١٨٨.

١٦) الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، محمد عبد القادر حاتم، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٧٣م. ٢ / ٢١.

١٧) الصناعتين، ص١٤٣.

١٨) العمدة، ١ / ٤٨.

١٩) ينظر العمدة ١ / ٤٨– ٤٩، وديوان الأعشى، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٦٨م. ص٢٦٧.

٢٠) المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٤م، ص٦٢.

٢١) السابق، ص٢٥٧، والشعر والشعراء ص٣٢٨.

٢٢) الشعر والشعراء، ص٣٢٨.

٢٣) ينظر ديوان الأعشى، ص١٨٥، والسيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، دار الكنوز الأدبية ١ / ٣٨٦.

٢٤) الشعر والشعراء، ص١١٤، وينظر ما جاء في السيرة النبوية ١ / ٣٨٨.

٢٥) مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م، ١ / ٣٥٤.

٢٦) العمدة، ١ / ٥٠.

٢٧) البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م، ٤ / ٣٥.

٢٨) السابق، ٤ / ٣٦.

٢٩) العمدة، ١ / ٥٠– ٥١، والبيان والتبيين ٤ / ٣٦.

٣٠) البيان والتبيين، ٤ / ٣٨.

٣١) العمدة، ١ / ٥٠

٣٢) البيان والتبيين، ٤ / ٤٢.

٣٣) السابق، ٤ / ٤٥.

٣٤) المفضليات، ص١٥٧– ١٥٨.

٣٥) العمدة، ١ / ٥٧.

٣٦) البيان والتبيين، ٤ / ٤٤، والعمدة، ١ / ٥٦– ٥٧.

٣٧) شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، دراسة وتحقيق سعود محمد عبد الجابر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٤٨م، ص٢١. والعقد الفريد، لابن عبدربه ١٩٤٠م، ٦ / ١٢٥، ٦ / ١٤٥.

٣٨) الشعر والشعراء ص١٥١، وقد ورد البيت الأول (ماذا أردت) و(حمر الحواصل).

٣٩) طبقات الشعراء، ص٣٤.

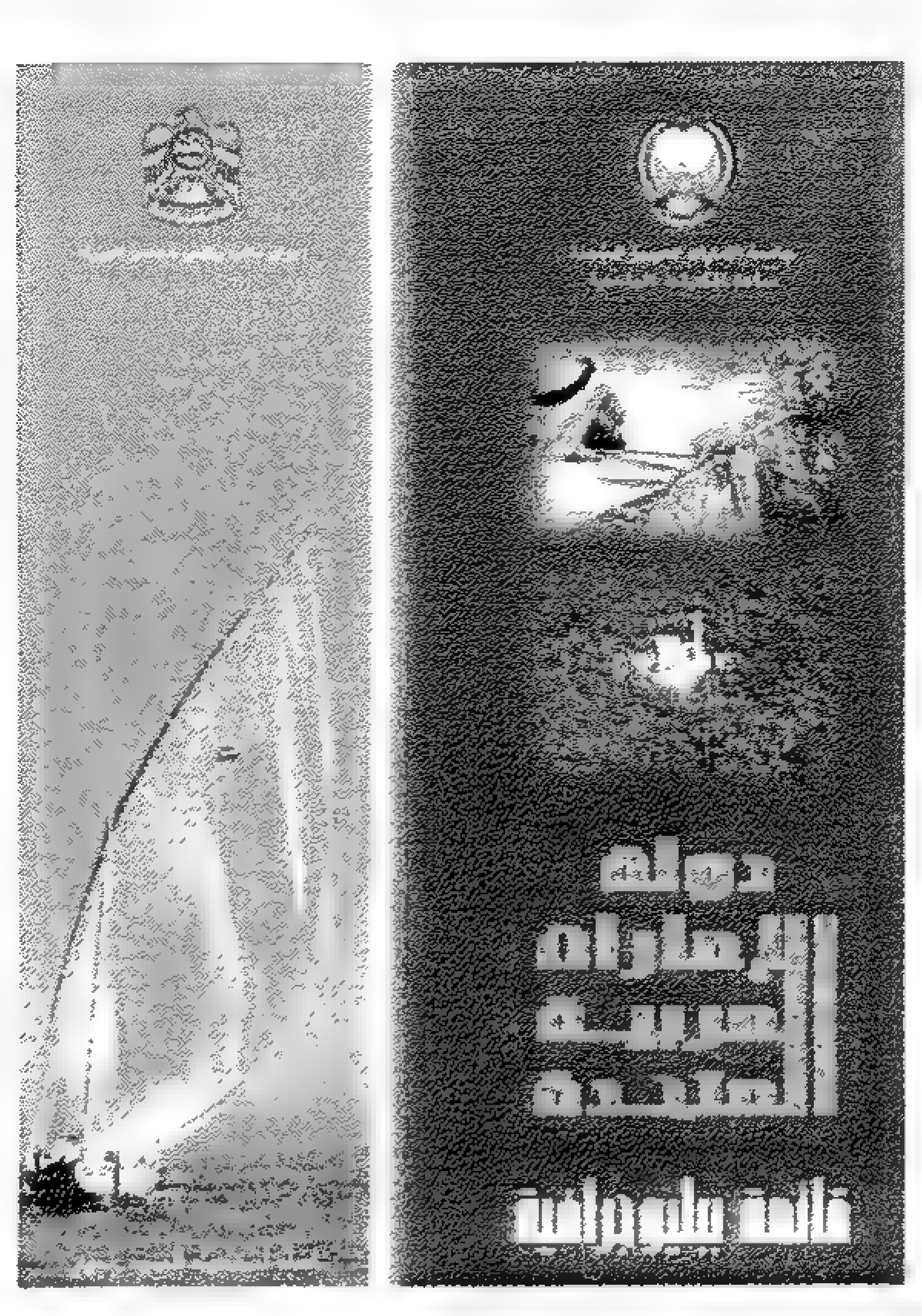
٤٠) السابق، ص٣٤، والعمدة ١ / ٢٧.

٤١) الإعلام الإسلامي، إبراهيم إمام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م، ص٨١.

(دولة الإمارات العربية المتحدة: قائمة ببليوجرافية)

(دولة الإمارات العربية المتحدة: قائمة ببليوجرافية) موسوعة صدرت عن ديوان نائب رئيس مجلس الوزراء، وقامت بنشرها عمادة المكتبات الجامعية في جامعة الإمارات العربية المتحدة في طبعتها الثانية الجديدة للعام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، وتقع في ٤٣٢ صفحة من القطع الكبير، وأعدها أحمد عبد الحميد عدوي أمين مكتبة ديوان نائب رئيس مجلس الوزراء.

المحتويات التي ضمتها القوائم البيليوجرافية للكتاب كانت: «آثار، ابن ماجد، الاجتماع، الإحصائيات، إدارة الأعمال، الإدارة العامة، الأدب العربي واللغة، الإسكان، الإسلام - الأحوال الشخصية والأسرة، الأطفال، الإعلام والاتصال بالجماهير، الاقتصاد، الأمن القومي، انحراف الأحداث، البنوك،



البيئة، التأمين، التاريخ، التراث الشعبي، التراجم، التعليم، التعليم العالي، تعليم الكبار، الثروة الحيوانية، الثروة السمكية، الثقافة، الجريمة والمجرمون، الجزر العربية الثلاث، الجغرافيا، حقوق الإنسان، الخدمة الاجتماعية، والرياضة».

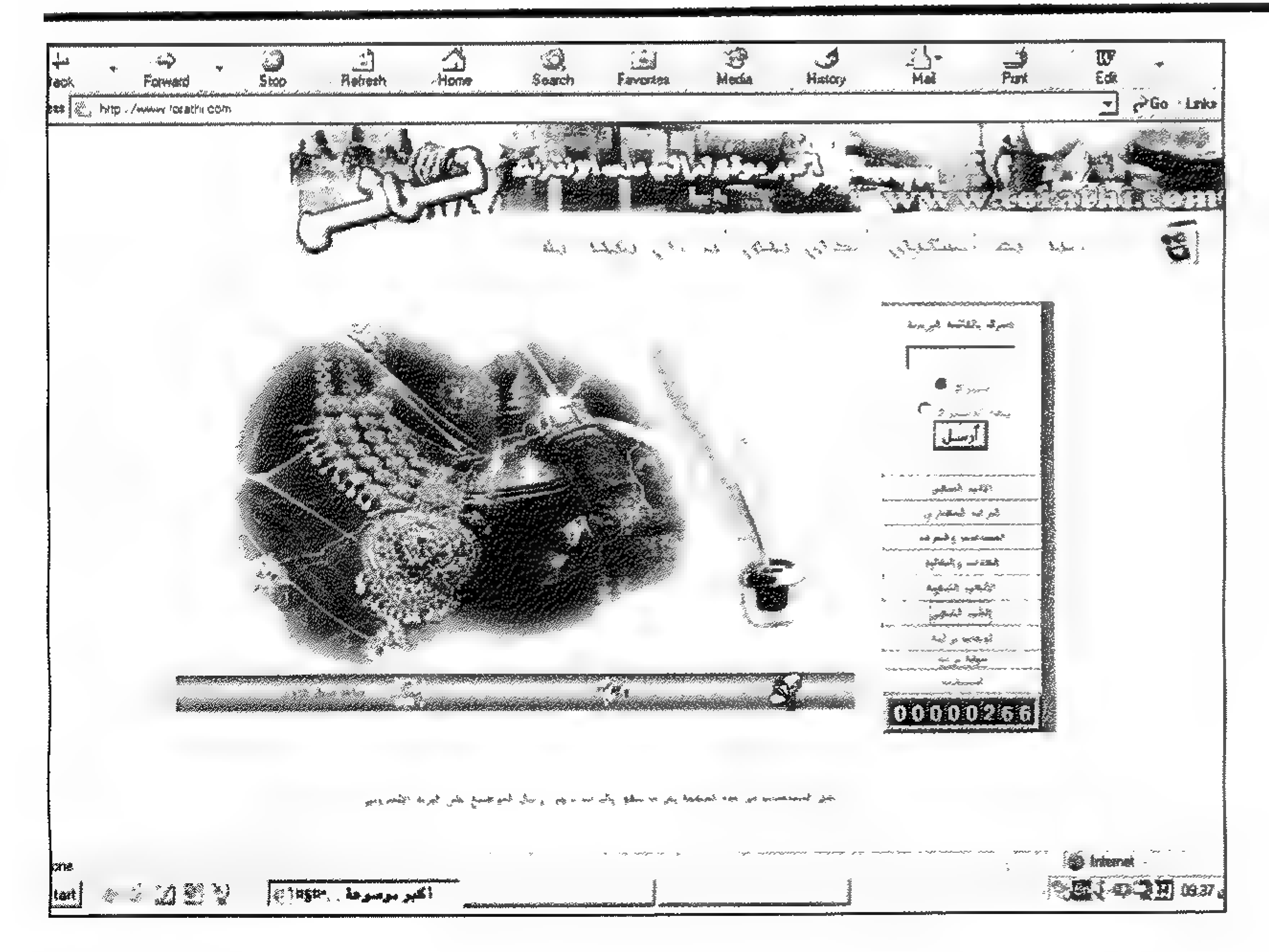
بالإضافة إلى: « زايد بن سلطان آل نهيان، الزراعة، السكان، السياسة الخارجية، الشباب، الشرطة، الشعر العربي والنبطي، الصناعة، علم النفس، العمارة، العمالة الوافدة، القانون، القانون الإدارة، القانون البحري، القانون التجاري، القانون الدستوري، القانون الدولي الخاص، قانون العقوبات، قانون العمل، القانون المدني، قانون المرافعات، قانون المطبوعات والنشر، القصة والقصة القصيرة، القوى العاملة، الكتب الإعلامية والدعائية، المحاسبة، المخدرات، المرأة، المرور، المسرح، المكتبات والببليوجرافيا، المياه، وأخيراً النظام السياسي».■

موقع تراثي .. يفتح قلبه لـ(تراث)

تراثي .. موقع جديد على الإنترنيت، فتح قلبه لـ(تراث)، وخصص لها مكاناً بين «نبضاته» .. عبد الله درويش صاحب الموقع وضع تصميماً جميلاً للصفحة الرئيسة وعليها صورة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حفظه الله، وحكمته الشهيرة التي قالها عن التراث: « لقد ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي الذي يحق لنا أن نفخر به، ونحافظ عليه ونطوره، ليبقى رمزاً لهذا الوطن والأجيال القادمة».

الموقع يضم أماكن للأدب الشعبي، التراث المعماري، الصناعات والحرف، العادات والتقاليد. الألعاب الشعبية، الطب الشعبي، لوحات تراثية، مجلة تراث، شلات، ويضم موقع (تراث) جميع ما نشر في أعدادها من العدد الأول وحتى العدد الأخير،والموقع هو:

www.torathi.com





المخطوطات بين الترميم اليدوي والآلي

■ محمد رجب السامرائي

تصوير: نجيب محمد نجيب

تمثل المخطوطات ثروة وكنزاً لا يقدر بأي ثمن في تاريخ وحضارة الأمم، لأنّه يؤرخ لمسيرة تلك الشعوب والأمم عبر السنين. ونجد الأمم الواعية بالدور التاريخي تحرص على هذه الثروة النادرة لتبدأ مرحلة جمعها، ومن ثمّ العمل على صيانتها وترميمها جرّاء تعرضها للتلف أو لطمس بعض صفحاتها بفعل الظروف المناخية وبدائية حفظها وفق الأصول المتبعة في حفظ مثل هذه الوثائق أو المخطوطات النادرة.

ونؤكد على أنّ المخطوطات لها من الأهمية الكبيرة في الذاكرة الجمعية لدورها في الكشف عن سير وتواريخ الحضارات والأمم والعلاقات فيما بينها. وهذا الحرص على جمع وحفظ المخطوطات حدانا في «تراث» أن نلقي الضوء عبر الحديث مع عدد من المتخصصين والعاملين في حفظ وفهرسة وترميم المخطوطات في الدول العربية والتي تملك مكتباتها آلاف المخطوطات باختلاف ألوانها الشرعية والثقافية والفكرية والعلمية، فكان هذا الحوار:

انقاذ كنوز المخطوطات

أشار الدكتور فيصل الحفيان «منسق برامج معهد المخطوطات العربية في القاهرة»، إلى معاناة المخطوطات في الدول العربية من أوضاع سيئة، وظروف غير عادية، ووراء ذلك أسباب عديدة، مما يفرض علينا أن نضع خططاً لمواجهة هذه الحالة وتدارك الوضع الخطير الذي تعانيه مخطوطات العرب، وفي هذا الإطار فإنّ المعهد وهو الجهاز القومي المتخصص والتابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم، يقوم بدور هام بهذا الخصوص. وأضاف الحفيان:

ونجد أنّ هناك العديد من المراكز العربية التي تعنى بالمخطوط ونحن في المعهد على تواصل معها من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من كنوز المخطوطات في الإشراف على تنظيم الدورات للعاملين بتلك المراكز المتخصصة بالمخطوط العربي من أجل تكوين عناصر من الشباب العربي للعمل بكل حرص على صيانة المخطوطات وترميمها. وأود أن أختم حديثي بأنّ معهد المخطوطات العربية في القاهرة تعاون لأول مرة مع مؤسسة عربية خاصة، ممثلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، حيث نظم دورات عديدة سابقة وآخرها الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، وهو من المراكز المشهود لها بامتلاكه لقسم ترميم المخطوطات، ومعالجة التالف منها باستخدام ورق يصنع فيه، وجهاز أطلق عليه جهاز الماجد للترميم.

جيل واعٍ بدور المخطوطات

وقال الدكتور جاسم محمد جرجيس «الأمين العام المساعد لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي»، بأنّ العرب شاركوا طيلة القرون الماضية في صنع الحضارة الحديثة، وهذا ما نلحظه في مصنفاتهم الوافرة في كل ميادين العلوم والمعارف والآداب والفنون، واستطاعوا أن ينشروا الثقافة في كل الأمصار و صوب الأمم المجاورة، حيث قاموا بتصنيع الورق وأجود الأحبار وأرقى جلود المخطوطات، لذا انتشرت كتبهم في القرن التاسع الميلادي في وقت لم تكن أوربا تعرف فيه الورق. وأضاف جرجيس قائلاً: ونشير ضمن حلقة التواصل مابين الأمس البعيد والحاضر اليوم، بأنّ مخطوطاتنا المودعة في خزائن مكتبات ومراكز المخطوطات في المدن العربية، فيها



جمعة الماجد

الكثير من الثروات التي لم يمسح عنها غبار السنين، ولهذا نحرص في مركزنا، وبدعم من سعادة جمعة الماجد راعي المركز الذي يبذل كل ما بوسعه لإنقاذ المخطوطات وتوفيرها للباحثين والمحققين العرب بكل يسر، على تنظيم دورات يشارك فيها العاملون في صيانة وترميم المخطوطات من الدول العربية، حيث تخرج في الأول من أبريل (نيسان) ٢٠٠٢م، عدد من المشاركين في الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات من تسع دول شقيقة، تلقوا فيها (٩٦) ساعة نظرية وعملية في ترميم المخطوطات وتجليدها بالتنسيق مع معهد المخطوطات العربية في القاهرة، وهذا كله سيخلق جيلاً واعياً بدور المخطوطات والحفاظ عليها من التلف وسط عصر يموج بالأفكار الهدّامة والعولمة الثقافية الغربية، التي تحاول أن تزيل كل ما يمت لأجيالنا من جسور للتواصل بين الماضي والحاضر مع تراث وتاريخ أمتنا العربية الإسلامية.

الترميم اليدوي والآلي

وبين بسام عدنان الداغستاني «خبير الحفظ والمعالجة والترميم في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث»، الذي أشرف على دورات المركز التي نظمها حول صناعة المخطوط العربي وترميم المخطوطات، طرق الترميم اليدوي والآلي، وقال: بأنّ الترميم اليدوي

هو الطريقة الشائعة الاستخدام بين العاملين، حيث بالإمكان التعرف على مكونات المخطوطة الرئيسة، والمبادئ الأساسية في الترميم وأنواعه، وطريقة وصف المخطوطات وإجراء الاختبارات العلمية، ثم ترميم القطوع المختلفة والأجزاء الناقصة. وكذلك ترميم الأوراق المتفتتة والمتكسرة، أو الترميم بطريقة البرواز، وإعادة المتانة والمرونة للأوراق الضعيفة، وإزالة الترميم القديم وفك الأوراق الملتصقة، ثم تأتي طرق صبغ أوراق الترميم، وأساليب الحفظ والتخزين، وهناك معالجات كيميائية للمخطوطات تشمل معرفة نوعها، وتعقيم المخطوطات، وتنظيف أوراق المخطوطات، ومن ثمّ معرفة حموضة الورق وأسبابه، وطرق تعديل تلك الحموضة، ونقوم بتنظيف التشربات اللونية والبقع المختلفة، وطرق تبييض الأوراق، وأضاف الداغستاني عن الترميم الآلي للمخطوطات قائلاً: وهناك جهاز للترميم الآلي متوفر ومستخدم في الدول الغربية، ولكنه غير موجود في الوطن العربي لغلاء ثمنه حيث يعتمد على ثلاثة أمور أساسية هي: توفر الجهاز الآلي، ووجود المادة التي تستخدم للترميم وهي الألياف السيللوزية الخالية من المواد الكيميائية، وخضوع المادة إلى حساب دقيق لمعايير الألياف والماء. وحرصاً من سعادة جمعة الماجد على صيانة وترميم المخطوطات في المركز، فقد أنجزنا ولله الحمد جهاز الماجد للترميم، وفيه مواصفات منها: العمل على ترميم المخطوطات والصحف والمجلات بصورة نصف آلية، ويتألف من ثلاثة مستويات مختلفة الأحجام مركبة بشكل رأسي، والجهاز مزود بشبكة بلاستيكية مزدوجة وثابتة ومتحركة، وبالإمكان وضع المواد المراد ترميمها على الشبكة بعد التأكد من عدم وجود فقاعات هوائية تحتها، مع التأكد من إحكام الإغلاق عند الأطراف، وبعد تنزيل الغطاء الشبكي على المواد السابقة، تبدأ عملية ضخ الماء إلى الخزّان العلوي عبر صمام وأنبوبة ضخ باستخدام المضخة إلى الحد المبين في هذا الخزان، بعدها القيام بسكب الألياف السيللوزية المجهزة في الخزان العلوي ومن ثمّ تحريكها يدوياً ليتم التجانس ثمّ فتح صمام الضغط السالب ورفع الغطاء الشبكي بهدوء، وآخر الأعمال في جهاز الماجد للترميم الانتظار حتى تفريغ المستوى العلوي من الماء تمامً. ومن بعده إغلاق صمام الضغط السالب.

أهم من المطبوعات

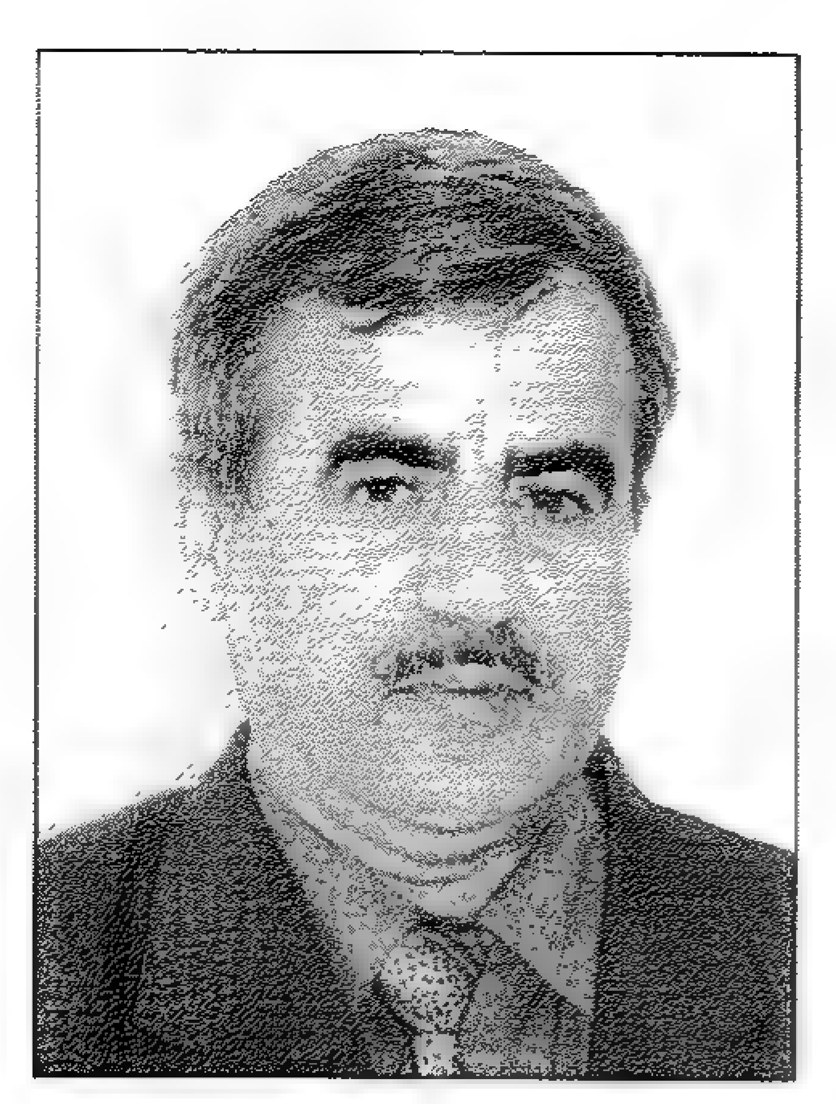
بدأ عبد اللطيف زكي أبو هاشم «مدير دائرة الوثائق والمخطوطات والآثار في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمدينة غزة بفلسطين» حديثه بالإشارة إلى أن المخطوطات العربية أهم من المطبوعات لأنّها مصدر مباشر بعيد عن التحريف والتصحيف المطبعي مثلما حصل في العقود الثلاثة الأخيرة، حيث هناك حافز تجاري بحت لبعض دور النشر التي تجري وراء الربح على حساب كنوز التراث العربي الإسلامي.

وأضاف أبو هاشم: وتتناثر مخطوطاتنا التي يربو عددها على عشرة ملايين مخطوطة في مكتبات العالم في باريس وهولندا وبرلين وبريطانيا وأسطنبول وغيرها، ولكن ما ينشر من تراثنا ومن المخطوطات بالذات لا يساوي ١٢ في المائة فقط، والباقي يبقى طي التخزين ولم ترَ تلك المخطوطات بأنواعها النور بعد، ولهذا نجد المخطوطات تعاني من الإهمال والتشتت حيث أنّ ترميمها لاعادة صفحاتها كما كانت في الأصل واجب على الجميع العمل به، وعملية الترميم هي العامل الأول والمهم في قضية حفظ هذا التراث الكبير والمحافظة عليه قبل البدء بتحقيقه ونشره، إذ لابدّ للمحقق والباحث أن يحصل على نسخة جيدة من المخطوط المراد تحقيقه ونشره. ولهذا فإنّ ترميم المخطوطات هي الطريقة المثلى لحفظ تلك الكنوز الثقافية الخالدة.

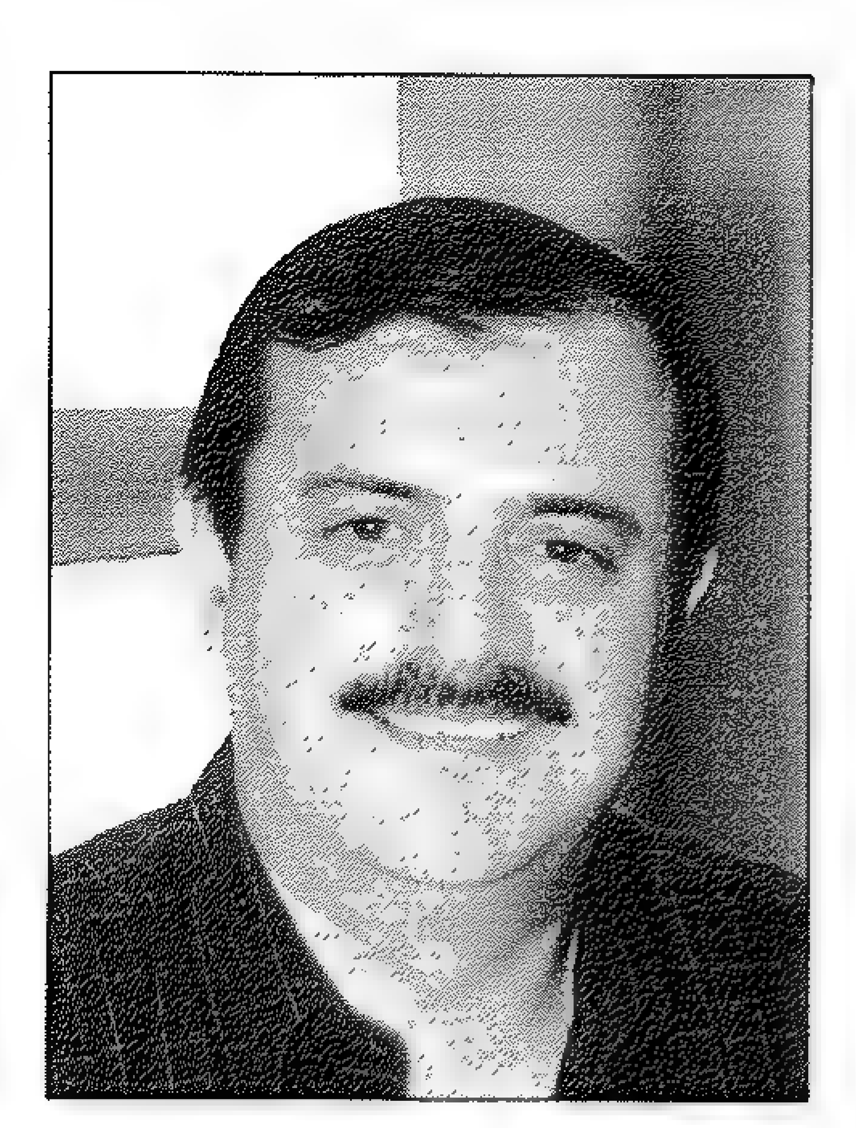
وعن طريقة ترميم المخطوطات قال: هناك طريقتان نتبعهما في الترميم أولهما الترميم اليدوي وهي طريقة مهمة في غياب الترميم



د. فيصل الحفيان
منسق برامج معهد المخطوطات العربية، القاهرة - مصر



أ. د. جاسم محمد جرجيس
الأمين العام المساعد لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي



بسام عدنان الداغستاني
خبير الحفظ والمعالجة
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي

الثاني الآلي، وتعمل كلاهما على تعقيم وتطهير أوراق المخطوط من الحشرات الضارة، ثم تأتي مرحلة تفكيك المخطوط إلى ملازم وأوراق لمعالجة كل ورقة على حدة. وبالنسبة للترميم اليدوي فبعد عملية التطهير والتعقيم نقوم بإصلاح الأوراق من الثقوب وإيصال بعض الأوراق من المادة الأساسية المُصنَعّة منها، وإثر ذلك نقوم بعمل أستناد بطريق الكبس حتى يتم إرجاع الورق إلى حالته الأساسية، لتأتي مرحلة ترميم غلاف المخطوط التالف وتجليده.

وختم أبو هاشم حديثه عن الطريقة الثانية «الترميم الآلي» قائلاً: نقوم في هذه الطريقة بالخطوة الأولى والتي تتمثل بعملية فحص الحموضة للمخطوط، حيث أنّ الحموضة الزائدة أو الناقصة في أوراق المخطوط تؤدي إلى تسريع عملية تلف الأوراق، لذلك نقوم بعمل معادلة الحموضة للمخطوط المراد ترميمه، ثم نأخذ عينات مشابهة من الأوراق المصنوع منها المخطوط، وهي ألياف سيليلوز، ثم تخلط الأوراق بمادة الصمغ، لترسل إلى الكبس، مع محاولة عمل إستناد حراري لزيادة حفظ الأوراق إلى المخطوط، لنبدأ ترميم الغلاف والجلد الذي يتكون منه غلاف المخطوط.

التراث والكنز

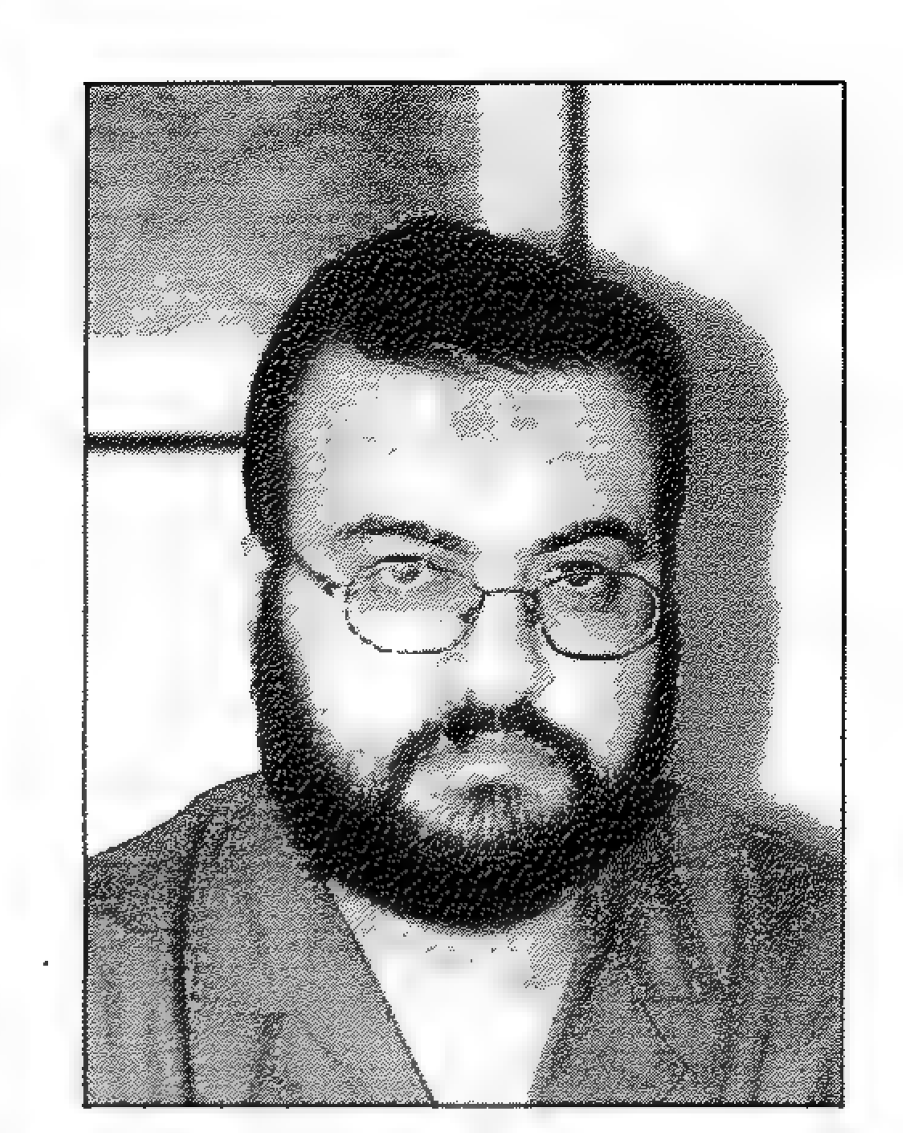
وقالت أميرة برنية «مديرة الترميم والمطبعة والتصوير والتجليد في مكتبة الأسد بدمشق في سوريا»: إنّ المخطوطات تمثل التراث والكنز الذي يحافظ عليه الناس لأنّها تعبر عن تراث وتاريخ الشعب وثقافته.

وأضافت برنية عن طرق ترميمها: نحضر المخطوط أولاً لعمل بطاقة له، ونقوم بوصف حاله والفترة الزمنية له، مع تدوين الإصابات في المخطوط، وبيان حالة الجلد «الغلاف»، ثم نشرع بخطوات ترميم المخطوطات المتعارف عليها. فنفك ملازم المخطوط، ونفحص الحبر «وهل ينحل أم لا»، مع تعديل الحموضة فيه إن كانت هناك حموضة معينة، ونجري عمليات الترميم، وإثر ذلك نخيط المخطوطة وإذا وجدنا غلافه بحالة رديئة فإنّنا نرممه، بالرجوع إلى نماذج من عصر غلاف المخطوط التالف، لأنّ الغلاف مهم جداً كونه يؤرخ لزمن المخطوطة الذي نسخ عليه.

أعادة رونقها وشكلها الأول

وعّبر خالد المزاحي «مسؤول قسم ترميم الكتب والمخطوطات بمكتبة الإسكندرية بمصر»، عن هذا الموضوع بالقول: المخطوطات تراث أمة، وأثر تاريخي لايمكن تعويضه نهائياً، وأي مكتبة تفتخر بوجود مخطوطات في خزاناتها لأنّها ثروة لا تقدر بأي ثمن. ومنذ أحد عشر عاماً وأنا أعمل مع المخطوطات لأعيد إليها رونقها وشكلها الأول، حيث تعد أجمل من الناحية الفنية والجمالية من المخطوطات الأوروبية والكتب النادرة في نوع الخط، والزخرفة، والمادة، والغلاف، علاوة على الإبداع الفني المتمثل في الجلد أو في صفحات المخطوطة المذهبّة.

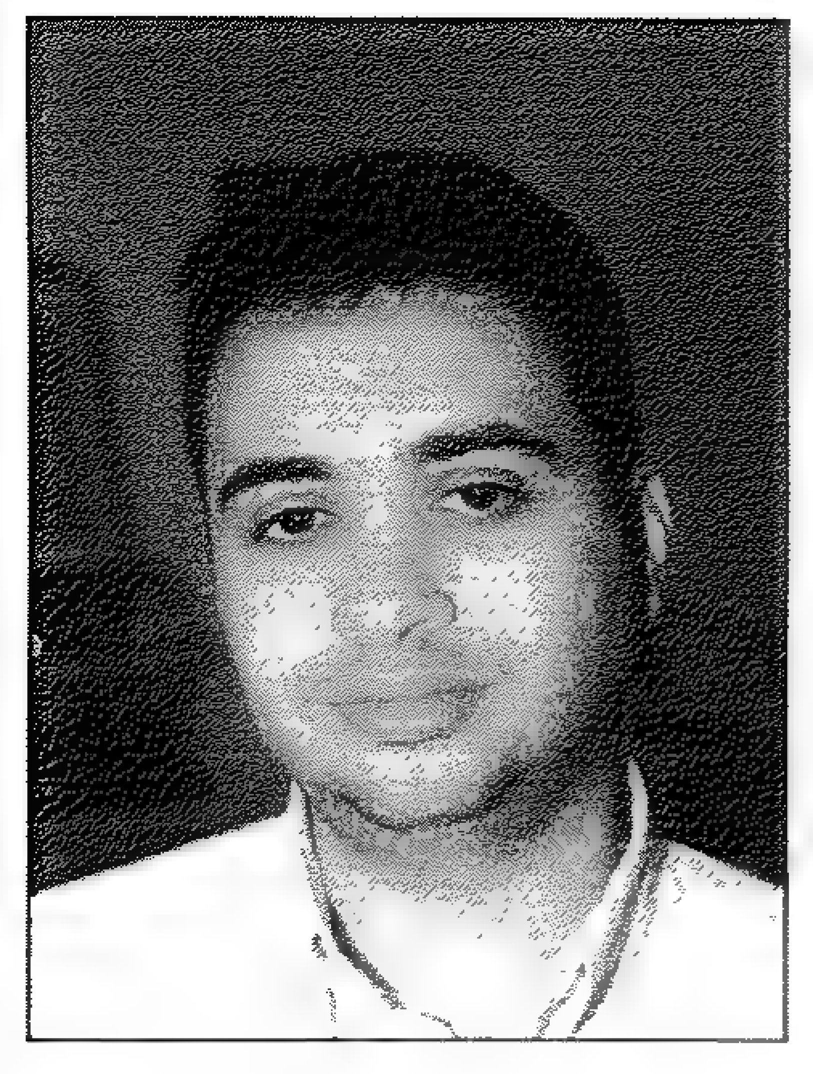
وأضاف المزاحي: وطريقة عملي في ترميم المخطوطات يتلخص في فحصها وبيان الإصابات فيها وكيفية علاجها، أي أقدر حجم الإصابة الحشرية كالبقع، ثم تبدأ طريقة التنظيف الجاف ومراجعة الملازم وترميمها ومتابعة تعقيم المخطوطة بصورة كاملة، مع



عبد اللطيف زكي أبو هاشم
غزة - فلسطين



أميرة برنية
مدير الترميم والمطبعة والتصوير
والتجليد - مكتبة الأسد - دمشق



خالد المزاحي
مسؤول قسم ترميم الكتب والمخطوطات
مكتبة الاسكندرية - مصر

ملاحظة شكل الغلاف الخارجي والداخلي، وخياطة المخطوطة بنفس الأسلوب السابق لها، ومعاينة الورق، ثم تكون عملية الترميم ذاتها للورق، والخياطة، والحبكة، وترميم كارتون الجلد والغلاف التالف أو المهترئ، وعمل العلبة لوضع المخطوطة المُرمَمّة فيها، مع ضرورة وضع العلبة على الرف بصورة أفقية. والحمد لله فإنّ دورة مركز جمعة الماجد لترميم المخطوطات التي شاركت فيها قد أفادتني كثيراً لأنّها قدمت لي خبرات جديدة في صناعة الورق الرخامي، والتعرف على بعض المعالجات الكيميائية الجديدة، على الرغم من مشاركاتي السابقة في دورات مماثلة خارج مصر في فرنسا، وإيطاليا، وتركيا.

الاهتمام بمستوى مكونات الورقة

منال حداد «مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية»، تعمل منذ ثماني سنوات في حفظ الوثائق والمخطوطات، وتتعامل معها وفق شروط الحفظ المعروفة من العوامل الطبيعية والبيولوجية وإلى تحويل المخطوطة من مادة ورقية إلى مادة ميكروفيلمية، كي تحفظ المخطوطات لأطول فترة زمنية ممكنة.

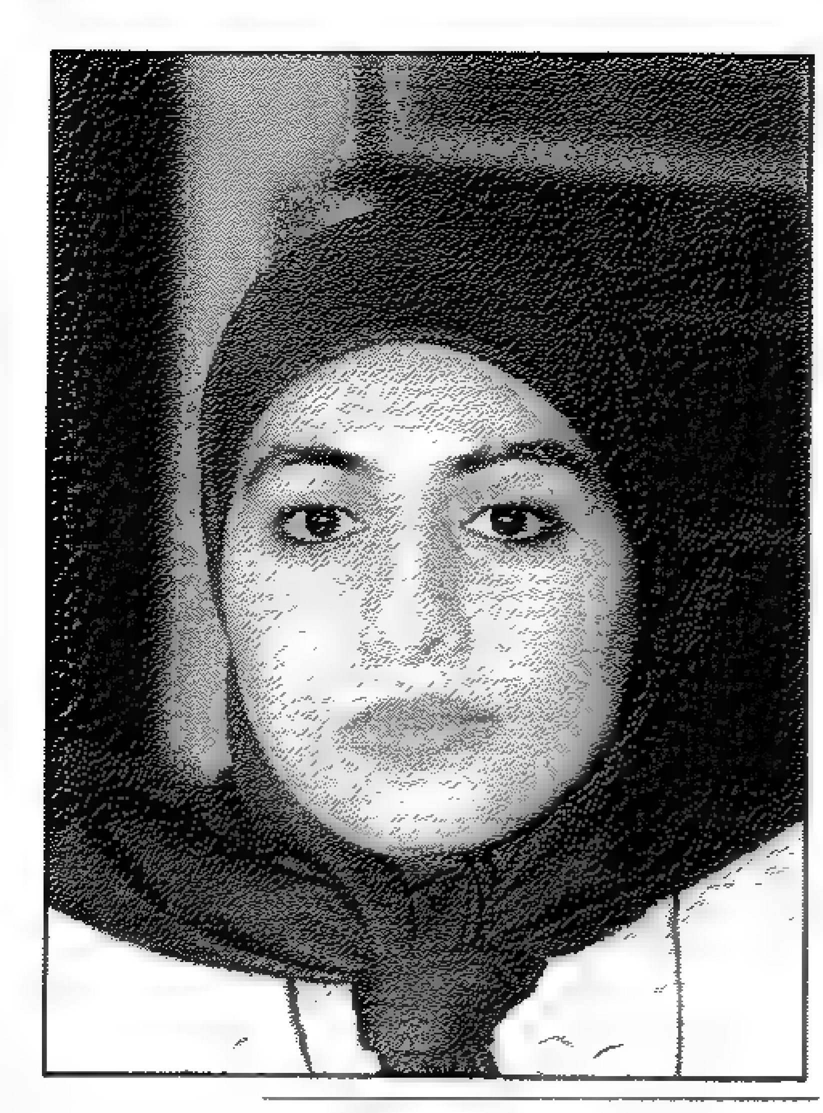
وقالت حداد: غالباً ما تتم عملية الحفظ من خلال جهاز خاص، على أن تكون الخزانات حديدية وليست خشبية، أن يمرر تيار الهواء إلى داخلها. وتعلمت الترميم اليدوي وأستعمل في ذلك الفرشاة والورق الخاص بالترميم، والمشارط الخاصة بالعمل، مع توفر الصمغ. وأعمل بالترميم وفق المتبع لذلك، وأعتني بالجلد الذي يغطي غلاف المخطوطة، وعليّ مراعاة الزخرفة المثبتة عليه والعصر الذي يرجع إليه، بالإضافة إلى إظهار الناحية الجمالية للمخطوطة كلما زادت المدة الزمنية له، وزاد اهتمامي بمستوى مكونات الورقة ومعرفة من أين تبدأ الإصابة بها، لأنّ الورقة تتكون من ألياف سيليلوزية، مع التعرف على منشأ الفيروس، والمادة العلوية الرابطة للورقة، وهي بمثابة الصمغ لهذه الورقة، من خلال مفردات دورة ترميم المخطوطات لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

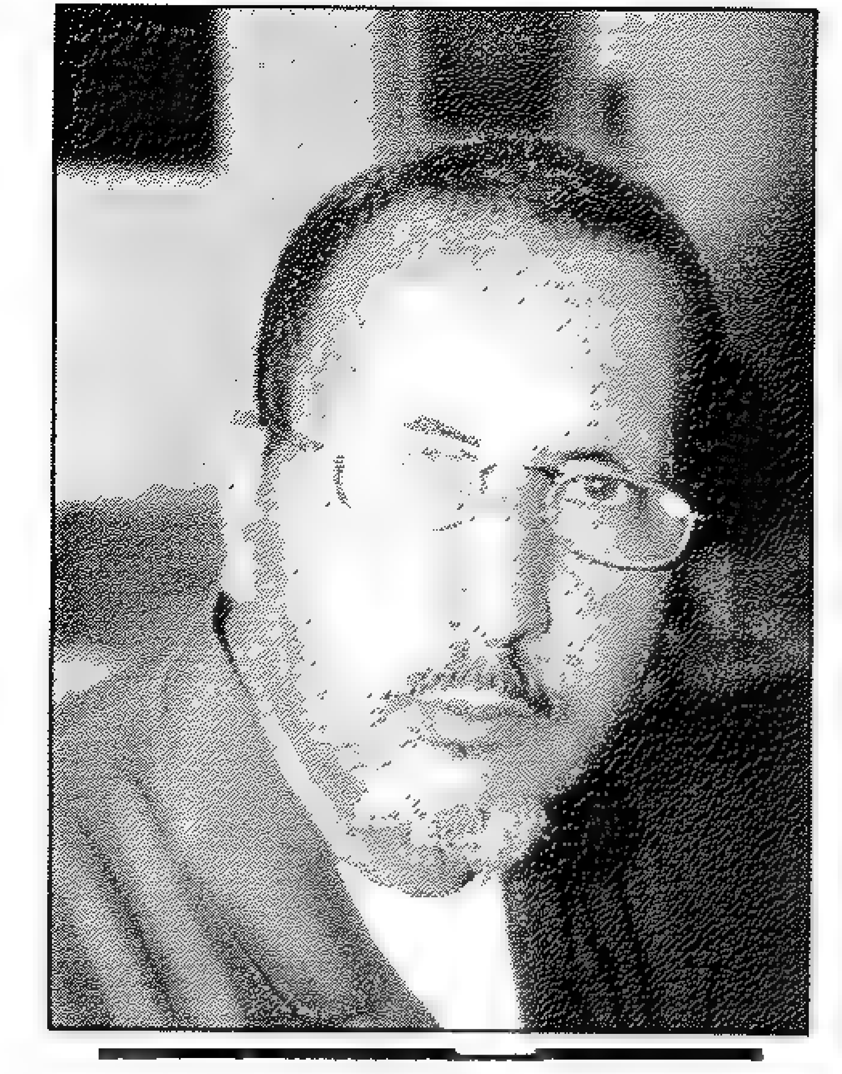
المخطوطات الفلسطينية والدمار

وأكد جمال جوده حوشيه «رئيس قسم المخطوطات والوثائق في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في القدس الشريف»، إلى أنّ المخطوطات الفلسطينية مُعرضّة للنهب والدمار من قبل قوات الكيان الصهيوني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، إضافة إلى قلّة الخبرات والإمكانيات التي لو وجدت لساعدتنا على إنقاذ تلك المخطوطات من التلف والاندثار بفعل العوامل المناخية وطرق الحفظ. ونمتلك في مؤسستنا بالقدس الشريف أقدم مخطوطة يعود تاريخها إلى عهد عماد الدين زنكي مؤرخة في العام ٥٦٥هجرية، وهي بحالة جيدة وبخط جميل مقروء، وأخرى بعنوان: «رسالة القشيري» كتبت سنة ٥٧٧هجرية، أي خلال عهد القائد البطل صلاح الدين الأيوبي وهي بحالة جيدة من ناحية الورق والخط.

وأضاف حوشيه: وبالنظر لقلة الخبرات والإمكانيات بسبب ظروفنا في الأرض المحتلة، فقد جئنا إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، للإطلاع على ما يوفره مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي في هذا المجال لنقل ما


منال حدّاد
مركز الوثائق والمخطوطات - الجامعة الأردنية - عمّان


حبّة زهرة
المكتبة الوطنية الجزائرية


محمد ولد محمد الطفيل
موريتانيا

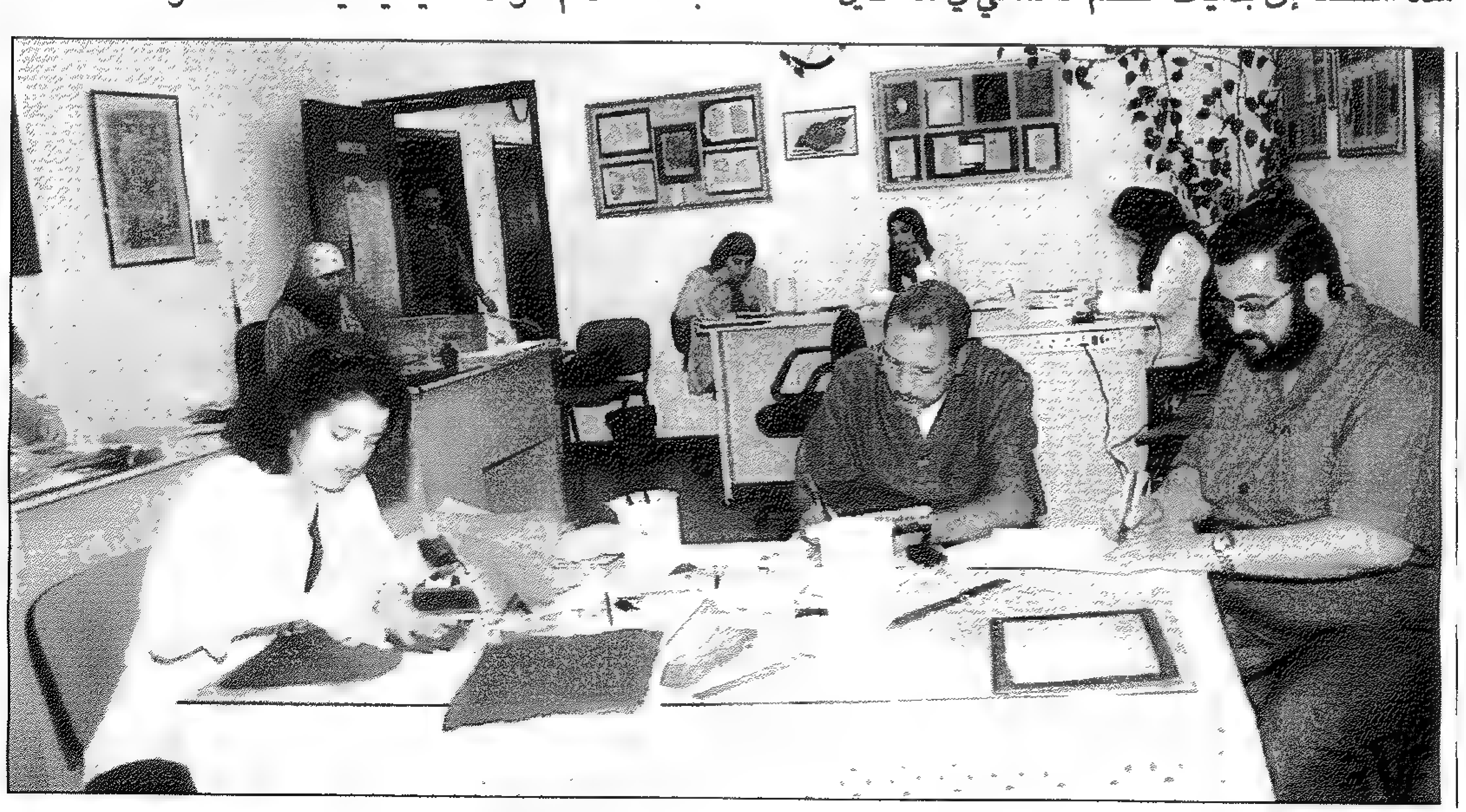
تعلمناه في دورة ترميم المخطوطات من أسس وقواعد علمية إلى مؤسستنا في القدس الشريف لنبدأ بترميم ما يمكن ترميمه من آلاف المخطوطات والوثائق التي تبين بكل وضوح حقنا كشعب في الأرض والممتلكات التي تحاول قوات الكيان الصهيوني طمس معالمنا وشواهدنا التاريخية الإسلامية ونسبتها إليها زوراً وبهتاناً. واختتم حوشيه الحديث بالقول:

أقوم حالياً بوضع فهرس شامل لأرشيف المجلس الإسلامي الأعلى في عهد مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني، وفهرس آخر لسجلات محكمة الكتب الشرعية، وهي أقدم وثيقة تاريخية في القدس الشريف ومن أهمها على الإطلاق، ويعود أول سجل لسجلات هذه المحكمة إلى بدايات الحكم العثماني في فلسطين سنة ٩٣٦ هجرية وإلى يومنا هذا.

التنظيف الجاف

وقالت أسمهان أدحيدل «مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في القدس الشريف»، بأنّ عملها بدأ منذ أربع سنوات في ترميم الوثائق العثمانية وفترة الانتداب البريطاني لأرض فلسطين، كما رممت مصحفاً شريفاً يعود تاريخه إلى حوالي مائة عام.

وأضافت ادحيدل: وبالنسبة لخطوات ترميم المخطوطات فالتنظيف الجاف للمخطوطة من الأتربة والغبار العالق بها هو المرحلة الأولى بالنسبة لعملنا، ومن ثمّ القيام بفحص حبر وحموضة المخطوطة باستخدام المواد الكيميائية الخاصة، وننفذ عملنا


جانب من عمل المتدربين بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي

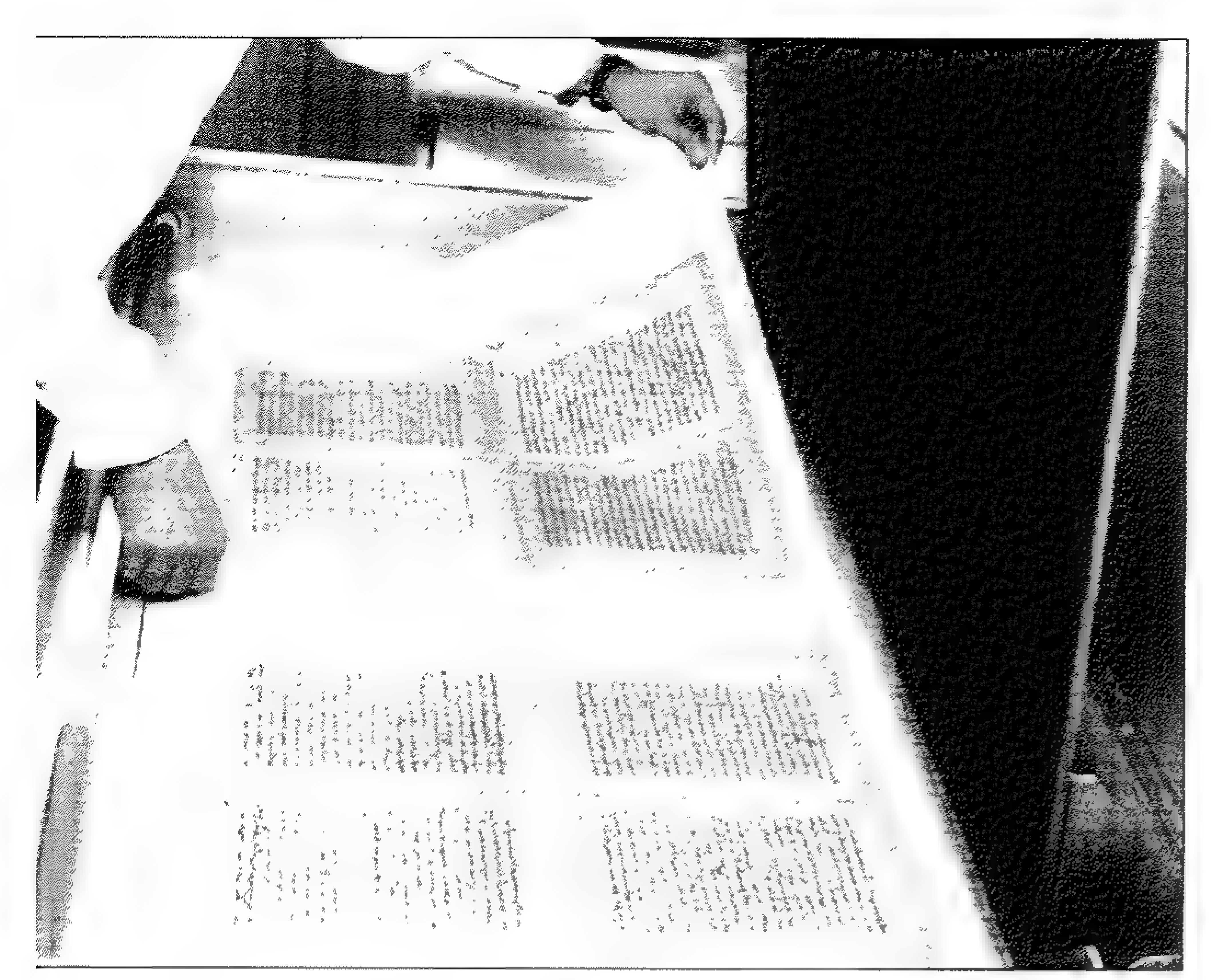
بالترميم اليدوي، ولا ننسى استبدال غلاف المخطوطة القديم الذي تآكل بفعل الزمن، لنعيد إليه غلافاً جديداً ليعيد إلى المخطوطة شبابها الأول.

الحالة تفرض طريقة الترميم

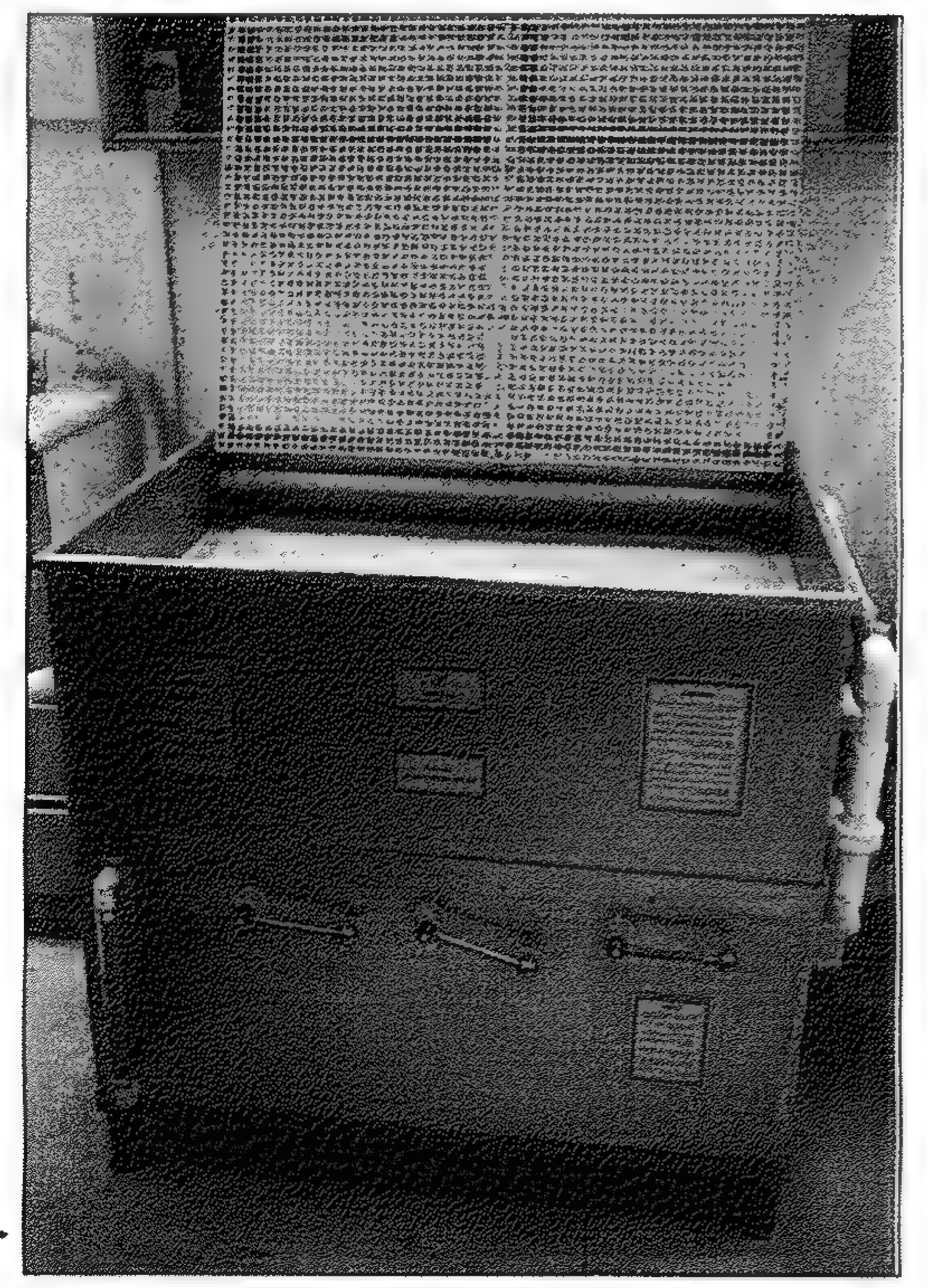
تعد حالة المخطوطة هي الطريقة التي يمكن للمرمم اتباعها في معالجة هذه المخطوطة التي سيتعامل معها سواء بالطريقة اليدوية أو الآلية، هذا ما أكدته حبّة زهرة «المكتبة الوطنية الجزائرية»، وقالت: المخطوط هو تراث الوطن وثقافة الشعب والأمة، لذا من الواجب علينا الحفاظ عليه لأنّ الحفظ أهم مرحلة قبل الترميم. والمخطوطات حساسة جداً والسنوات التي مرّت عليه، أثّرت في محتواه، فهو سهل التلف والاندثار، وأقوم مع عدد من الزميلات في مكتبتنا بالجزائر على ترميم الخرائط النادرة عن الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، إضافة إلى صيانة الكتب التاريخية التي تؤرخ للدولة، ولا يفوتنا ونحن نقوم بعملية الترميم أن نختار من القائمة الطويلة المخطوطات المهمة جداً للبدء بمعالجتها وترميمها خشية تلفها عبر السنين، وبهذا نكون قد أسدينا لتراثنا خدمة جليلة بهذا العمل الكبير.

المعالجات الكيميائية

تمثل المخطوطات: «الوثيقة الوحيدة التي تثبت أصالة المجتمع وحضارته عبر السنين، أو هي شهادة تعريف له، إذ لكل مجتمع تراثه وينبوع حضارته وثقافته وتراجم علمائه وبداية النهضة الثقافية فيه»، هذا ما أكده لنا محمد ولد محمد الطفيل «رئيس قسم المايكروفيلم في المعهد الموريتاني للبحث العلمي في نواكشوط»، وأضاف قائلاً: لدينا في موريتانيا مخطوطات تقدر بحوالي ٤٠ ألف مخطوطة، ويملك معهدنا ٧ آلاف مخطوطة منها، وبقي منها متفرقاً في المدن والقرى ضمن المكتبات الخاصة لأصحابها. وبخصوص ترميم هذه المخطوطات ، فإننا نستخدم في موريتانيا الترميم اليدوي، الخياطة والتطريز، ولدينا بعض المعالجات الكيميائية للتبخير وصقل المخطوط مع المواد الطفيلية التي تتلف محتوياته، وختم الطفيل حديثه عن الغلاف قائلاً: توجد لدينا في موريتانيا طائفة متخصصة تُعنى بتغليف المخطوطات من المقوى السميك، باستخدام الجلد والكارتون عبر خطوات متعارف عليها عندهم لتعيد المخطوطة إلى سابق عهدها وحتى يمكن للباحثين قراءتها بصورة حقيقية. وأود الإشارة بأنّ المخطوطات العربية لايمكن للعاملين فيها الاستفادة إلاّ بتنظيم دورات مماثلة لدورات مركز جمعة الماجد التي أطلعتنا على الكثير مما غاب وجوده عندنا وعند الآخرين، من أجل تبادل الخبرات والطرق الفنية في الصيانة والترميم.■



عملية ترميم المخطوطات بالطريقة الآلية



جهاز الماجد للترميم

في محاضرة بجامعة الإمارات العربية المتحدة

مشروع «التطبيقات الفلكية في الشريعة الإسلامية» بين الحساب والرؤية

اقترح الدكتور حميد مجوّل النعيمي أستاذ الفيزياء الفلكية في جامعة الإمارات العربية المتحدة في العين، ومدير أبحاث الفضاء في مجلس البحث العلمي العراقي، ومعهد الفضاء والفلك بجامعة آل البيت بالأردن سابقاً، إعداد خريطة فلكية إسلامية لمواقيت الصلاة لكل مدينة إسلامية، وتقويماً هجرياً لعدد من السنين القادمة، يحسب من خلال تقدير رؤية الهلال حسب شروط علمية شرعية إسلامية، فضلاً عن تحديد اتجاه القِبْلَة لكل عواصم الدول الإسلامية ومدنها، مع إعداد مسح شامل للتراث العربي الإسلامي في نفس الموضوعات أعلاه من خلال الدراسات الإسلامية والتاريخية والفلكية، على أن يشترك في إعداد وإنجاز هذا المشروع الفلكي كليتا العلوم والشريعة والدراسات الإنسانية والاجتماعية في جامعة الإمارات العربية المتحدة.

جاء ذلك خلال المحاضرة التي ألقاها مؤخراً النعيمي في مبنى المسرح القديم بكلية الطالبات في جامعة الإمارات العربية المتحدة، وحضرها عدد من أساتذة الكليات والطالبات، وشارك فيها الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، وقدمها الأستاذ الدكتور علاء نورس الذي أشار إلى معرفة العرب بعلم الفلك الذي كان يُعرف عندهم بعلم الهيئة والنجوم وعلم صناعة النجوم، ونوّه بمعرفة العرب، بعلم الفلك قبل الإسلام ثم ازدهار ذلك العلم في ظل الإسلام لحاجة العرب لمعرفة أوقات الصلاة والأعياد والصيام واتجاه القِبْلَة، وخاصة في عهود الخلفاء العباسيين في العراق الذين اهتموا بالفلك وبعلمائه الذين أنجزوا للحضارة الإسلامية الكثير من النظريات والحسابات الفلكية الصائبة وقاموا بتأليف الكتب المتخصصة بعلم الفلك.



المحاضرون من اليمين: أحمد فرحات، وعلاء نورس، وحميد النعيمي

مواقيت الصلاة

ابتدأ النعيمي محاضرته بالحديث أولاً عن تحديد مواقيت الصلاة، والتي يُعتمد لحسابها فلكياً على قوانين الميكانيكة السماوية والمثلثات الكروية، مع الأخذ بنظر الاعتبار خطوط الطول والعرض في المكان والزمان المعينين، وكذلك انكسار أشعة الشمس في الغلاف الجوي الأرضي ومدة وصولها، فضلاً عن الارتفاع والانخفاض عن مستوى سطح البحر، علماً بأنّ أوقات الصلاة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظواهر طبيعية فلكية تتكرر كل يوم، وتعتمد على حركة الأرض المحورية حول نفسها والمدارية حول الشمس. ولحساب مواقيت الصلاة فلكياً يقول النعيمي:

يُعد زوال الشمس «السَمت» فوق الرأس وغروبها وشروقها واختفاء الشفق الأحمر «المسائي» وظهور الشفق الأبيض «الصباحي»، ظواهر فلكية، بينما تختلف مواقيت الصلاة من مدينة إلى أخرى حسب اختلاف خطوط الطول والعرض الجغرافية، إذ نجد أنّ الشمس تشرق في لحظة ما على جزء من الأرض وتغرب في نفس تلك اللحظة عن جزء آخر منها، وتبعاً لذلك نجد أنّ صوت المؤذن يظل مستمراً على مدى الزمان والعصور وفي كل الأوقات منادياً: «الله أكبر» لأداء الصلاة، فما أن ينتهي المؤذن من أذان صلاة الظهر مثلاً في موقع معين حتى يحين موعد أذان الظهر نفسه

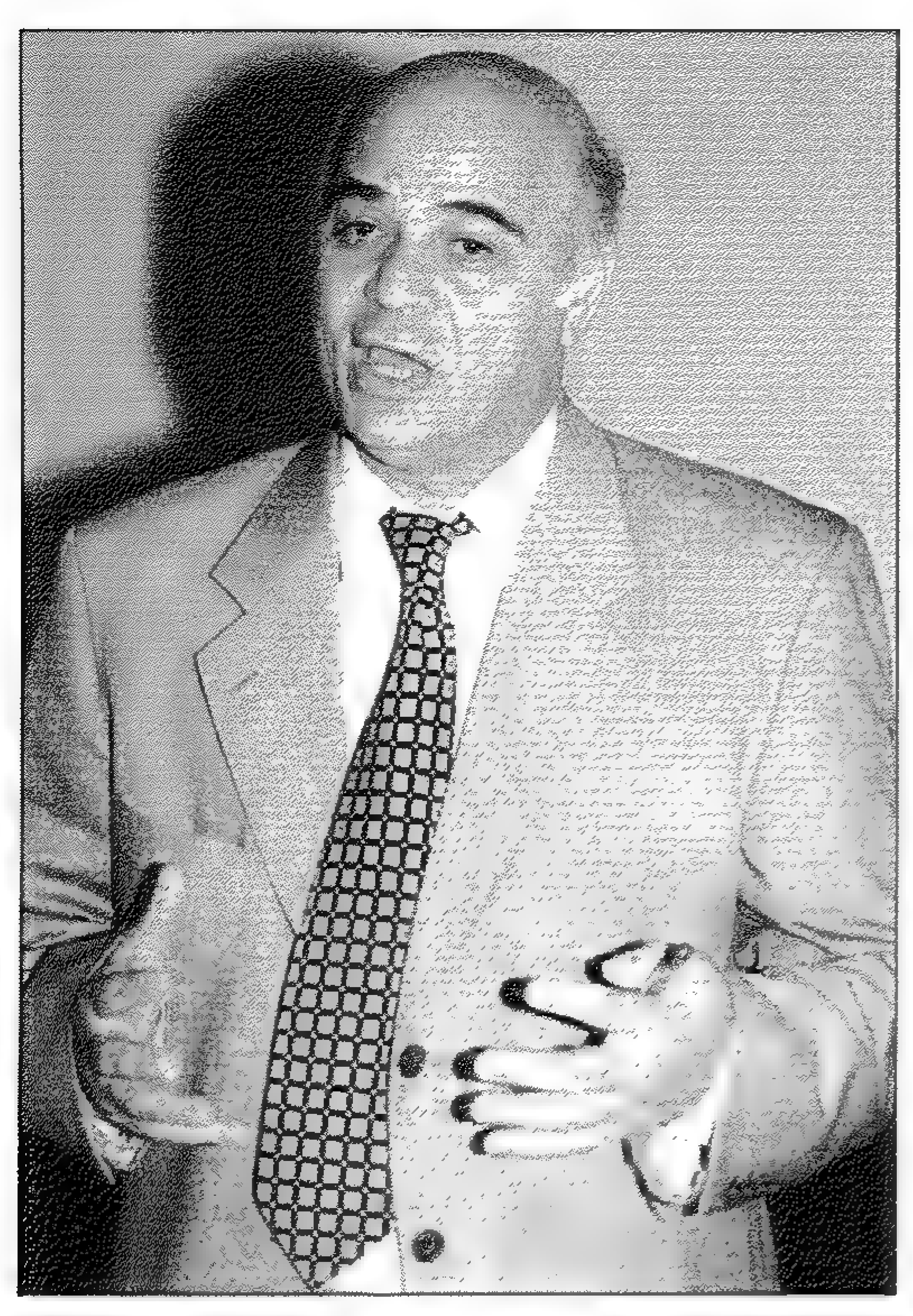
في موقع آخر من الأرض يقع غرب الأول فينطلق صوت المؤذن في ذلك المكان مكبراً: «الله أكبر..»، وهكذا على طول الزمان فإننا لانجد لحظة واحدة لا ينطلق فيها صوت: «الله أكبر» من الأرض إلى السماء مالئاً فضاءها بالتكبير والتوحيد.

ثم تحدّث المحاضر عن اختلاف مواعيد الصلاة اليومية في أشهر السنة كافة من مكان إلى آخر لاعتمادها على حركة الشمس وموقعها في السماء نسبة إلى موقع مُعين على الأرض، وهذا الاختلاف لا يبدو واضحاً إلاّ إذا كانت المسافة بين الموقعين تزيد عن بضعة كيلومترات فمثلاً (٥) كيلومترات تساوي (١١) دقيقة، و(٣٠) كيلومتراً تساوي (١) دقيقة واحدة، و(١٠٠) كيلومتر تساوي (٥ر٣) دقيقة وهكذا، وتوقف النعيمي ليحدد مواقيت الصلوات الخمس، فقال عن بداية الشهور القمرية «الهجرية»:

لقد اتخذ الإنسان منذ القِدم القمر والهلال الوليد أساساً لتحديد الأزياج «التقاويم» وحساب الأشهر القمرية، واتخذت الحضارات القديمة الأشهر القمرية أساساً لتقاويمها كالبابليين في العراق والصينيين والإغريق، وكان ذلك من الأسباب التي دفعت علم الفلك إلى الأمام في تلك الحضارات. ولازالت الكثير من الأمم إلى يومنا هذا تتخذ الأشهر القمرية أساساً في تقاويمها وخاصة المسلمين، إذ ترتبط أغلب العبادات والمناسبات الدينية الإسلامية بالأشهر القمرية «كالصيام والحج والأعياد». ومن هذا المنطلق نرى اهتمام المسلمين بهذا الموضوع خاصة في القرون الخمسة الأولى للهجرة، ولم يقتصر هذا الاهتمام على علماء العلوم الأساسية فحسب بل امتد ليشمل فقهاء المسلمين.

بدايات الأشهر القمرية

وأشار النعيمي لثلاث نقاط يمكن بواسطتها تحديد الأشهر القمرية، منها تحديد أشهر المناسبات الدينية برؤية الهلال بعد ظهوره من وقت المحاق، وبما أنّ القمر يرى فقط من انعكاس أشعة الشمس من سطحه إلى الراصد على الأرض، لذلك يجب أن يكون كلٌ من الشمس والقمر في موقع هندسي مُعين بالنسبة إلى الراصد لأجل رؤيته بسهولة، غير أنّ الرؤية تعتمد على عوامل جغرافية ومتغيرات جويّة وهندسية، فمن الناحية الجغرافية فإنّ تباعد البلاد الإسلامية على سطح الأرض بعضها عن بعض قد يؤدي إلى سهولة رؤية الهلال في بلد ما وصعوبة رؤيته في بلد ثانٍ، ثم استحالة رؤيته في بلد ثالث والسبب هو الاختلاف في خطوط الطول والعرض وتأثير ذلك على غروب الشمس



د. حميد النعيمي خلال محاضرته

والقمر في مواقع مختلفة. فأحياناً تسهل رؤية الهلال في موقع جغرافي معين بسبب ابتعاده عن الشمس بزاوية كافية قبل غروبها بينما تستحيل رؤيته في موقع يقع شرقي الأول لعدم مرور المدة الكافية على حصول المحاق وقت الغروب بحيث تمكن من رؤيته. بمعنى أنه: «كلما اتجهنا غرباً وعند ثبوت بقية العوامل تزداد احتمالية الرؤية، إذ يتأخر الهلال باستمرار عن الشمس وتزداد الزاوية بينه وبين الشمس وتزداد بالتالي فترة مكوثه بعد غروب الشمس». وهناك عامل الظروف الجوية التي قد تزيد من صعوبة رؤية الهلال مثل: تأثير الجو في السماء المحيطة بالمنطقة «كالسماء الملبدة بالغيوم»، ودرجة الحرارة وشفافية الجو والرطوبة النسبية، ودرجة احمرار الشفق وضوئه الذي يتأثر كثيراً بتواجد الجزيئات الغبارية أو غيرها، وكذلك الإضاءة الخلفية للسماء في موقع الرصد، وتأثير ظلال جبال سطح القمر على الجزء المرئي بإزاء الراصد ثم الإنكسارات الحاصلة في الغلاف الجوي الأرضي فضلاً عن عملية الاستطارة. وعلى أية حال وبالرغم من التأثيرات السابقة فبالإمكان تحديد اليوم الأول للشهر القمري لأية منطقة على سطح الأرض مسبقاً بالاستعانة بالحسابات الفلكية. وهناك العوامل

الهندسية والزمنية لموقع الهلال فهي الأخرى مهمة جداً في معرفة رؤية الهلال من عدمه وهي على النحو التالي: عمر الهلال، ومدة مكثه، وارتفاع الهلال عن الأفق وقت الغروب، وبُعد القمر عن الأرض وموقعه بالنسبة للراصد.وختم الدكتور حميد مجوّل النعيمي محاضرته الفلكية الشائقة ببيان عدّة شروط أساسية لتحديد بداية الشهور القمرية وتمثلت بالتالي:

شروط أساسية

وللتأكد من ولادة الهلال ينبغي معرفة قاعدة أنه «يشرق بعد شروق الشمس ويغرب بعد غروبها»، ومراقبة الهلال صباح يوم التاسع والعشرين، وأحياناً يوم الثامن والعشرين من شهر شعبان بالنسبة لشهر رمضان مثلاً، فإذا شُوهد قبل الشروق فإنّه لن يُرى عند الغروب إطلاقاً، ثم لابد من أن يكون موقع الهلال مناسباً في السماء الغربية وأن يكون عُمُره مناسباً، ومدة مكثه مناسبة أيضاً، وعلى أساس هذه الشروط يمكن تقدير الرؤية لحساب التقويم الهجري لمئات السنين القادمة.

«صوموا لرؤيته...»

ثم تحدث الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات في هذه المحاضرة عن الجوانب الشرعية في تحديد الرؤية، إذ أشار إلى أنّ هذا الكون الكبير قد بُني وفق نظام دقيق بقدرته سبحانه وتعالى، وأنّ أهل الشرع لم يعتمدوا في هذه المسألة إلاّ على أحاديث النبي الكريم ﷺ بقوله الكريم: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمّ عليكم الشهر فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين يوماً». وعلى هدي هذا الحديث الشريف وغيره نجد عدم التزام العلماء السابقين في الأخذ بمبدأ الحساب، بل اعتمدوا على صدق الرؤية، ثم قدّم فرحات في الختام طائفة من الأحاديث والنصوص، التي تصب في مجملها بمدى صحة إثبات الرؤية الشرعية للأهلة، لتحديد بدايات الأشهر القمرية عند المسلمين بعامة■

ملف اللغة العربية

- اللغة العربية في مهب الريح (٢٨) ويكتب لنا فيه صفاء الدين محمد أحمد عن: التيارات التي تواجه اللغة العربية.

- تعقيب على قضية اختيار النصوص يكتبه الدكتور محمد رضوان الداية.

- كنوز اللغة العربية: ويكتب لنا عبد الوهاب الحبسي عن حرفي: الصاد والقاف.

تيّارات تواجه لغـــة الضـــاد

■ صفاء الدين محمد أحمد

الصحراء مهد العربي الأول، ومعهد ثقافته، من صفائها طبيعته ومن عوالمها وأجوائها معارفه وعوارفه، بالسماع تلقّى لغته من أهل العرب الخلص، وبالتلقّي فصح منطقه، وسلمت ألفاظه، وصحّت تعبيراته.

ومرّت حقب وحقب، وتبعتها أزمان وأجيال وتوالت على العربي أحداث وغير باعدت بينه وبين معهده الأول وموطنه الأصيل، وساح في الأنحاء والمناحي، واختلط بالأعاجم، وتفتحت عيناه على حيوات جديدة، وثقافات أجنبية كان لا بد له أن ينفعل بها وأن تؤثر فيه.

ثم تفرّقت الجماعات العربية الأولى في البلدان والقارات تحمل معها خصائصها ومقوماتها، وتحمل - فيما تحمل - لغتها، وخضعت اللغة العربية الحرة الأصيلة لهذه الاعتبارات ولتلك التيارات فتعددت - من جرّاء ذلك - لهجاتها، وأصبح لكل قطر لهجة فيها خليط من عاميّ مبتذل، وعربيّ فصيح، وأعجميّ دخيل.

وأطلّت العامية برأسها، وما زالت تُبعِد الفصحى حتى صارت لغة مستقلة، لغة المشافهة والمخاطبة، وغدا لها أنصار يدافعون عنها ويمكّنون لها حتى صارت هي والعربية كفرسيْ رهان.. ثم قُدِّر لها أن تبزّ الفصحى من حيث الذيوع والانتشار.. وأن تنكمش الفصحى، وتكون مقصورة على المكاتبات الرسمية، ومحصورة في نطاق الدواوين الحكومية. وهو قطاع يُظهر مدى تلك الصراع بين العامية والفصحى، فالأمويون الذين تعصبوا للغتهم ولعروبتهم اختلطوا بالأعاجم والموالي، فسرى فساد في لغة تخاطبهم، ولكنه لم يستشرِ.. إذ استطاعوا أن يحصروا خطره ويحددوا مكانه.

وفي عهد الدولة العباسية مرّ على لغة التخاطب حين من الدهر باءت فيه بالفشل كل الجهود التي بذلت لحماية الألسنة حتى صار اللحن لازمة لكل عربي من سكان الحضر، وهوّة تتردى فيها تعابير العامة والخاصة، حتى أبناء الولاة والحكام الذين استقدم لهم المربون والمؤدبون من أفاضل الرواة، وأشياخ العربية من أمثال: الشرقي القطامي الذي أدّب المهدي، والكسائي الذي أدّب الأمين، واليزيدي الذي أدّب المأمون، والفرّاء معلم ولدي المأمون، ويعقوب بن السكيت معلّم المعتز، والمبرّد الذي أدّب ابن المعتز.. كل هؤلاء المعلمين والمربين لم يكن لجهودهم أثر في التمكين المرجو للفصحى، لأن نشأة هؤلاء الأمراء بين أمهات وحاضنات وخدم أعاجم جعل العامية تطغى على ألسنتهم حتى حكم الخليفة المعتصم بالله على نفسه بأنه خليفة (أميّ)، وذلك حين ورد كتاب من بعض العمال فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمار فإذا في الكتاب ذكر للكلأ فقال المعتصم للوزير: ما الكلأ؟ فقال الوزير: لا أدري! فقال المعتصم: خليفة أمّيّ ووزير عاميّ! ثم قال: انظروا من بالباب من الكُتّاب؟ فوجدوا محمداً بن عبد الملك الزيات، فأُدخل عليه، فسأله عن الكلأ. فقال: أول النبات يسمى (بقلاً) فإذا نما قليلاً فهو (الكلأ) فإذا يبس وجفّ فهو (الحشيش).

وقد ضعفت الملكات في العصر العباسي حتى رأينا الخلفاء والعلماء متورطين في اللحن والخطأ! إلاّ أن بعض خلفاء العباسيين - لا سيما الأولين منهم - رأوا أن اللغة هي الركيزة الدينية التي تقوم عليها دولتهم وتعظم بها سطوتهم وسلطتهم، وراعهم سيطرة اللحن على الألسنة! فدافعوا ذلك بمناصرة العربية، وتشجيع علمائها واحتفائهم على ضبطها، وإغراء الرواة بجمعها، وبذلوا في ذلك الكثير من جهدهم وعنايتهم.

انتفاضة فكرية

وقد وجّه بعض العلماء هممهم إلى إصلاح العامية كما فعل اللغوي (ثعلب) في (فصيحه)، وكما فعل ابن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ، في كتابه (ليس في كلام العرب)، وكما فعل (الصفدي) في كتابه (تصحيح التصحيف وتحريف التحريف)، ومع ذلك لم تُجد كل هذه الجهود نفعاً حتى طمَّ سيل العامية وعمَّ الناس جلّهم.. وقدّر للعامية آنئذ أن تحيا وتنمو حتى تميزت من العربية، بل ظهرت لها سطوة، إذ قيلت بها (المواليا) وبعض الموشحات، وكثر إقبال الناس على هذه الأنواع وإنشادهم إيّاها في مجتمعات العامة، حتى كان للعامية أدب كما كان للفصحى أدب!.

وبعد هذه الانتفاضات الفكرية التي عمَّت العروبة في كل مكان نرى أن الفروق قد ضاقت إلى حد ما بين العامية والفصحى فكلما اتسعت دائرة التعليم، وانتشرت ألوان المعرفة والثقافة، وسما الذوق الأدبي، ضاقت المسافة بين العامية والفصحى. والواقع أن الكلمة (العامية) تخدعنا! إذ هي سهلة لا عناء في استعمالها وتداولها، ولا إبهام في مدلولها.. من أجل ذلك جرت اللهجة العامية - أو اللغة العامية إن صح هذا المدلول - على الشفاه وألفتها الأسماع في المنزل والمتجر والمزرعة والطريق..!

أما الكلمة العربية الخالصة، فهي كالغادة المُحجَّبة لا يُعرف بهاؤها ولا يُرى رواؤها إلا بعد أن نُزيل القناع عنها، فيصير جمالها مشاعاً يتقاسمه الراؤون.

لذا علينا أن نجند طاقتنا وإمكاناتنا في سبيل الدعوة للألفاظ الصحيحة الفصيحة حتى تُستعمل وتشيع.. وأن نُعبِّئ الجهود لنُعبِّد للكلمة السليمة طريق الذيوع والانتشار، ونمهّد للتعبيرات السهلة السلسة ونمكّن لها حتى تتعودها الألسنة وتتناقلها الشفاه. وبذلك نُقصي الدخيل عن مجال الاستعمال، ونقضي على المبتذل المجوج الذي ليس له عرق في لغة الضاد.

وعلى الآباء أن يرغبوا عن العامية ويُرغّبوا في الفصحى، ويستمسكوا باتخاذها أداة خطاب في البيت، ليجد فيها الأبناء منذ حداثتهم ونعومة أظفارهم ذخيرة وبضاعة وغُنية تغنيهم عن استعمال العامية المزجاة. وفي المدرسة تُلقَّن اللغة وقواعدها على يد المتخصصين من الأساتذة والمعلمين بطرق حديثة سهلة ميسرة، فاللغة في حاضرنا لا ملجأ لها إلا في المدارس، أما إذا خرج التلميذ إلى المجتمع أو إلى المنزل أو إلى الملعب مع الأتراب طرح العربية جانباً وترك قواعدها إلى حين! فلا عجب إن تبخرت القواعد وتبددت الأصول!

وكذلك على رجال اللغة و(المجمعيين) أن يبذلوا قصارى جهدهم في تقريب الفصيح ليكون سهل التناول والتداول قريب المأخذ ذائع الاستعمال في المنزل والمنتدى والمصنع والمزرعة، وأن يذللوا مشكلات (النحو) وتعقيدات علم (الصرف) فالتمحّل في الاستدلال واختلاف الأمثلة والشواهد، واختلاف الآراء في القاعدة الواحدة، بل في إعراب الكلمة الواحدة كل ذلك مما يُصدّع الرؤوس، ويثقل الأدمغة، ويُكره النابتة في القواعد والأصول فترغب عن استعمال الفصيح.

ولا سبيل إلى نشر اللغة العربية الفصحى وجعلها لغة شعبية يتحدث بها الجميع في الشرق العربي إلا إذا حُرِّمَ . بواسطة المسؤولين . استعمال اللهجات العامية على دور النشر والإعلام بعامة.

والعربية لغة كتاب سماوي مقدّس، هو آخر الكتب الإلهية، حفظ الفصحى في مواضي الحقب على توالي الأحداث والغيَر، ويحفظها الآن، وسيحفظها ما بقي في الكون إيمان، وما ظلّ لسان يردد آيات ذلك الكتاب الكامل، ويتلو سوره الخالدة.

على أنه مهما يكن من صراع بين العامية والفصحى فستبقى العربية الصحيحة الفصيحة ما بقي الإسلام وما بقي القرآن الكريم، مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنَّا نحن نزّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون﴾ سورة الحجر الآية ٩.

ولغتنا الفصحى محصّنة منيعة: بقواعدها وأغوارها العميقة العتيقة في مناحي العلم ونواحي الأدب وألوان التشريع، ولها أصالتها في التفكير والتعبير والإفهام، وهي همزة وصل بين الشعوب التي تجمعها وشائج الدم والدين والتاريخ. أما العامية فمن سوءاتها تباين لهجاتها في كل قطر عربي، بل في القطر الواحد. من أجل ذلك لا تصلح العامية أن تكون صلة بين الأقطار العربية، ومن أجل ذلك أيضاً كان من العسير أن تُقنَّن لها قوانين تضبطها وتُقعّدها! وكان من المتعذر أن تُتخذ لغة كتابة ودواوين، وكيف تُتخذ وهي لا ضابط لها من قاعدة ولا رابط لها من قانون؟!

ولذا كان من سداد الرأي وصوابه أن نحكم بأن لا فائدة من دراسة اللهجات العامية، ولا من الدعوة إلى توحيدها والتقريب بينها، ولا من إحلالها محل الفصحى في البلدان العربية.

وبعض الأدباء والمعلمين يتحاشون في تعبيراتهم استعمال كلمات يظنون واهمين أنها لكثرة دورانها على الألسنة، وانتشارها، من قبيل الألفاظ العامية، فكلمة (الريّس) على وزن (كيّس) بمعنى الرئيس، و(نعسان) لمن يستغرق في النوم، و(الهرس) الأكل الشديد، و(هُس) بضم الهاء كلمة للزجر، و(الحنش) للثعبان)، و(التحويش) التجميع، يقال هذا تحويش العمر كله، والدنيا (تدغّش) أي تُظلم، و(رشَّ) الماء في الحديقة، و(نكش) الدولاب أخرج ما فيه، و(الوشوشة) الهمس في الأذن، و(الهبرة) القطعة من اللحم، و(الصُرَّة) ما يجمع فيها من دراهم وثياب، و(المداس) ما يلبس في الرجل، و(مرسال) بمعنى رسول، و(الأسامي) جمع اسم.. فكل هذه الألفاظ، وغيرها كثير، ألفاظ صحاح فصاح وتعبيرات عربية لحماً ودماً تأوي من الفصحى إلى ركن شديد، ويحتج لفصاحتها كل معجم أصيل.■

تعقيباً على:

«قضية اختيار النصوص الأدبية»

تقدم مجلة «تراث» جهداً طيباً مشكوراً وهي تواصل تقديم البحوث والدراسات والمراجعات والمطالعات والآراء وغير ذلك مما له علاقة باللغة العربية وحركتها ومكانتها وظروف حياتها على ألسنة الناس وعلى أقلامهم، وفي دخولها جوانب الدنيا المختلفة في العلوم والفنون والآداب وسائر المناشط. ولا شك في أن الطريق طويل للوصول إلى الغايات العالية التي نطمح إليها من سيادة اللغة وسيرورتها وغلبتها اللهجات الكثيرة والثبات لمنافسة اللغات الأخرى باعتبارها اللغة الأولى ..إلخ.

وقد قرأتُ «الدراسة التحليلية المقارنة» كما وصفت في العنوان في العدد ٤١ لشهر إبريل ٢٠٠٢م على الصفحات ٤٢- ٤٦. وكان همّ الباحث الدكتور محمد رفعت زنجير في هذه الدراسة «قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجه اللغة العربية» كما صرح في العنوان أيضاً، فعملية اختيار النصوص - كما قال - «عملية هامة إلى حد كبير» وضرب مثلاً من حماسة أبي تمام الطائي (من صدر الدولة العباسية) ومن مختارات البارودي، وأدونيس (من العصر الحديث).

وقد اجتمع لي عدد من الملاحظات في منهج البحث وفي معالجة الموضوع كما قدمه الدكتور زنجير، أقدمها لإغناء البحث وإثراء المناقشة وإقامة الحوار البنّاء الذي نرجو من ورائه التقدم بالعناية بإحدى قضايا اللغة والأدب خطوة إلى الأمام. ولا شك عندي كما قال الباحث الفاضل في أهمية كتب الاختيارات، وفي ضرورة العناية بها وتقديمها إلى القارئ في مستوياته المختلفة على خير وجه ممكن.

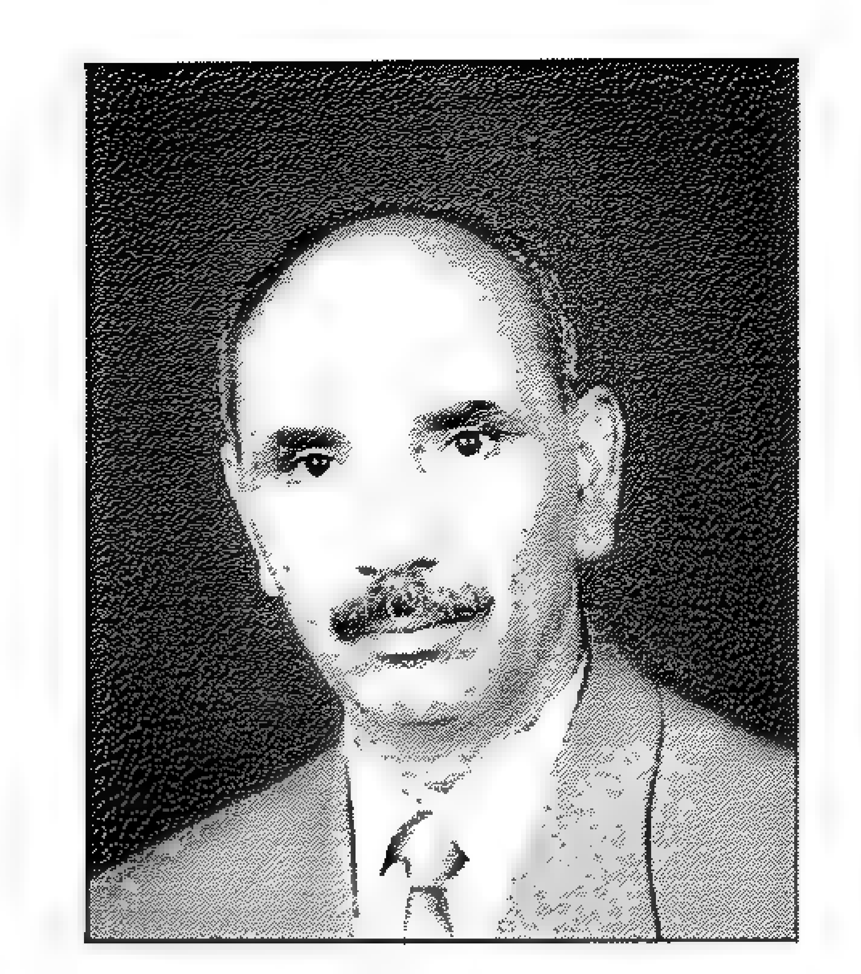
ويبدو للقارئ أن الدراسة التحليلية التي قدمها الباحث لا تعدو أن تكون ملاحظات شخصية على بعض الكتب التي أدرجها تحت عنوان «كتب الاختيارات» تعوزها المنهجية، ووضوح الهدف واستيفاء المصادر والمراجع، ووضع خطّة دقيقة، وصحة الاستنتاج.

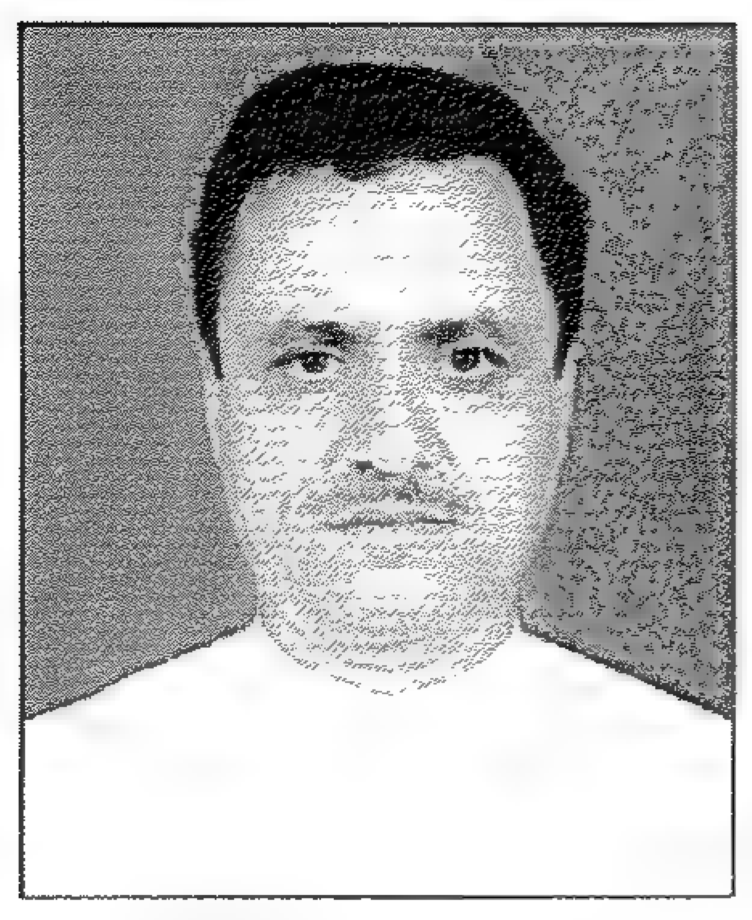
١) أدار الباحث دراسته التحليلية على أربعة كتب صدرت داخل الدولة أو طبعت خارجها لمصلحة جهة داخل الدولة. ولم يستقص الباحث في هذا الجانب، فهناك كتب أخرى تتبع الخطّ نفسه مثل ما أصدره عدد من أساتذة قسم اللغة العربية من مؤلفات (د. محمد حوّر وزملاؤه). وعدم الاستيفاء يهدم الفائدة المتوخاة من «الموازنة التفصيلية» كما سماها الباحث على الصفحات ٤٨- ٥١. وإذا قلنا إن الباحث أخذ (عينات) من الكتب فإنه لم يصرح بذلك، ولم يبين الأساس العلمي للموضوع لذلك الانتقاء العشوائي.

٢) لم يرتب الكتب التي انتقاها لدراسته التحليلية ترتيباً زمنياً. وهذا أمر ميسور على أي باحث. ونتج عن إغفال التاريخ عند إجراء الموازنة التفصيلية وقوعه في حَيْف، وانحياز غير مقصود يفسد الموضوعية كقوله (ص٤٩): «النصوص المشتركة دليل على أمرين الأول دليل على وجود النص من جهة - كذا - والثاني على تقليد أصحاب الاختيارات بعضهم بعضاً من جهة أخرى» وهكذا استوى في الدراسة التحليلة الآخذ والمأخوذ عنه، والأصيل والمقلد له! فأية جدوى من هذه الدراسة بعد ذلك؟

٣) لم يتضح للباحث الفاضل المقصود من «الاختيار». فقد استعمل فعل «اختار» وكلمة «الاختيار» لمعنيين دقيقين في أصل اللغة، مختلطين عنده، لعدم وضوح المنهج، كقوله: «والاختيار قديم عند العرب، فقد اختاروا المعلقات على ما سواها..»ص٤٦. فالعبارة الأولى تعني أن العرب صنعوا كتب اختيارات، أو أشاعوا نصوصاً اختارها العلماء والأدباء. والعبارة الثانية تعني أنهم فضلوا المعلقات على ما سواها من أشعار العرب. ونقرأ في المعجم ما نصّه: «اختار الشيء: انتقاه واصطفاه، واختار الشيء على غيره: فضّله عليه» انتهى.

٣) خلط الباحث بين الاختيار، وبين شرح الاختيار وإقامة دراسة على النصوص المختارة. فمن كتب الاختيار: حماسة أبي تمام وحماسة البحتري والحماسة المغربية إلى غير ذلك، والعدد كثير، ومن


د. محمد رضوان الداية


د. محمد رفعت زنجير

الشروح ما صنعه المرزوقي والتبريزي في شرح حماسة أبي تمام، وكما صنع المحقق في شرح الحماسة المغربية.

٤) في آراء الباحث النظرية التي أدرجَها في بحثه، أنه ينبغي في «الكتاب الذي يحتوي على نصوص مختارة: أن يقدم نبذة موجزة في أهم علوم العربية كالنحو والصرف والإملاء» ص٤٧. وهذا رأي غريب جداً. نفهم أن يقدم الذي يختار النصوص شرحاً على تلك النصوص وإضاءات مختلفة لها، ولكن ما دعوى تقديم موادّ نظرية في النحو والصرف والإملاء؟ ومن الذي صنع مثل هذا من أصحاب كتب الاختيار على امتداد العصور؟

٥) وفي آرائه النظرية - وهي كثيرة في الدراسة التحليلية - ص٥٢؛ أن من المستحسن أن تحتوي كتب الاختيارات «على ملحق بأهم المصطلحات العلمية العربية، وما يقابلها في اللغات الأجنبية» وقدم الباحث مسوّغه لهذا الطلب فقال: «لأن بعض الطلبة يستخدمون المصطلحات الأجنبية ولا يعرفون المقابل العربي لها» ولم يبيّن الباحث للقارئ، وللمقصود من المؤلّفين أيضاً العلاقة بين كتاب في الاختيارات الأدبية (من النصوص) وبين عملٍ معجمي يتعلّق بالمصطلحات العلمية العربية.. إلخ.

٦) لم يبيّن الباحث للقارئ الأساس الذي بنى عليه دراسته ولا الساحة التي يرتادها والمساحة التي يفرش عليها بحثه بل قال ص٤٧: «وقد اطلعت على بعض كتب الاختيارات للمرحلة الجامعية ووجدت بينها تشابهاً في أمور واختلافاً في أمور أخرى، فأردت أن أقيم بينها هذه الموازنة وذلك لكي تتضح الأمور أمام من يريدون التأليف في الاختيارات» ومعنى هذه العبارة أن الدراسة التحليلية وقف على هذا الجانب. وهي غاية ضئيلة الشأن بالقياس إلى المفهوم من الدراسة التحليلة الشاملة.

٧) ومن طرائف الدراسة التحليلية غمزٌ ظريف يبعث على الابتسام حقاً فقد قال على الصفحة ٥٢: «ولا بد للنصوص أن تنتقى بعناية بما يحقق الأهداف التربوية في إنشاء الجيل الصالح وغرس القيم الصالحة في أعماقه، بعيداً عن المباشرة وتهييج الغرائز والابتزاز عبر الكلمة» انتهى كلامه بحروفه. وكنت أتمنى على الباحث أن يقدم مثالاً أو أمثلة على هذا الانحراف الخطير في تهييج الغرائز والابتزاز عبر الكلمة» وأين كان هذا في كتب «اختيارات للمرحلة الجامعية» كما قرّر في دراسته على الصفحة ٤٧. إنه كلام يحتاج إلى دليل أولاً، ويحتاج إلى وضع النقاط على الحروف حتى لا يكون الكلام عائماً يُصيب أحد الكتب الأربعة التي اختيرت عشوائياً في «دراسة تحليلية مقارنة» ويصيبها جميعاً!.

٨) وشيء آخر هو عدم دقّة المصطلحات التي استخدمها في «الموازنة التفصيلية» مثل: «محدود - ومحدود جداً؛ وشبه ملائمة وملائمة وملائمة إلى حد كبير، ومنوّعة ومنوّعة إلى حدّ ما» ..إلخ.

٩) قال ص ٥١: «كنت أود لو أن هذه الكتب ركّزت اهتمامها في انتقاء النصوص المعاصرة أكثر منه - كذا - في النصوص التاريخية لتقدّم للطالب زاداً فكرياً في حياته العامة وتعرفه على المشكلات التي يتعايش معها ..إلخ». أليس في ما سماه «نصوصاً تاريخية!!» زاد فكري؟؟

١٠) ولا بد من تقديم الشكر إلى الباحث الفاضل على عنائه في التفصيل، وفي الموازنة وإن جاءت على غير ما يشتهي البحث الدقيق والباحث المدقّق!.■

■ د. محمد رضوان الداية
* جامعة عجمان



مثلثات قطرب (٦-٩)

مثلثات في موضوعنا تعني الكلمة التي يتغير معناها لتغير حركة من حركاتها بالفتح أو الضم أو الكسر رغم عدم تغير حروفها، وقطرب هو أبو علي محمد بن أحمد النحوي، وقد قدمنا في الأعداد الماضية حلقات تتناول بعض الحروف، وفي هذا العدد نواصل بالحديث عن حرفي الصاد والقاف:

حرف الصاد

والصوتُ للحديد يدعى صَلُّ[١]
وحيَّةٌ خبيثة فصِلُّ
وفاسد الطعام يدعى صُلُّ
وأكلهُ يُفضي إلى الوبال

جماعة الناس تسمى صَرَّة[٢]
وليلةُ البرد فتلك صِرَّة
وخرقةٌ مربوطةٌ فصُرَّة
والربطُ فيه الصونُ للأموال

بادر إلى الرحمن بالصَّلاة
وصِلْ قريباً منك بالصِّلات
واحذَرْ وُقوع اللذع من صُلاة[٣]
وجنسُها الحيَّاتُ في المثال

واسم لداء الجوع حقّاً صَفر[٤]
وكل شيء فارغ فَصِفر
وبعده النحاس فهو صُفر
فاسمع لهذا واتَّبع مقالي

حرف القاف

الاسم في جَور وظُلم قَسْط
والحق والعدل نعم فَقِسط
وعنبر البَخور أيضاً قُسْطُ
تجده عند سادة الموالي[٥]

تناول الأسد بفيها قَمّةْ
ورِفعة في جبل فَقِمّةْ
وإن تجد زُبالة فقُمّة[٦]
وكَنسُها أجر بلا محال

والاسم في الظهر يقيناً فالقَرا[٧]
ضيافةٌ معروفةٌ هي القِرا
واسم لجمع قرية هو القُرى
فاحذَر من التشكيك في المقال

والمبغِضُ المحِبُّ فهو قَلْبُ[٨]
نعم وعصفور بدا فقِلْبُ
والاسم في السوار فهو قُلْب
والفخر فيه الزَّينُ للجمال

أتانة الحمير تُدعى بالقَلا[٩]
والبُغضُ والهَجْرُ حقيقاً فالقِلا
والاسم في جَمعٍ لِقُلة قُلا[١٠]
فاحفظ هداك الله ذو الجلال

المطر النازل فهو قَطر
وذائب من النُّحاس قِطْرُ
والاسم للعود البخور قُطر
تبخَّر ان شئت هدى الليالي

■ عبد الوهاب الحبسي

هوامش

١) الصل ـ بفتح الصاد: صوت المسمار إذا دق بكره. وبكسرها: الحية والداهية، وبضمها ما تغير من اللحم وغيره.

٢) الصرة ـ بالفتح: الجماعة من الناس. وفي القرآن ﴿فأقبلت امرأته في صَرة﴾ أي جماعة من الناس.

٣) الصلاة ـ بفتح الصاد: هذه العبادة التي فيها ركوع وسجود. تطلق الصلاة على الدعاء، تقول صلى صلاة. أي دعا. وصلّى على النبي ﷺ: أي دعا له. وبكسر الصاد: جمع صلة، وهي العطية.. والصلاة ـ بضم الصاد: لم أجدها، لا منسوبة إلى الحيات، ولا إلى غير الحيات.

وفي المعجم الوسيط: (الصُّلة ـ بضم الصاد وتشديد اللام: الريح المنتنة).

٤) الذي في القاموس: (الصَّفر ـ بالفتح: الجَوعة) وتعبير الناظم فيه شيء من التسامح.

٥) القسط ـ بفتح القاف: الجور والعدول عن الحق.. وبكسر القاف: العدل. ومن المصادر التي يوصف بها ويستوي فيه الواحد والجمع.. وبضم القاف: عود هندي وعربي يتبخر به.

٦) القمة ـ بكسر القاف في القاموس ولسان العرب: أعلى الرأس، وأعلى كل شيء.. وفي القاموس (وبالضم: ما يأخذه الأسد بفيه) وفي لسان العرب (وبالضم: المزبلة) ولم أجد (القمة) بفتح القاف. وذهب الناظم إلى أنها ما يأخذه الأسد بفيه. ولم أجده لغيره.. والمِقمَّة ـ بكسر الميم: المكنسة، وبفتح الميم: ما توضع فيه القُمامة. وجمع القمامة. قمام، بضم القاف.

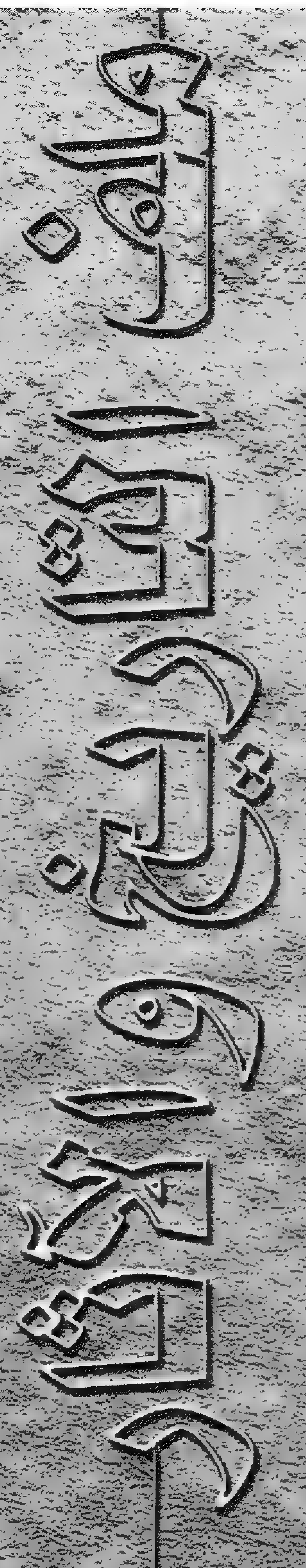
٧) القرا بفتح القاف: الظهر.

٨) يريد أن القلب محل البغض والمحبة.

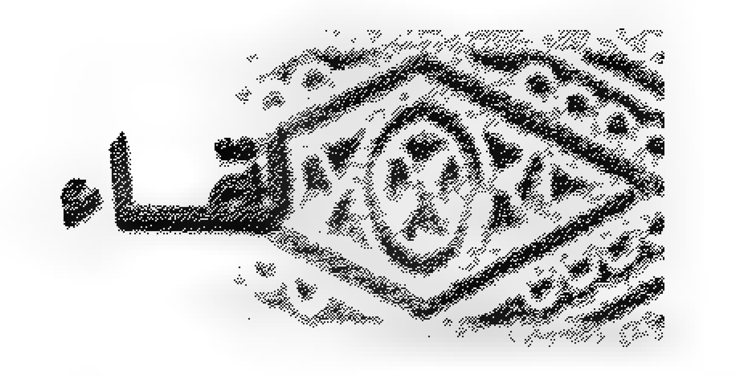
٩) في لسان العرب: (القلو: الحمار الخفيف).

وفي القاموس وشرحه: (القلو بالكسر الحمار الفتي. والقلوة بهاء: الدابة. ولم يذكر (القلا) بفتح القاف ـ بمعنى الأتانة ـ لا هو ولا شارحه ولا لسان العرب ولا المعجم الوسيط.

١٠) القلا ـ بضم القاف: رؤوس الجبال، جمع قلة، بضم القاف وتخفيف اللام.



- جمعية ابن ماجد.. وجهود مقدرة لحماية التراث.
- شخصيات: ابن حزم الأندلسي يكتب عنه الدكتور فايز القيسي باعتباره مفهرس الأندلس ومداحها.
- مسكوكات: ويكتب لنا عبد الله جاسم المطيري في هذا العدد عن درهم (بنو سلار).
- غريب في الصحراء: يواصل ديفيد جي هيرد سرد ذكرياته عن أبوظبي قبل ٤٠ عاما، ويتحدث عن الرياح التي عصفت بأحلامه.
- مخطوطات: كتاب البيطرة لصاحبه تاج الدين أبي عبد الله.

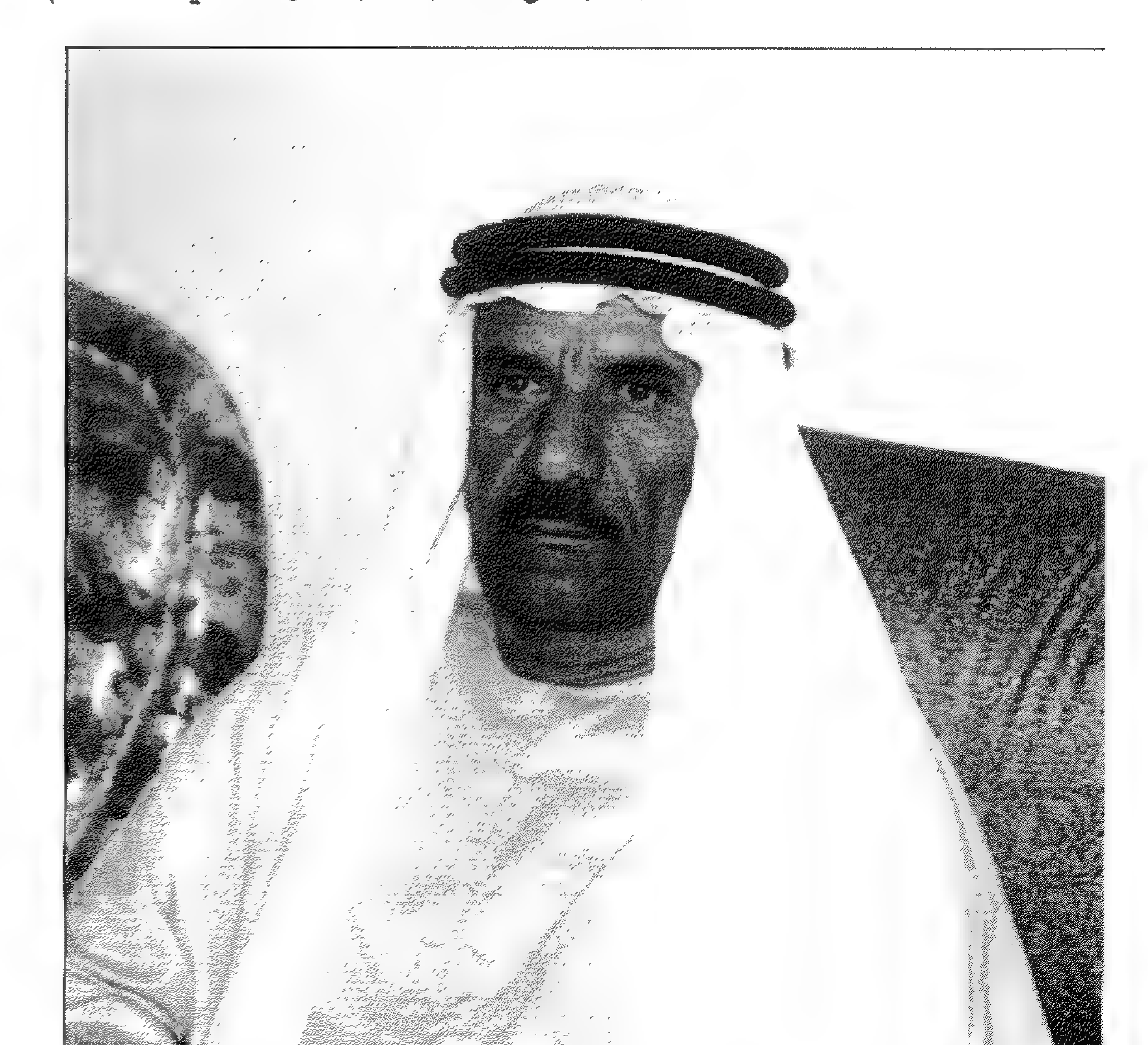


جمعية ابن ماجد للحفاظ على التراث برأس الخيمة

■ حسين المناعي

عندما يذكر اسم المايدي في السباقات البحرية، يذكر على الفور النوخذى ناصر حسن الكاس آل علي، فهو النوخذى الذي ما إن يشارك في سباق حتى يتيقن الجميع بأحقيته في المركز الأول، بسبب خبرته الطويلة في البحر والتراث منذ صغره، فلم تمنعه مشاغل الدنيا عن حُبه لحياة الآباء والأجداد، وحرصه على التواصل مع الأجيال من خلال المعارض التراثية، وتعريفهم بكيفية حياة الآباء وكيف كانوا يواجهون المخاطر في البحار من أجل لقمة العيش.

عشق ناصر للتراث شجعه على التفاني في خدمته وحرصه على إحيائه وترسيخه في نفوس أبناء الوطن، من خلال جمع أدواته سواء بالشراء المباشر أو الهدايا منه التي يقدمها كبار هواته، وقد جعل بيته متحفاً خاصاً لهذه القطع.. ثم ساهم مع قبيلته في إنشاء (فرقة أهل علي) وبعد إشهار جمعيات النفع العام في أبوظبي ودبي وباقي الإمارات، يقول ناصر: تقدمنا بطلب إنشاء جمعية اتفقنا على تسميتها (جمعية أحمد بن ماجد) نسبة إلى شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد النجدي الذي ولد سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٢١م في مدينة جلفار-رأس الخيمة-، وتوفي رحمه الله في عام ١٥٠٢ للميلاد عن عمر يناهز ٨١ عاماً، كان خلالها عاشقاً دائماً للبحر، وأميناً على أسراره. (طالع ملف ابن ماجد، تراث - في العدد ٤٣).



النوخذى ناصر حسن الكاس آل علي

هذه الجمعية التي تم إشهارها عام ١٩٨٤م تهدف إلى: إحياء التراث الشعبي ونشره بين الأجيال القادمة، والمساهمة في المناسبات والأفراح الشعبية، وتدريب الشباب على الفنون الشعبية والتجديف خوفاً عليها من الاندثار، والتعاون مع أجهزة الإعلام ونشر الفنون على مستوى الإمارة والدولة، وكذلك جمع الآثار القديمة والتحف البحرية من الغواصين، وإحياء الشعر الشعبي وإقامة الندوات الشعرية، والعمل على نشر الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، والمشاركة في المهرجانات الفنية والدولية والندوات الثقافية والفنون.

ويوجد في الجمعية العديد من الفنون الشعبية أهمها العيالة، الليوة، الهبان، الآهل (ها ها الله).

قاعة طنب للوثائق والتراث

وحرصاً من جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية في إثبات الحقائق التاريخية التي تؤكد أن أراضي جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى هي أراض إماراتية قلباً وقالباً وتاريخياً، يقول ناصر: إن الجمعية خَصصت قاعة طنب للوثائق والتراث أمر ببنائها سمو الشيخ خالد بن صقر القاسمي ولي عهد رأس الخيمة الرئيس الفخري للجمعية، وقد زوّدنا سموه بالعديد من الوثائق التاريخية والمراسلات بين شيوخ القواسم والإنجليز حول ملكية الجزر، كما قام أحمد حسن الخرخور بدعم من الجمعية



جانب من المتحف الدائم لجمعية ابن ماجد للحفاظ على التراث

بإعداد كتاب حول الجزيرة يحكي تاريخها وانتماءها للإمارات.

كما يوجد في القاعة صور عن الحياة في تلك الجزر وبعض النقود القديمة والعديد من المبايعات والعقود القديمة.

ويواصل ناصر الكاس حديثه قائلاً: نحن نقوم بجمع التراث وذلك بهدف إطلاع الأجيال القادمة وإعطائهم فكرة عن تاريخ آبائهم وأجدادهم، كيف كانوا يعيشون في الماضي، وما هي أهم حرفهم وأعمالهم، ونحن نفخر بهذا التراث ونعتز به ونسعى إلى تعريف الجميع به وذلك من خلال خطط الجمعية التي تسعى إلى إحياء التراث الشعبي الأصيل للمنطقة وتسجيله، لذلك نحرص على التعاون مع المناطق التعليمية في الدولة، ودعوة الطلبة لمشاهدة ماضي وتراث الأجداد ولقد زارنا العديد من المناطق على مستوى الدولة ويقوم أعضاء الجمعية بشرح تفصيلي عن كافة محتويات الجمعية التي تخص تراث الدولة وتعليمهم مفاهيم الآباء والأجداد خوفاً من الاندثار.

متحف ومعرض دائم

وقال ناصر الكاس إنه يوجد في الجمعية متحف ومعرض دائم باسم شهاب الدين أحمد بن ماجد عالم البحار، يستقبل الزائرين على فترتين صباحية ومسائية وهو مقسم إلى عدة أقسام:

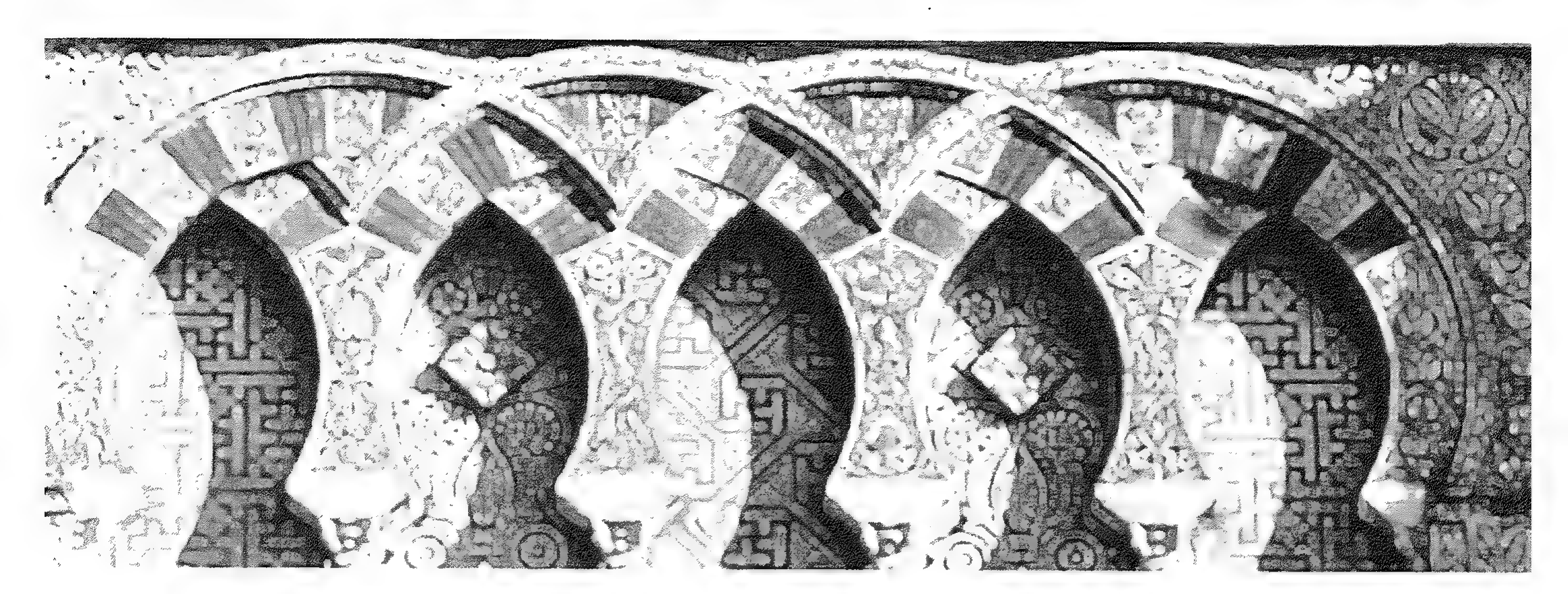
قسم الغوص والسفر: فبما أن البحر هو الوسيلة الأولى التي كانت تربط الإمارات بالعالم الخارجي فقد كان السفر على متن (الأبوام) وهي السفن الكبيرة التي كانت تسير بواسطة الأشرعة الضخمة، وكانت رحلة السفر أيام زمان تصل إلى ثمانية أو تسعة أشهر أو أكثر خاصة عندما تسوء الأحوال الجوية، وكانت المنطقة في ذلك الوقت مشهورة بصيد اللؤلؤ (الغوص) والذي كانت تجارته مزدهرة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ومن أثمن أدوات الغوص المعروضة في هذا القسم صناديق لحفظ اللؤلؤ والأدوات التابعة لها، وكذلك صيد الأسماك المهنة الغالبة لسكان الساحل، وكانت قوارب الصيد المستخدمة من مختلف الأحجام ومنها (الشوعي والهوري)، وقد تهددت صناعة القوارب الخشبية في الوقت الحاضر في رأس الخيمة بسبب تزايد السفن والقوارب الحديثة المستخدمة كهواية ولأغراض تجارية.

والقسم الثاني في المتحف هو قسم حياة البدو: فقد ارتبطت حياة البدو بتربية المواشي وأهمها الجمال التي يحدد عددها ثروتهم، وتؤثر على مكانتهم في المجتمع ويهتمون بتربية الماعز والأغنام لاحتياجاتهم اليومية.

وأما القسم الثالث فهو قسم العملات والمسكوكات القديمة: حيث يوجد في المتحف العديد من العملات والمسكوكات التي يرجع تاريخها إلى القرن العاشر الميلادي، بالإضافة إلى العديد من الأقسام المتنوعة والخاصة بأهم الألعاب الشعبية التي كان يلعبها الأطفال قديماً، وكذلك القسم الخاص بالملابس النسائية القديمة والحلي.

وحرصاً على التراث والمساهمة في إحيائه.. فقد شاركت الجمعية في أكثر من ٥٠ سباقاً، وحصلت على المركز الأول ٢٠ مرة، وعلى المركز الثاني ١٨ مرة، وعلى المركز الثالث ١٦ مرة.

وشاركت الجمعية بحوالي ٢٩ معرضاً داخلياً وخارجياً. أما أهم المعارض الخارجية فكان المعرض المقام في المغرب في شهر سبتمبر ١٩٩٥م، وفي سوريا نوفمبر ١٩٩٥م، وفي فرنسا أبريل ١٩٩٦م، وفي البرتغال (لشبونة) أغسطس ١٩٨٩م، وفي لبنان فبراير ٢٠٠٠م، وأخيراً في ألمانيا (هانوفر) نوفمبر ٢٠٠٠م.■



ابن حزم.. مفهرس الأندلس ومدّاحها

■ الدكتور فايز القيسي

تنتمي رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها إلى أدب الرسائل الذي يدور حول الإشادة والمباهاة بفضائل الأندلس وما فيها من سمات الحضارة وألوان الثقافة والعلم، وبما خصّهاالله به من محاسن وسمات تنفرد بها دون غيرها.

لقد كتب أبو علي بن الربيب القيرواني إلى الوزير الكاتب أبي المغيرة بن حزم رسالة يلوم فيها علماء الأندلس على تقصيرهم في الإشادة بمحاسن أهل بدلهم[١]. وقد ذكر ابن بسام في كتابه الذخيرة أن أبا المغيرة قد رَدَّ عليه برسالة أطال فيها القول، وتناول فضل الأندلس وأهلها ومدنها وعلمائها، وأعرض ابن بسام عن نقلها لنا كاملة واقتصر على جزء يسير منها. وقد بدأ أبو المغيرة رده بكلمة إطراء لابن الربيب وذكر لبعد صيته بين أدباء الأندلس، يقول: «وما زلت أتنسّم ذكرك، فأترسّم قدرك، وأسمع خبرك، حتى أرادت الأيام كشف السر، ورفع الستر، فوقفت على الصحيفة التي ظاهرها ديباج مرقوم، وباطنها لؤلؤ منظوم، ووشي محوك، وذهب مسبوك، فرأيت صور الأدب باهرة المرأى والعيان، شاهدة لك بأذلق لسان وأصدق بيان أنك أبو عذرتها، ومالك جملتها، وواحد فنونها، ووارد معينها..»[٢].

ونلمح في ثنايا رد أبي المغيرة بن حزم شكوى مبطنة من هذه الغربة التي يعاني منها أهل الأندلس، وانصراف أهل المشرق عن تدوين علوم الأندلسيين وفنونهم وآدابهم، حيث يقول: «وعلى كل حال، فقد نادينا لو أسمعنا، وطرنا لو وقعنا، وما أشبهنا بالغريبة التي خيرها يدفن، وشرّها يعلن..»[٣].

ثم إن أبا محمد بن حزم (ت٤٥٦هـ) الإمام الأندلسي المشهور، وهو ابن عم أبي المغيرة عثر على رسالة ابن الربيب بعد وفاة مؤلفها، فرد عليه برسالته المشهورة في فضائل الأندلس وأهلها.

وقد فخر عليه برسالته المشهورة في فضائل الأندلس وأهلها ومدنها وما فيها من سمات الحضارة والتقدم، وأورد فيها عدداً كبيراً من أسماء العلماء والأدباء في الأندلس في مختلف فروع المعرفة حتى عصره، وتحتل هذه الرسالة مكانة عظيمة في الفكر الأندلسي لأنه وضع فيها سجلاً حافلاً بمصادر التراث الأندلسي، إلى حد أن الأستاذ شارل بلاّ وضع على ترجمته لهذه الرسالة وما أضاف إليها من دراسة عنوان «ابن حزم مفهوم الأندلس ومدّاحُها»[٤].

وقد افتتح ابن حزم رسالته بمخاطبة صديقه الحميم أبي بكر بن إسحق المهلبي، وذكر له أنه وقع في يده رسالة ألّفها رجل من مصاقبي الأندلس، أخذ فيها عليهم إهمال الأندلسيين لذكر علمائهم وفضائلهم وأدبائهم[٥].

ثم انتقل إلى الثناء على صاحب البونت (من أعمال

بلنسية) الرئيس الأجل أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن القاسم الذي ولي أمرها بعد وفاة والده سنة ٤٢١هـ وحكمها حتى سنة ٤٣٤ هـ، ووصف مجلسه الأدبي الحافل بأصناف الآداب وأنواع العلوم والمعارف، وبيّن أنه كان «حريصاً على أن يجاوب هذا المخاطب (ابن الربيب)، وراغباً في أن يبيّن له ما لعله قد رآه فنسي، أو بعد عنه فخفي»[٦].

ثم يحدد ابن حزم موقع الأندلسيين في الأقاليم الإسلامية، ويبين أثر طبيعة الإقليم في ذكاء الأندلسيين ونبوغهم فيقول: «وأما في قسم الأقاليم فإن قرطبة مسقط رؤوسنا ومَعَقُّ تمائمنا، مع سُرَّ من رأى في إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كانت الأنوار لا تأتينا إلا مغربة عن مطلعها عن الجزء المعمور»[٧].

وهو في هذا يعمد إلى أسلوب المناقشة والجدل في سوق الحجج والبراهين، ومن ذلك قوله: «وقد صدق ذلك الخبر، وأبانته التجربة، فكان أهلها من التمكّن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم، بمكان رحب الفناء واسع العطن، متنائي الأقطار، فسيح المجال»[٨].

تحديد الشخصية الأندلسية

ويناقش بعد ذلك قضية مهمة هي الشخصية الأندلسية، فيحددها تحديداً دقيقاً ملتزماً في ذلك رأي الجماعية من المؤرخين والأئمة السابقين، فهم «متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها، رحيل ترك لسكناها إلى أن مات»[٩].

ويخرج بنتيجة مفادها أن «من هاجر إلينا من سائر البلدان، فنحن أحق به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا.. ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظّ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به، فكما لا ندّعي إسماعيل بن القاسم، فكذلك لا ننازع في محمد بن هانئ سوانا..»[١٠] وهو هنا يقيم الدليل على ما يذهب إليه.

وقبل أن يعالج ابن حزم موضوعه الأساسي يتناول قضية مهمة تلك هي مكانة العالم في بلده، فيشير إلى تنكر الأندلسيين لمن نبغ منهم في العلوم، وما يناله من غمط حقوقه، وجحود علمه، وطمس فضله، وهو هنا يقيس على ما لقيه من أهل عصره من تحامل الفقهاء والأدباء وذوي السلطة ضده، وهو هنا يكشف لنا عمّا يغمر نفسه من مرارة وألم وقلق، وضيق لما يلاقيه في هذه البلاد التي طالما أحبها وأخلص لها، يقول: «وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر «أزهد الناس في عالم أهله».. ولا سيما أندلسنا، فإنها خُصّت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد، إن أجاد قالوا: سارقٌ مغيرٌ، ومنتحلٌ مدّع، وإن توسط قالوا: غث بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق، قالوا: متى كان هذا؟ ومتى تعلم؟..»[١١].

ويبين بعد ذلك فضل بلاده، ومدى مساهمتها ورجالها في بناء الفكر الإسلامي، فيقدّم ثبتاً بأعلام النهضة الفكرية في الأندلس ويعدد تآليفهم، ومصنفاتهم في مختلف فروع المعرفة من تاريخ وأخبار وفقه ولغة وشعر وطب وفلسفة وعدد هندسة وحديث وعلم كلام وغيره.. ولم يورد من تلك التآليف إلا المستحقة الذكر والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها، وهي إما شيء يخترعه لم يسبق إليه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه صاحبه يصلحه.

أما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم يلتفت إلى ذكرها، وهي عند الأندلسيين كما يذكر ابن حزم أكثر من أن يحيط بعلمها[١٢].

أعلام من الأندلس

ولعل من المفيد أن تقف عند بعض مشاهد أعلام الثقافة الأندلسية الذين ضرب بهم ابن حزم المثل في المعرفة والشهرة وحسن الأثر. ومن هؤلاء أبو عبد الرحمن بن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦هـ، الذي كان عالماً مفسراً وفقيهاً مجتهداً وحافظاً محدثاً، وصاحب تصانيف مختلفة في التفسير والحديث وغيرهما. ولقد برع في تفسير القرآن الكريم حتى وضع في ذلك مؤلفاً قطع ابن حزم قطعاً لا يستثني منه أحداً أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، لا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره، وله في الحديث النبوي مصنف كبير رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف مسند، وقد ذكر ابن حزم أن عدد الشيوخ الذين روى عنهم بقي بن مخلد هذا المصنف مائتان وأربعة وثمانون رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير.

وبقي بن مخلد مصنف آخر في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم، وقد أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق بن همام، ومصنف سعيد بن منصور وغيرها، وانتظم علماً عظيماً لم يقع في شيء من هذه، فصارت تآليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام لا نظير لها، وكان متخيراً لا يقلد أحداً»[١٣].

ومنهم أبو عمر أحمد بن فرج (ت٣٦٠هـ) الذي كان وافر الأدب، كثير الشعر، معدوداً في العلماء والشعراء، وكان قد وضع كتاب «الحدائق» معارضاً به كتاب «الزهرة» لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني (ت٢٩٧هـ)، غير أن أبا بكر إنما أدخل مائة باب،في كل باب مائة بيت، وأبو عمر أورد مائتي باب، في كل باب مائة بيت ليس فيها باب تكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد، فبلغ الغاية، وأتى الكتاب فرداً في معناه[١٤].

ومنهم أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت٣٥٦هـ)، الذي كان أحد مشاهير المشارقة الذين هاجروا إلى الأندلس وساهموا في النهضة اللغوية والأدبية التي شهدتها الأندلس عصر قرطبة. وقد وضع عدداً من المصنفات منها «البارع» الذي يعد من أشهر كتب لغة العرب، و«المقصور والممدود والمهموز»، الذي لم يؤلف مثله في بابه، و«الإبل والخيل»، و«فعلت وأفعلت»[١٥].

ومهما يكن من أمر، فإن ثبت المفكرين والعلماء الأندلسيين الذي قدمه ابن حزم، وفهرست أمهات مؤلفاتهم في مختلف فروع المعرفة الإنسانية يدل على سعة ثقافة ابن حزم وعمقها، وعلى اطلاعه الواسع، ومقدرته على تقييم المصنفات والتآليف ونقدها[١٦].

التطلع إلى المشرق

ونلمح في رسالة ابن حزم شعوره بأندلسيته ومباهاته ببلده الذي يعتبر حضارة المشرق مثله الأعلى والأنموذج الذي يحتذى، بل إن لمراكز الحضارة العربية الإسلامية في المشرق مكانة عظيمة في نفسه يقول: وهذه بغداد حاضرة الدنيا، ومعدن كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم.. وهذه البصرة وهي عين المعمورة في كل ما ذكرنا..»[١٧].

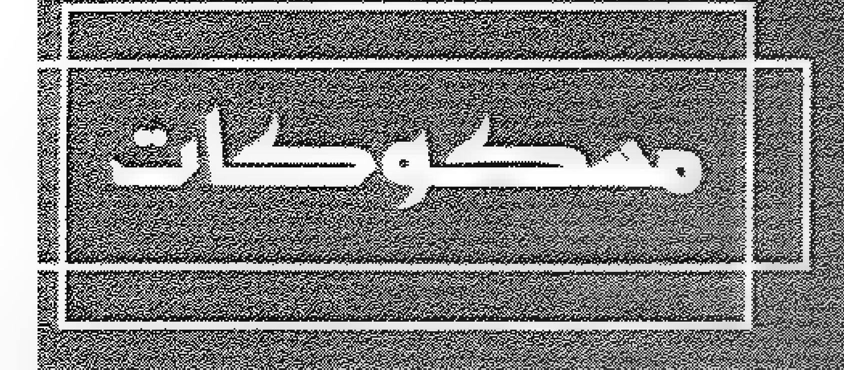
ويختتم ابن حزم رسالته بذكر من تتباهى به الأندلس من رجالها وعلمائها وأدبائها، وهو هنا يعقد مقارنة بينهم وبين أمثالهم من المشارقة في كل ميدان، يقول: «ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباه به إلا جريراً والفرزدق لكونه في عصرهما، ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين.. وإذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري.. وإذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرياحي، وأبي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد..»[١٨].

وواضح أن ابن حزم يضع أساساً جديداً لمفاخرة البلدان، فهو يرى أن العلم وحده هو ينبوع الفضائل، وأن العلماء وحدهم هم الذين يحق للبلدان أن تتفاضل بهم، وهذا يعد تطوراً جديداً في أدب المفاضلات بين البلدان[١٩].

وتعد رسالة ابن حزم سجلاً حافلاً بمظاهر النشاط العلمي والأدبي في الأندلس حتى عصر مؤلفها، ومنظارة أدبية يتحدى بها من عاب أهل الأندلس تقصيرهم في ذكر علمائهم، وهي تحتل مكانة رفيعة في الأدب الأندلسي، لبراعة صاحبها في الرد والحجاج.■

الهوامش:

١. انظر رسالة ابن الربيب في: ابن بسام، أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ق / ٨،م تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص١٩.
٢. الذخيرة: ق١ م١، ص١٣٦.
٣. الذخيرة. ق١ م١، ص١٣٨.
٤. انظر: حوليات الجامعة التونسية، ع٢٠، ص٣٨، ومجلة الأندلس، ع١٩، ١٩٥٤، ص٥٣– ١٠٢.
٥. انظر: ابن حزم «رسالة ابن حزم في فضل الأندلس» في رسائل ابن حزم، ج٢، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت١٩٨١، ص١٧١.
٦. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٢.
٧. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٤.
٨. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٤ – ١٧٥.
٩. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٥.
١٠. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٦.
١١. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٦.
١٢. انظر: رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٨– ١٨٦.
١٣. انظر: رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٨– ١٧٩.
١٤. انظر: رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٨٣.
١٥. انظر: رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٨١– ١٨٢.
١٦. انظر: عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي، ص١٧٨.
١٧. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٧٦.
١٨. رسائل ابن حزم: ج٢، ص١٨٧.
١٩. انظر: فايز القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشر، عمّان، ١٩٨٩، ص٢١٤، سعيد الأفغاني، ثلاث رسائل في فضائل الأندلس، ص١٦.





درهم (بنو سلار)

عبد الله بن جاسم المطيري
مدير بيت الشيخ سعيد آل مكتوم
عضو الجمعية الملكية البريطانية للمسكوكات

مؤسس هذه الإمارة هو المرزبان الأول (محمد بن مسافر) سنة ٣٠٤هـ في المنطقة الواقعة بالقرب من بحر الخزر، وقد اتخذ من (تارم) عاصمة لإمارته، ثم أصبحت عاصمة الإمارة بعد ذلك (أردبيل)، وامتد سلطانه إلى (أران وأذربيجان وجنزة) و تعد هذه الأسرة من الأسر الفارسية المحلية التي تنحدر من الديالمة، ويذكر العالم الفارسي (خسروي) أن الاسم الأصلي لهذه السلالة هو (بنو كنجار) أو (الكنجاريون). وقد استطاع بنو سلار الاستيلاء على الكثير من الأراضي التي كانت خاضعة لبني جستان، وظلت هذه الإمارة مستقلة إدارياً عن الخلافة العباسية مقابل دفع الخراج ورفع اسم الخليفة على السكة، وفي عام ٤٢٠ هـ خضعت هذه الإمارة لسلطان الدولة السلجوقية لبعض الوقت، إلا أن نهاية هذه الأسرة كانت على يد حكام الأسرة الإسماعيلية.

ضربت الدراهم السلارية على الطراز العباسي ولكنها أقرب إلى طريقة وأسلوب سك النقود البويهية، حيث اقتصرت هذه الأسرة على ضرب الدراهم الفضية، مما يدل على أن هذه الإمارة كانت ذات دخل محدود، وأن إمكانياتها الاقتصادية لم تمكنها من استخدام الدنانير الذهبية، ومن الملاحظ أيضاً أن معدن الفضة لم يكن نقياً، وأن الدراهم ليس بها تقنية، واستخدم في سكها اسلوب الطرق اليدوي. دام حكم بني سلار ١٣٣ عاماً، تعاقب على الحكم سبعة من الحكام كان آخرهم هو (مسافر بن إبراهيم) الذي قتل بيد أمراء الدولة الإسماعيلية.

نموذج الدرهم / جستان بن المرزبان - أردبيل - سنة ٣٤٧ هـ

المأثـــورات:

الوجه الأول

الهامش: **محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.**

الوسط: **لله - محمد رسول الله - المطيع لله - جستان بن المرزبان.**

الوجه الثاني

الهامش الأول: **﴿لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾.**

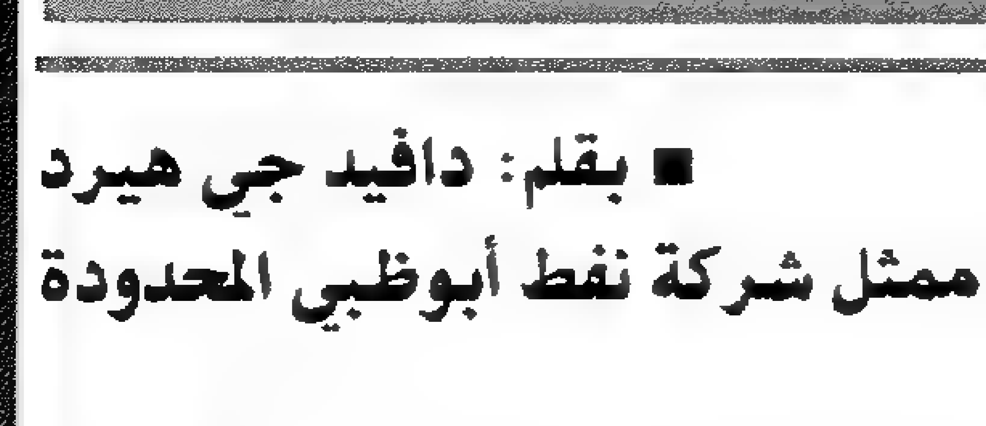
الهامش الثاني: **بسم الله ضرب هذا الدرهم بأردبيل سنة سبع وأربعين وثلاثمائة.**

الوسط: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له - ابراهيم بن المرزبان.**

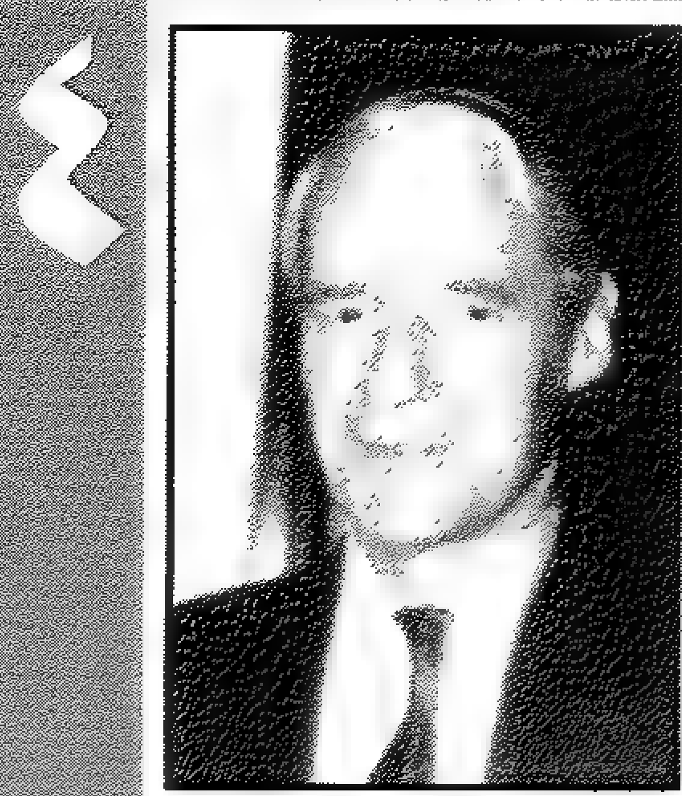


الوجـــه الأول

الوجـــه الثاني



٤٤



■ بقلم: دافيد جي هيرد
ممثل شركة نفط أبوظبي المحدودة

الرياح.. تعصف بأحلامنا

عندما كنا نعمل في مواقع البحث والتنقيب عن البترول في صحراء أبوظبي مع مشارف العقد السادس من القرن العشرين.. وفرت لنا الشركة سيارة لاندروفر نستخدمها للتنقل بين الحقول البترولية في الصحراء.. السيارة كانت (بيك ـ آب) أي سيارة نقل خفيف، وتتسع لراكب أو اثنين على الأكثر مع القدرة على حمل بعض المعدات صغيرة الحجم، لذلك كانت السيارة بسيطة في محركها، وليست معقدة مثل تلك التي نراها هذه الأيام لدرجة أن بها جهاز كمبيوتر للكشف عن العيوب والأعطال!! وهي مثل السيارات القليلة التي تركها الجيش البريطاني، ولكنها ليست ذات عجلات صحراوية عريضة، كانت جيدة الصنع خفيفة الحركة، وتؤدي ما هو مطلوب منها حيث يتطلب عملنا الصعود إلى أعالي التلال والتباب الرملية خلال فصلي الصيف والشتاء، خاصة أثناء درجة الحرارة العالية جدا صيفاً مع عدم وجود مبردات أو مكيف هواء في السيارة، ومع هذا.. كان علينا أن نفرغ إطارات السيارة قليلاً لنتمكن من السير بها على الرمال، وحتى لا تنفجر من حرارة الشمس!

هذه السيارات كنا نعدها ممتازة إذا أُحسن استخدامها، خاصة إن كانت جديدة، مع الوضع في الاعتبار العوامل الجوية التي تلعب دوراً كبيراً في جودتها، وعلى الرغم من كل محاولات الحفاظ عليها.. إلا أنها بعد عام أو عامين، تجدها وقد كشفت عن مشاكلها لأنها ليست معدة للعمل في الصحراء.. حتى إنني بعد فترة من استخدام سيارتي اللاندروفر، بدأت تزعجني من حيث صوت المحرك والصيانة المستمرة المطلوبة لها، فضلاً عن الخشخشة التي بدأت تسمع بشكل واضح، وذات مرة، قدت السيارة إلى بئر (الحويلة٤٥) لمسافة طويلة بدون ماسورة العادم، أو ما يسمى (الشكمان أو الإكزوس)، وسارت معي السيارة بشكل طبيعي، ولكن لك أن تتخيل مدى الإزعاج الذي يمكن أن يحدث في محرك سيارة بدون ماسورة عادم.. وما زلت أتذكر ذلك التاريخ، فقد كنا في صيف عام ١٩٦٦م، وبالفعل وصلت رغم الضوضاء التي أحدثتها، وعندما قمت بفحص البئر وجدنا أن بها ماء مالحاً بكمية كبيرة، بينما كنا نأمل أن يكون بها زيت.. فتركناها كما هي،

ويمكن اليوم أن تراها، وهي واقعة على الطريق الرئيس الجديد في ليوا وغياثي، والوصول إليها أصبح سهلاً جداً حتى لو بسيارة عادية، بينما خلال الأيام التي قمنا فيها بحفر تلك البئر كان الذهاب إليها يعد كفاحاً مريراً خاصة لو كنت تقود لاند روفر، وأحياناً كنت آخذ معي بالسيارة معدات فحص البئر، هي معدات حساسة، لذلك لم أكن أضعها في السيارة، وكنت أقود السيارة بحرص وعناية شديدين، وغالباً ما أضع تلك المعدات الحساسة على المقعد المجاور لي أو على أرضية السيارة.

وأذكر ذات مرة خلال عام ١٩٦٧م. أنني توجهت بالسيارة إلى منطقة السيح.. وهي واقعة بين العصب وليوا، لزيارة ـ المغفور له بإذن الله ـ عبيد الهاملي، ولحسن الحظ كانت الصحراء مبتلة بأمطار هطلت قبل توجهي إلى السيح، الأمر الذي سهل السير على الرمال، وكان المرحوم عبيد الهاملي أحد الذين عملت معهم، وأذكر له العديد من المواقف، منها أنه كان يتميز بالصبر دائماً.. وعندما وصلنا إليه وجدناه بانتظارنا وقد أبدى قلقه علينا، خاصة لأننا سرنا في

مناطق صعبة، وأذكر أيضاً أنه كان معنا خلال إحدى العمليات بنفس المكان، وكان هناك عاصفة ثم مطر شديد، فكان يرشدنا دائماً للطريق الصحيح، وبعد فترة مررنا بنفس الطريق، وإذا به يخبرنا عن بعض النباتات المفيدة التي بدأت تنبت في الصحراء بعد عدة أشهر من هطول الأمطار فيها، وعندما حل علينا الليل توجهنا إلى إحدى القمم العالية بشرق السيح، ورأيت آثار عجلات السيارة تركت فجوة عميقة بالرمال.

ومرة أخرى خلال عمليات فحص الآبار عام ١٩٦٧ مكثت في العصب واستمر العمل لأسابيع، وكان تحت ظروف مناخية سيئة للغاية، وعشنا في الصحراء في خيمة، كان الغذاء معقولاً ومياه الشرب معلبة. كان عددنا (٧) رجال بسيارة لاندروفر واحدة، وسيارة كبيرة دودج وكل فترة نجد عدداً من الزملاء يأتون إلينا من طريف لأخذ التقارير، ويحضرون معهم مؤناً وتمويلاً طازجاً كالماء والطعام، وفي تلك الأثناء لم يكن هناك وسيلة اتصال سلكية أو لاسلكية مع طريف، ولذلك كان علينا إما الذهاب إلى طريف حيث مقر الشركة لتقديم التقارير عن العمل، أو الانتظار لوصول الزوار لإعطائهم تلك التقارير.

وبدأنا العمل في البئر، واستمر حتى حل علينا الظلام، وعندها أخبرني زملائي بأن لدينا معلومات كافية عن البئر، ويبدو أنه قد انتهى اختبارها بالفعل، وكانت الرياح آنذاك مستمرة، والرؤية منعدمة إلى حد ما، بدأنا في التوجه إلى طريف متجهين نحو الساحل الشمالي لأبوظبي، وسرنا بالسيارة، وكان أمامنا بعض المركبات التي يمكننا الاستدلال بها، ومن جراء شدة الرياح كانت آثار السيارات تطمس بسرعة، ولك أن تتخيل أن الرحلة التي تستغرق ساعتين بالسيارة على الأكثر.. كم استغرقت آنذاك، لقد فقدنا تلك السيارات التي أمامنا بسبب الظلام، وشدة الرياح، وانعدام الرؤية، ومن حسن الحظ اتبعنا سيارة شاحنة أخرى، وبعد ساعتين وجدنا أنفسنا على مشارف مدخل مدينة زايد ناحية الغرب، وعبرناها متجهين نحو الشمال، حيث رأينا شعلة الغاز في حقل (حبشان)، وكانت هذه الشعلة يمكن رؤيتها من مسافات بعيدة، وتنفسنا الصعداء.. فقد استطعنا أخيراً السير على الطريق المسفلت، حيث اتجهنا إلى معسكر (سانتاني) نحو طريف.

طوال تلك الرحلة كنت أقود السيارة وكأن عيناي مغمضتان، وذلك نظراً لقضاء أكثر من أسبوع داخل الخيمة في الصحراء، والعمل باستمرار.. الرياح الشديدة كانت تكنس رمال الصحراء وترميها في أعيننا وأنوفنا.. كنا ننتظر لحظة الوصول للاستحمام والراحة في طريف.. وفجأة، توقف محرك السيارة التي أقودها بدون أي مقدمات أو أسباب!! توقف في الصحراء ليلاً، وكان مؤشر الوقود يدل على وجود نسبة معقولة في السيارة من البنزين، بل والأكثر كانت معي كمية كافية منه أضعها دائماً خلف السيارة تحسباً لأي ظرف.

حاولت إصلاح ما حدث بها، إلا أنها رفضت تماماً، ومما زاد من حسرتنا أننا كنا نرى أضواء طريف على مرمى البصر، لكنه كان علينا أن نبقى في السيارة وانتظرنا لفترة طويلة، الظلام من حولنا والماء معنا أوشك على على النفاد.

وبدا أن أحلامنا في الاستحمام بماء دافئ، وشرب الماء العذب البارد، والعشاء الجيد قد أصبحت بعيدة المنال، ورأيت رجلين من أهل المنطقة قد مرّا علينا، ويبدو أنهما كانا في زيارة لأصدقائهما في معسكر (سانتاني)، أخذنا معهما نحو طريف، وتركنا السيارة في الصحراء، وأبلغنا الميكانيكي ومقاول النقليات (خان صاحب) بإحضارها فيما بعد، وفي الصباح التالي توجهت نحو الورشة لكي أسأل لماذا توقفت السيارة؟ أجابني الميكانيكي بأن هناك عطلاً كهربائياً حدث في السيارة تسبب في توقف المحرك، وهذا قد يحدث في أي وقت

وأذكر أنني ذات مرة قمت بقيادة إحدى السيارات، وهي باص لنقل الركاب، حيث كنا نقطر قارباً صغيراً إلى طريف، وهذا القارب كان يعد وسيلة الرفاهية الوحيدة لدينا آنذاك، وكان المد يبلغ مساحة ميل تقريباً خارج الشاطئ، ولم نكن نعرف هذا الشيء، وعندما توقفنا وأخذنا القارب من خلف الباص، وتركناه بدون فرامل أو أضواء.. وهذا شيء اعتدنا عليه، وكنا عندما نعود نجد أن المد قد وصل إلى مسافة بعيدة، وسحب الباص، بل أحياناً كان الماء يغطي الباص، وكان علينا أن ننتظر حتى يعود الجزر مرة أخرى، ونسحب الباص بعيداً عن الماء، ونتركه في الشمس حتى يجف، وكان طبيعياً أن ننتظره لفترة طويلة حتى يجف الباص والمحرك أيضاً.. رغم أنه كان يستخدم لنقل العمال في الموقع.■

إعداد: محمد سعد معروف



كتاب البيطرة

مخطوط من تأليف: الصاحب تاج الدين المتوفى سنة ٧٠٧ هـ

في تاريخ الثقافة العربية، وأمجاد الإسلام العظيم سلسلة ذهبية مخطوطة بخط مؤلفها بالحرف العربي القديم برسمه العفوي ونقشه المتألق تزدان به مكتبتنا عبر العصور الغابرة، موزعة في كل أنحاء العالم، رهينة الرفوف، وحبيسة الأدراج تنتظر من يزيح عنها الغبار، وهي في مجملها تعدّ من عيون التراث الخالد.

وهناك معاهد متخصصة تعهدت بنشر هذا الإرث المخطوط الهائل، خصوصاً ما كان محتفظاً برونقه خلال تعاقب الأزمان، ولم يتآكل من العث والجراثيم وما أكثرها، وأغلبها قيّض الله سبحانه وتعالى من يقوم برعايتها والمحافظة على سلامتها والعناية بصفحاتها لتبقى صامدة خلال الأيام حتى يأتي الأوان كي يحين تحقيقها ومن ثم تعانق النور لتحقق خصوصيتها وتعم فائدتها، وتنتشر معلوماتها على مدى الأيام، وتوالي العصور وتعاقب الأزمان.

كتاب البيطرة

ومن هذه النفائس، كتاب البيطرة، والذي وقع بين يدي مصادفة على طاولة أحد المحققين المشتغلين بالتراث، وكنت حينها أقوم بعرض جهود دار الكتب الوطنية في أبوظبي في حيازة ذخائر المخطوطات من روائع تراثنا.

وكتاب البيطرة صوّره معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت بألمانيا وهو في جزئين، الأول يقع في ثلاثمائة وستين صفحة من القطع المتوسط والجزء الثاني في ثلاثمائة وثلاثين صفحة تقريباً، من الحجم نفسه، وقد تم تصوير المجلدين بعناية ووضوح بإشراف المحقق والباحث المعروف بنشاطه في هذا المجال وهو الأستاذ فؤاد سزكين.

وفي تصوري أن هذه المخطوطة من النوادر في اختصاصها وقليل هؤلاء الأعلام القدامى الذين خاضوا هذا المضمار أمثال السيد الصدر يعقوب بن إسحاق الخطابي صاحب كتاب «البيطرة الرومية في أمراض الخيل».

الملامح العامة للمخطوط

هذه المصورة تحدثنا بشكل موسوعي عن البيطرة والبيزرة ويركز المؤلف في صفحات مخطوطته عن الخيل وصفاتها وبيطرتها وأنواعها، وأقل ما يمكنني أن أقدم له من توصيف بأن هذا المخطوط في جزئيه هو من النوادر القيمة التي حفظت لنا في خزانات الكتب القديمة، لكن، كما بدا لي، أن تلك الورقات لم تحظ باهتمام الباحثين ولا بإشارات المؤرخين للتراث العربي الإسلامي.

ومؤلفه الصاحب تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علي (المولود ٦٩٣هـ/ ١٢٤٢م، والمتوفى في مصر ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) كان من أصحاب العلم والأدب، وقد سبق له أن تولى الوزارة في أوائل الدولة الناصرية (في صفر ٦٩٣هـ/ يناير ١٢٩٤م).

ولعلّ ولعه بالفروسية الذي تشير إليه المصادر كان دافعه إلى أن يخط عن تصانيف البيطرة وما يتعلق بها من معرفة الآلات والدواب والخيل والحيوان عموماً. فكتب في المجلد الأول فصلاً ينقسم إلى عدة أبواب في تفسير العلامات لبعض الأمراض والآفات وعلل الدواب ودلائلها، وفي المجلد الآخر لهذا المخطوط فصل يحتوي على أبواب العلاجات، وفعلاً كان هذا هو طابع علم البيطرة المألوف في ذلك العصر، وقد أغنى المؤلف رحمه الله مخطوطه هذا بالحواشي والإضافات، رغم أن المجلد الثاني قد سقط منه ورقة العنوان وورقة الختام، وقد استنسخه المؤلف من مسودته الخاصة، ولعل تغير الخط هنا أو اختلافه، كما أظن، يعود إلى أن المخطوط الثاني كتب بعد الجزء الأول بزمن طويل نسبياً ليتابع شرح سبعة وخمسين باباً ويسوق مقدمة عن الجهاد في سبيل الله تعالى مستشهداً بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ثم يتوقف بنا عند المرابط أيام الصحابة والعرب، وينتقل بنا إلى ما يخص الفرس وسائر الدواب، وبخط واضح مقروء لمن أراد التزود من المختصين في هذا المجال، وليضيف لبنة في بناء تراثنا العربي.■

الورقة الأولى من المخطوط

واصف باقي



- لقاء: عن مركز السلوقي العربي الذي سيفتتح قريبا، أجرت ضبابة الرميثي لقاء مع حمد الغانم مدير المركز، حول السلوقي باعتباره كان الجناح الثاني في عملية القنص، ومهمة المركز وأهدافه.

- ندوة: التراث العلمي ومعضلة النص، كان موضوع ندوة نظمها مركز زايد للتراث والتاريخ بالعين، وتحدث فيها الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي مدير معهد الدراسات المصطلحية والأستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد لله في مدينة فاس المغربية، والتي أكد فيها أن التراث الإسلامي لن يبلى ولن يموت.

- معارض: مقتنيات وتحف تراثية تحت سقف واحد في لندن يكتب لنا عنها مصطفى كركوتي.

- من نوادر العرب، ويكتب لنا الدكتور حسن النابودة عن: تميم بن جميل، وعمرو بن معد يكرب، وأبي الأسود الدؤلي، ومقتل المهلهل التغلبي.

- قرة العين في فرح الزين.. كتاب قديم يعالج بخفة ظل وروح الدعابة الأعراس قديما في مصر.

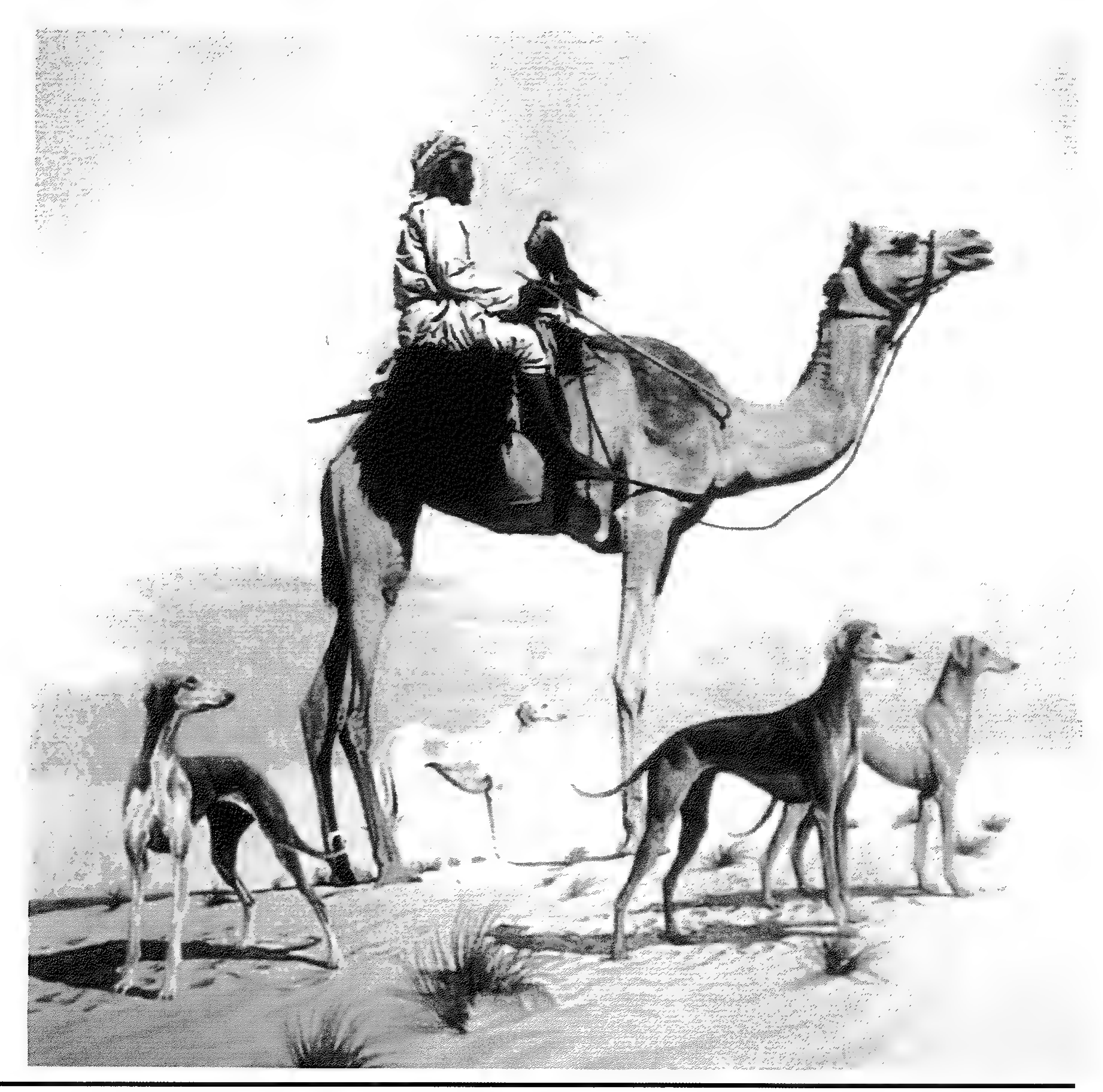
- مهرجان: أسبوعيا.. تنظم القرية التراثية على كاسر الأمواج في أبوظبي مهرجانا تراثيا يشهد إقبالا كبيراً.

- مفردات تراثية: ويكتب لنا فيه الدكتور محمد رضوان الداية عن :الرمح

- لقاء مع شاعر البر والمزيون علي بن رحمة الشامسي .. الذي أثرى ساحة الشعر الشعبي بروائع قصائده بكلماتها ومعانيها وتراكيبها وعمقها .. بعضها أثار جدلاً .. وبعضها أنساب نغماً .. والبعض الآخر تغنى بحب القائد والوطن.

السلـوقي العـربي

الحارس الأمين.. ورفيق رحلات القنص



■ ضبابة الرميثي

إذا تحدثنا عن رحلات الصيد بالصقور (القنص).. يكون الصقر هو الأساس.. بل لا شيء غيره.. نتكلم عن انطلاقاته وبراعته وطيرانه وسرعته وجسارته.. بل ونتكلم عن ألوانه ووصفه من قمة رأسه حتى أطراف ريشه.. ونتغنى به.. وبأسعاره دليلاً على أهميته وقيمته.. ونقول: إننا نتحدث في جانب تراثي مهم.. ونسينا تماماً جزءاً مهما من عملية القنص.. أو لنكن أكثر صراحة.. تناسينا تماماً الكلب السلوقي الذي كان «الجناح الثاني» في عملية القنص.

طاح السلوقي.. الحارس الأمين.. ورفيق رحلات القنص من الذاكرة.. وطار الطير بكل الغنيمة واستأثر بكل المديح والإشادة.. فهل بالعودة إلى هذه الذاكرة نكون قد انصفناه.

بكل شجاعة وصراحة نقول: لا.. لكن ما يمكن أن يعوض ذلك هو «مركز السلوقي العربي» الذي يوشك أن يفتح أبوابه بعد فترة قصيرة.. ليكون أول مركز للسلوقي العربي في المنطقة.

إن مجرد التفكير بوجود مركز لرعاية الكلاب في دولة عربية وخاصة دولة خليجية أمر غريب وبصراحة حين ذهبنا إلى هناك كان لمجرد الفضول ولكننا ما إن تخطينا ذلك الباب الزجاجي وقابلنا شعار «مركز السلوقي العربي» تبدلت كل الأفكار فكان لنا هذا الحوار والجولة الماتعة مع حمد غانم الغانم مدير المركز والعاشق الغريب لهذه الهواية الأصيلة التي تكاد أن تندثر.

*** في اعتقادي إن فكرة وجود مثل هذا المركز هنا في دولة الإمارات فكرةٌ غريبة!*

■ ولماذا غريبة؟، بل على العكس إنه أنسب مكان لإنشاء هذا المركز، فالسلق حيوان رافق البدوي والعربي لفترات طويلة وكان جزءاً لا يتجزأ من رياضة الصيد بالصقور. وفي كثير من الصور القديمة التي التقطت للقوافل التي كانت تجوب الصحراء نجد السلق يرافقها كظلها حامياً ومعيناً على إيجاد الطعام، وقد كان العرب يفتخرون بالسلق فلا يبيعونه أبداً بل إنهم كانوا ينسبون كلابهم لأنفسهم كسلق فلان بن فلان وهكذا، لذلك فإننا لا نستغرب إذا وجدنا أناساً يطلقون اسم منطقتهم عليه، كأهل منطقة سلق بالقرب من حضرموت في اليمن، وذلك تقديراً لهذا النوع من الكلاب.

*** منذ متى عرف الإنسان عامة والعربي خاصة السلوقي؟*

■ ذكر القرآن الكريم كلاب الصيد، ولكنه لم يذكر السلق تحديداً، وهو دليل على أن هذه الكلمة أطلقت عليه بعد ظهور الإسلام، أما معرفة الإنسان الأولى بهذا النوع من الكلاب فقد كانت منذ الجاهلية وربما قبل ذلك بكثير. وقد أعجب الفراعنة في مصر بالسلق وقدسوه ورسموا له صوراً على الحائط في القصور والمقابر، ويقال بأنهم كانوا يقومون بتحنيط السلق بعد موته تخليداً لذكراه. وقد قال فيه الشاعر العباسي أبو نواس:

أنعت كلباً أهله من كده
قد سعدت جدودهم بجده

ساحة التدريب

ولمعرفة كل هذا الاهتمام بهذا النوع من الكلاب خاصة دون غيره قمنا بجولة في مركز السلوقي العربي بإمارة أبوظبي، ومن تلك الغرفة الجميلة المخصصة



حمد الغانم - مدير (مركز السلوقي العربي)

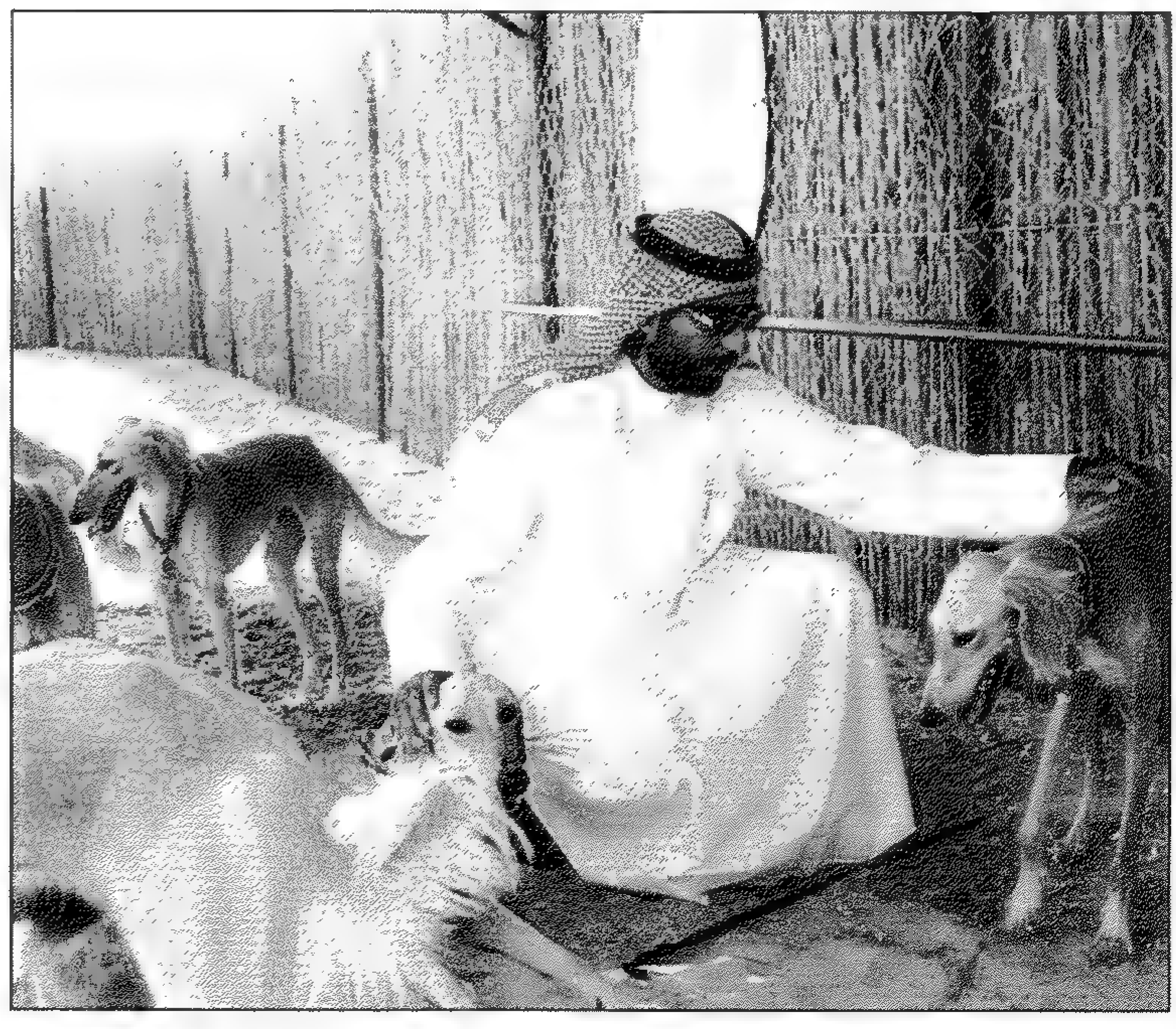
لاستقبال الضيوف والحافلة بالرسومات والتحف التي تتحدث عن السلق وأصالته، خرجنا إلى ساحة واسعة مسيّجة بسور من الدعون (جريد النخيل) خصصت لتدريب السلق وتطوير مهاراته في الصيد، حيث يقوم المدرب بربط دمية على هيئة أرنب في دراجته بعد إحكام الحبل عليها، ومحاولة إغراء السلق باللحاق بالأرنب المربوط وذلك لتتولد لديه الروح الهجومية وروح المنافسة دون أن يلحق بالأرنب.

* *هل هذه طريقة تقليدية في تدريب السلق الصغير السن؟*

■ نعم، رغم أننا أدخلنا عليها بعض التحديث، فلم تكن الدراجات موجودة سابقاً حيث كان يمسك الصغار بالحبل الذي يثبت فيه الأرنب الدمية ويجري بسرعة أمام السلق مع إغرائه باللحاق بها ولكن دون أن يظفر السلق بالدمية. وبعد ذلك يتم إطلاق أرنب حقيقي أمامه إلا أن الأرنب يكون موثوقاً بحبل للتقليل من سرعته، وفي المرحلة الأخيرة يتم إطلاق الأرنب في البرية ليجري خلفه السلق، ومن الضروري جداً أن يرافق السلق أثناء تدريباته سلق مدرب على الصيد يبلغ من العمر سنتان حتى تتعلم منه الجراء.

تدريب مبكر

■ *ومنذ متى تبدأ عملية تدريب السلق على مهارات الصيد؟*



رعاية مكثفة للسلوقي العربي

■ يبدأ تدريب السلق منذ أن يبلغ الشهر الثالث بحيث يكون قد اكتفى من مرافقة والديه اللذين يعلمانه طوال فترة الحضانة كل ما قد يحتاج إليه من مهارات وسلوكيات، وبعد ذلك يتم تدريبه حتى يبلغ عاماً واحداً يكون بعدها مهيئاً للخروج في رحلات الصيد. وهناك كثير من الناس يفضلون أخذ السلق وإبعاده عن والديه بعد أن يُتم شهرين ظناً منهم بأنه سيسهل تدريبه في هذه الفترة القصيرة، وهو أمر لا نحبذه هنا في المركز، لأننا نعتقد بأن السلق يظل يتعلم طوال عمره، ولأنه في حاجة لأن يعيش مع والديه أطول فترة ممكنة وفي جو عائلي، حيث يبدأ بتعلم المهارات والسلوكيات الضرورية له كسلق، وبعد الأشهر الثلاثة نقوم بإبعاده عن والديه لتبدأ فترة التدريب الطويلة التي قد تستمر حتى يبلغ سنة، والتي يصبح بعدها جاهزاً للدخول في غمار الصيد ومرافقة الصياد والصقّار.

تجربة عملية

بعد ذلك قام المدرب بوضع السلق في سياج دائري وأطلق من الخارج أرنباً فأخذ السلق ينبح عليه ويحاول الخروج من تحت ومن فوق السياج فسألنا السيد غانم..

* *لماذا يتم وضع السلق في الداخل؟*

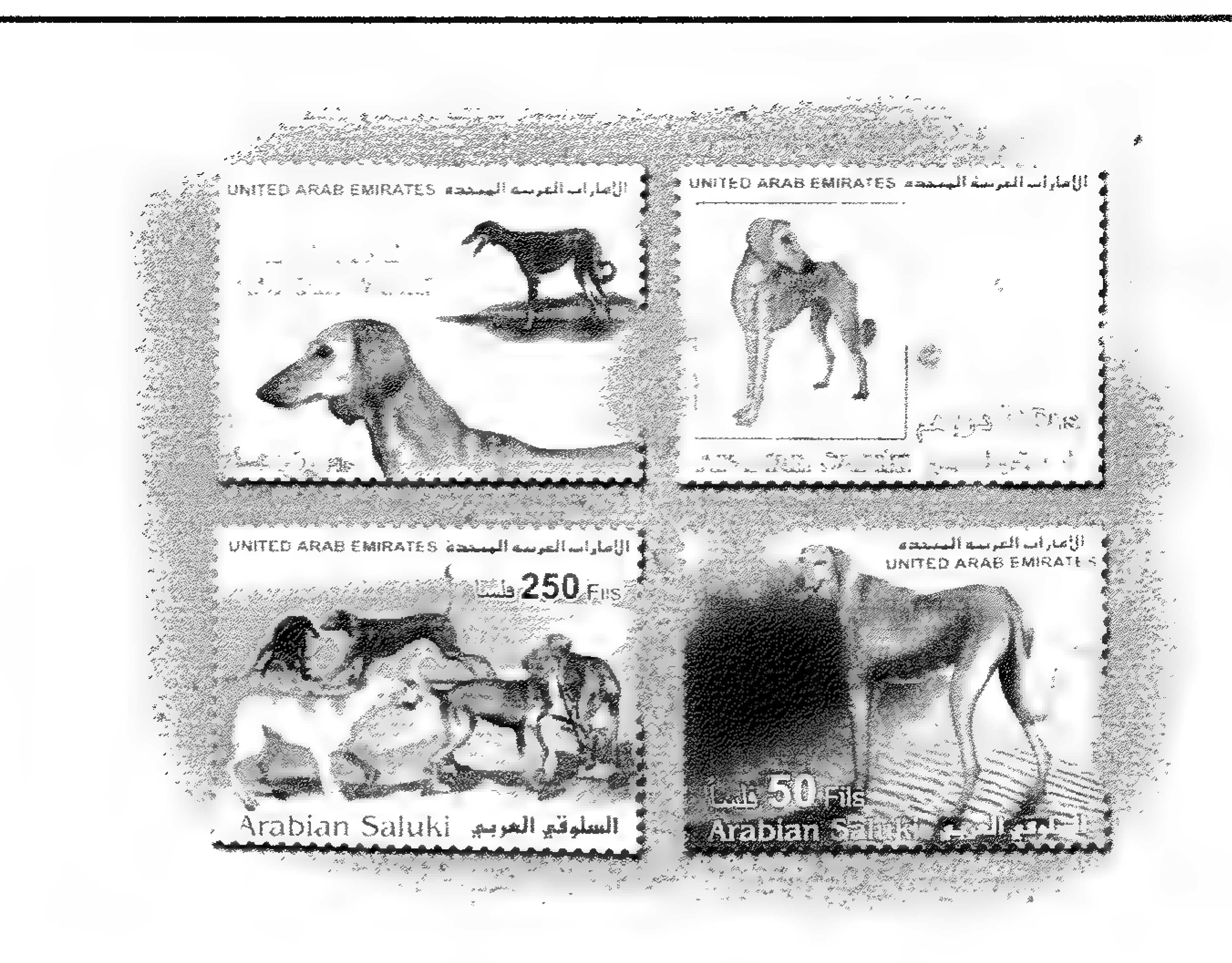
■ بهذه الطريقة يستثار السلق ويحاول الخروج من السور للانقضاض على الطريدة وهي هنا الأرنب، وهذه طريقة جيدة لتحفيز السلق وبث روح القتال والصيد فيه.

طبّاخ السلوقي

وبعد انتهاء فترة التدريب الصباحية التي حضرناها، انتقلنا لأهم جزء في المركز في نظر السيد حمد الذي قال: المطبخ جزء مهم من تربية السلق، فهنا وفي هذا المكان يتم إعداد شتى الأصناف والأنواع للسلق وتحت مراقبة مشددة من قبلي ومن الطباخ وذلك لأن الغذاء الجيد هو الطريقة الوحيدة لحماية السلق من الأمراض المنتشرة التي قد تقضي عليه.

* *وما هي الأمراض التي قد تصيب السلق؟*

■ يتراوح عمر السلق ما بين ١٣ إلى ١٧ عاماً، وحين تتقدم بعض أنواع السلق في العمر تصاب أحياناً بالسرطان في فكّها والنحول الشديد في جسمها بالإضافة إلى ضعف في القلب، وهي أمور لم تحدث عندنا هنا نتيجة الاهتمام بنوعية الأغذية المقدمة للسلق بعكس بعض المهتمين بالسلق والذين يقدمون له بقايا



طــابـــع بــريــدي عــن الســلــوقــي العـــربـــي

ضمن الاهتمام بالسلوقي العربي .. أصدر بريد الإمارات الشهر الماضي مجموعة من الطوابع التذكارية الجديدة عن السلوقي تتضمن عدة فئات، وذلك لما يتمتع به من أهمية في حياة العرب البرية واعتمادهم علية في مطاردة الفرائس وما يتميز به من سرعة وذكاء وصبر وإخلاص لصاحبه، مما جعله الحارس الأمين على بيته وممتلكاته.

الطعام وأغذية غير صحية مما يؤثر على نشاطه وعطائه.

* *ما المعلومات التي يحتاج أي مربٍّ للسلق أن يعرفها عن تغذيته؟*

■ السلق لا يشرب الماء القذر أو من إناء وضع أحدهم يده بداخله، ويجب أن يُحفظ ماؤه في جرّة من فخار ليظل بارداً وتضاف إليه قطرات من ماء الورد وماء اللقاح (زهر النخيل)، كما أنه يحب أكل الأرز والتمر والزيتون واللحم الطازج، ولكن غالباً ما يقوم المربّون بإطعامه لحماً مطبوخاً حتى لا يعتدي على حيواناتهم الأليفة أو لا يعطى لحماً إلا مما يصيده. وتقدم للسلق ثلاث وجبات يومياً تحتوي على العديد من أصناف الطعام والحبوب وبكميات مناسبة حتى لا يصاب بالخمول، والذي هو من أشد العيوب التي قد تصيب السلق وبالتالي تمنعه عن القيام بالمهام المطلوبة منه.

صفات السلوقي الأصيل

* *وما هي صفات السلوقي الأصيل؟*

■ بالنسبة للصدر: يجب أن يكون قوياً وعميقاً. وأن تكون المسافة بين الأذن عبر سطح الرأس عرض أصبعين مع كثير من الجلد عند الخدين والأذنين.

أما الأرجل الأمامية: فيجب أن تكون من الصعب ضغطها معاً، والمعاصم صغيرةً، والبراثن متجهة بزاوية صغيرة إلى الأمام.

أما في الأرجل الخلفية: فالعرقوب يجب أن يظهر بسهولة وسرعة دوران عند العدو السريع.

الذنب: أن يكون وبره جيداً ومتوازناً.

الجسم: المنحدر الأساسي للجسم هو أن يكون من الذنب وحتى الكتف معطياً انطباع السرعة، والأرجل الخلفية أعلى من الكتفين، وظهر مقوس ذو عمود فقري ظاهر دلالة على السرعة.

الخصر: يجب أن يكون دقيقاً من أجل العدو السريع والدوران وأن يكون بعرض ثلاث أو أربع أصابع بين عظمتي الورك مقاسه من الظهر مع جوف عميق بين هاتين العظمتين.

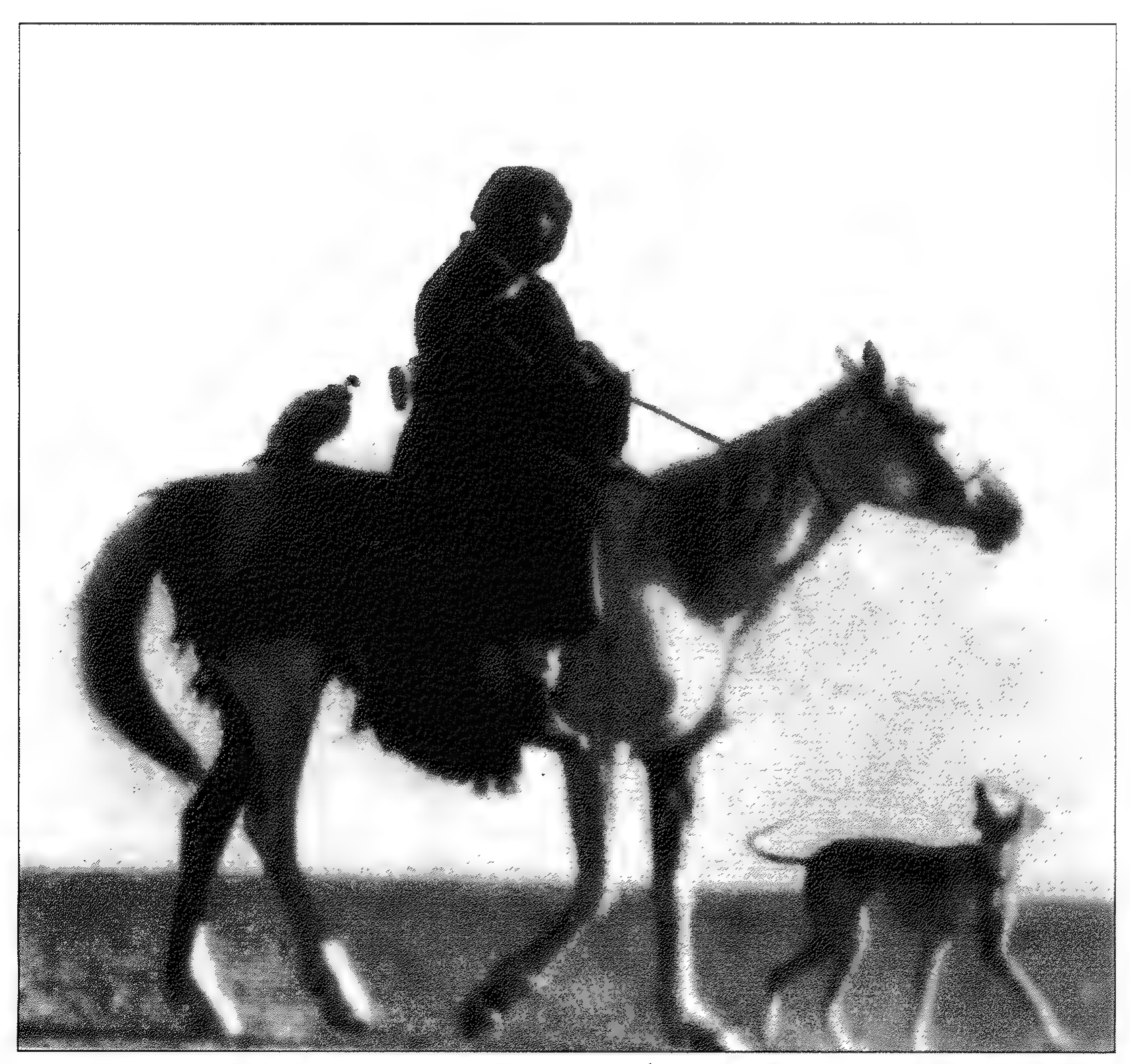
الخف الخلفي: التسطح يظهر سهولة وسرعة حركة الكلب عند العدو السريع على الرمال.

* *وهل للسلق أسماء مميزة؟*

■ كما قلت آنفاً فإن العرب وخصوصاً في اليمن كانوا ينسبون السلق لهم، أما فيما يخص الأسماء فهي أقرب للصفات منها لأسماء البشر، فالعرب لا يحبذون إطلاق أسماء الإنسان على الحيوان، وقد جمعت عدداً لا بأس به من أسماء السلق وأنوي مستقبلاً جمعها في كتاب شامل عن السلوقي العربي ليبقى مرجعاً مهماً عن هذا الحيوان الأصيل المهدد بمخاطر فَقْدِ أصالته وسلالته.

وبعد أن انتهت جولتنا في المطبخ انتقلنا إلى آخر جزء في المركز، وهو لا يقل أهمية عن المطبخ وساحة التدريب، ألا وهي الاسطبلات أو لِنَقُل الغرف المخصصة للسلق، فهي أقرب للغرفة من أي تشبيه آخر. حيث تضم أسرّة مغطاة بملاءات نظيفة والمكان يفوح برائحة «البان» والمعقمات، وفي زاوية الغرفة جرة فخارية مملوءة بالماء النظيف المضاف إليه قطرات من ماء الورد واللقاح، وأبواب سهلة الفتح ليكون السلق حراً في الدخول والخروج.

* *بماذا يختلف السلق عن الكلب العادي؟*



كان السلوقي العربي ولفترة طويلة جزءاً لا يتجزأ من رياضة الصيد ورافق الفارس العربي في رحلاته

■ السلق حيوان نظيف جداً، فهو لا يقضي حاجته في المنزل لذلك أنت لست في حاجة إلا لباحة واسعة أو مخرج سهل ليخرج منه، كما أن السلق يفضل الجلوس على السجاد على أن يجلس على الأرض وقد يزاحمك على كرسيك.

أنواع السلق وألوانه

* *وما هي أنواع السلق وألوانه؟*

■ الجميل في السلق العربي أن له ألواناً مختلفة، إلا أنه يحتوي على فصيلتين فقط، الفصيلة الأولى وهي المشعرة ذات الشعر الطويل والثانية هي الفصيلة الملساء ويطلق عليها «الحص» لأنها كالحصى الملساء. أما ألوانها فهي ثلاثة ألوان أساسية تتفرع وتختلف إلى عدد من الألوان وهي أحمر ويتدرج إلى (أحمر فاتح . أحمر غامق . البني)، أسود ويندرج تحت هذا اللون (الرمادي . الكحلي . الأسود القاتم . الأسود المائل إلى البني)، وأخيراً الرملي وبدوره يتدرج إلى (الأبيض . الرملي الفاتح . الرملي الغامق).

* *متى سوف يتم الافتتاح الرسمي للمركز؟*

– في الحقيقة إن الانتهاء من بناء المركز كان منذ فترة قريبة، أما الافتتاح الرسمي فلم يحدد موعده بعد ويتم ذلك بعد اكتمال بعض المرافق وساحة التدريب.

* وهل المركز هو الوحيد من نوعه في الدول العربية؟

– مركز السلوقي العربي في الإمارات هو المركز الوحيد المتخصص في السلوقي في منطقة الخليج، إلا أن هناك مركزاً آخر في ليبيا ونادي السلوقي المغربي.

* وما هي الخدمات التي يقدمها مركز السلوقي العربي أو يهدف إلى تقديمها؟

– الهدف الأساسي من المركز هو حماية السلق العربي من التكاثر الخاطئ والذي قد يتسبب في ظهور أنواع جديدة غير معروفة الأصل وغير نقية وتفتقد الصفات الأساسية في السلوقي. كما يهدف المركز إلى وضع قانون واستراتيجية لمنع التكاثر والتهجين الخاطئ والذي قد يضر بالسلالة. والمركز حالياً لا يركز على الوظائف المخبرية وإنما يتعامل مع أدوات حية وهي السلق نفسه، وذلك من خلال تدريبه وتأهيله بالشكل المطلوب ليكون صياداً ماهراً وللحفاظ على سلالته نقية وبدون أي تهجين وتطعيمه بالسلالات النقية والأصيلة من الخارج ليبقى السلوقي العربي محتفظاً بصفاته ومميزاته التي يتميز بها عن أي كلب صيد عادي.

وهذا الأمر يأخذ منا فترة طويلة، فما نهدف إليه حالياً هو النوع وليس الكم، حتى يصبح لدينا سلق أصيل وقوي ومعروف ومدرب.

أما فيما يخص الخدمات التي نقدمها لعملائنا والذين يجب أن يكونوا أعضاء في المركز أولاً كي يستطيعوا الاستفادة من خدمات المركز الحالية وما سنوفره لهم مستقبلاً من رحلات تخييم وأدوات صيد ورعاية شاملة للسلق، وهذه العضوية لا تتوفر إلا بعضوية السلق نفسه حتى يحصل صاحبه على العضوية.

* *وكيف تمنح العضوية للسلق؟*

■ لا يمنح أي سلق عضوية في مركز السلوقي العربي إلا إذا تم التأكد من أصالته، حينها يتم منح العضوية أيضاً لصاحبه.

* *إذا العضوية شرطها الأساسي أصالة السلق؟*

■ هذا صحيح.

* *إلى أي مدى تعتقد برغبة الناس وخاصة الصقّارين باقتناء السلوقي العربي؟*

■ فيما يخص الصقّارين فعلاقتهم بالسلوقي العربي ليست بجديدة أو شيء نحن ابتكرناه، وإنما هو أمر واقع منذ قديم الزمان، إلا أنه وبتغير الوقت وطرق وأساليب وأدوات الصيد بدأ الاهتمام بالسلق يتراجع الأمر الذي أصبح ينقص من متعة الصيد والصياد، لذلك فالمركز بداية يهدف لتعريف الناس بهذا الحيوان الأصيل ورغبة منا في إحياء هذا التراث من جديد.

* *هل يشارك المركز في معارض داخلية أو خارجية؟*

■ السلوقي عامة يحظى بعدد كبير من المعارض على مستوى العالم، وقد شاركت بعدد لا بأس به وآخره كان معرض الكلاب الذي أقيم في دبي في شهر فبراير (شباط) الماضي، وقد كانت تجربة ماتعة واستطاع السلوقي العربي جذب انتباه واهتمام الجمهور لرشاقته وسرعته.

* *وما هي الطموحات لمستقبل السلوقي العربي؟*

■ أن يوثّق فيحفظ تاريخه من الزوال لأنه جزء مهم يتصل بتراثنا وأن توضع لوائح وقوانين تحمي هذه السلالة الأصيلة من وسائل التهجين الخاطئة وأن يشعر الناس أن السلوقي العربي ليس بكلب عادي وإنما كان مصدراً للرزق والأمن قديماً وصديقاً مخلصاً ووفياً حديثاً■

التراث العلمي ومعضلة النص

سجلها: حنفي جايل

صورها: صبحي ياسين

يبدو أن النص في البحث العلمي المتعلق بالتراث قد أصبح مشكلة..بدليل أن الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي مدير معهد الدراسات المصطلحية والأستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في مدينة فاس بالمملكة المغربية قد طالب بعقد مؤتمر دولي تحضره أبرز الهيئات والمؤسسات والأفراد المهتمين والمعنيين بالمخطوطات ويخصص لحسم أمور ثلاثة يراها مهمة ومطلوبة لحل هذه المشكلة، هذه المطالبة جاءت في المحاضرة التي نظمها مركز زايد للتراث والتاريخ بمدينة العين.. وحدد الدكتور الشاهد هذه الأمور من وجهة نظره:

أولاً: مسألة انعدام المنهجية في حركة نشر التراث، وثانياً مسألة انعدام العلمية في تحقيق أغلب ما نشر من التراث، وثالثاً مسألة انعدام التكامل والتنسيق بين أغلب الهيئات والمؤسسات والأفراد في تحقيق التراث، وطالب أن يعمل المؤتمر المقترح عقده على وضع خطة تحقيق ونشر علمية منهجية شاملة متكاملة يلتزم، ويلزم بها جميع المؤتمرين ومن في حكمهم، واختيار أمين عام لما اقترح تسميته «المعهد التنسيقي لتحقيق المخطوطات» والذي يفضل أن يكون وكل مشاربه وما يتعلق به تابعاً للقطاع الخاص، أو شبه الخاص ليكون فاعلاً ونشطاً في القيام بمهامه. كما دعا فضيلته أيضاً إلى سن قانون ملزم بوجه ما، يمنع نشر أي مخطوط دون رقم إصدار يحصل عليه راغب النشر من المعهد المقترح.





د. الشاهد البوشيخي
يتحدث في المحاضرة

التراث الإسلامي لن يبلى ولن يموت

جاءت هذه الدعوة في ختام محاضرة علمية قيمة بعنوان «التراث العلمي ومعضلة النص» ألقاها فضيلة الدكتور البوشيخي في مركز زايد للتراث والتاريخ بمدينة العين، وحضرها عدد كبير من السادة الأفاضل أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمارات والمهتمين والمشتغلين بنشر وتحقيق التراث، وقدم لها الأستاذ الدكتور محمد أمين الخضري، رئيس قسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية في الجامعة المذكورة الذي أكد في تقدمته للأستاذ المحاضر أن التراث الإسلامي لن يبلى ولن يموت رغم ما يتعرض له من هجمات من أعداء الأمة، ورغم ما يلقاه من هجر وقطيعة من أبنائها، وعلل ذلك بأن هذا التراث وببساطة شديدة هو نتاج لحضارة أمة شاء لها المولى عز وجل أن تكون (شاهدة) على بقية الأمم، وأن تستمد قوتها ومقوماتها من «الكتاب» و«الحكمة»، وأن تجديد فكر هذه الأمة واستعادة أمجادها يكمن في عودتها إلى ذاتها، ولا سبيل أمامها في ذلك إلا بالانطلاق من التراث استيعاباً لما كان، وتدقيقاً لما هو كائن، وتأسيساً لما سيكون.

معضلة النص في التراث العلمي

وفي بداية المحاضرة أشار ملقيها إلى أنها مجرد «رؤوس أقلام.. لفتح أبواب الكلام»، لكنها في الواقع جاءت - وبإجماع الحاضرين - بحثاً قيماً وضع فيه المحاضر خلاصة تجربته الخاصة لأكثر من ثلاثين عاماً في البحث العلمي، ووضع يده على معضلة حقيقية تواجه هذا البحث، الذي اعترف بأنه في أصله صعب، فإذا صار علمياً صار أصعب، فإذا انضاف إلى ذلك صار أصعب وأصعب، وما ذلك إلا لمعضلة نصه التي حدد لها وجوهاً أهمها، وجه العلم بوجود مخطوط ما، وهو أكثر الوجوه صعوبة، وأوجه سببه إلى عدم ظهور معجم مفهرس شامل للمخطوطات العربية، وكذلك وجه العلم بوجود مخطوط وأحوال وجوده في المعلوم من مراكز وجودها، ويشترك هذا الوجه مع سابقه في السبب، ثم وجه تكشيف محتويات المخطوط ولا سيما المصادر من الأمهات، ووجه طبع وتوزيع أو العلم بطبع وتوزيع المخطوط، فكم من نصوص حققت ولم تجد طابعاً، وكم من محققات طبعت ولم تجد موزعاً، وكم من مطبوعات وزعت ولم تكد تجاوز العلم بطبعها البلد التي طبعت فيه، ومن هذه الوجوه أيضاً وجه فهم ألفاظ المخطوط اللغوية والاصطلاحية، لأن المخطوطات هي تراث قرون وقرون، والمعاجم اللغوية - على كثرتها - اهتمت بالكاد بلغة بعض القرون، وهي تراث أعلام ومدارس وعلوم وفنون وصناعات، ولكل صناعة ألفاظ، ولكل قوم ألفاظ، وهذه المعاجم لم تعن إلا برأي الجمهور في اصطلاحات العلوم والفنون، وأخيراً هناك وجه فهم مقالة «أي المخطوط» في إطار مقامه زماناً ومكاناً ومخاطِباً ومخاطَباً.



جانب من الحضور

أركان البحث العلمي في التراث

وفي مجال تحديد المعضلة قال الأستاذ الدكتور البوشيخي: إن البحث العلمي في التراث لا يكون علمياً حتى يقوم على عدة أركان من أهمها، النصوص الموثقة السند إلى أصحابها، وذلك لضبط الأحكام عليها انطلاقاً من نسبتها وفي علاقاتها بالقائل والسامع والعصر والمصر، ثم النصوص الموثقة المتن لكيلا يقول قائل ما لم يقله، ولكيلا يبني بان على ما لم يصح بسبب تصحيف أو تحريف أو بتر أو غير ذلك فيفسد التاريخ والواقع، ثم أخيراً هناك النصوص الكافية للحكم بما يراد الحكم به، أو من يراد الحكم عليه، فإن كان الحكم على سبيل المثال صفة تعم إنساناً، وجب حضور تراثه كله. وإن كانت تعم علماً أو فناً أو عصراً وجب كذلك حضور تراث ذلك العلم أو الفن أو العصر كله. ويجزم المحاضر بأنه يكاد يتعذر إنجاز بحث علمي جاد في أي قضية من قضايا التراث ذات الامتداد التي يقام عليها البنيان دون توفر كل التراث الخاص بهذه القضية لأن غائب النص قد يكون أكثر من شاهده، وشاهده أكثر من مطبوعه، ومطبوعه أقل بكثير من غير موثقه، وعموماً يتعذر اجتماع الأركان السابقة كلها عند البحث العلمي في التراث وتجعله يعاني حق المعاناة من معضلة النص.

أسباب المعضلة

وكما أسلفنا في المقدمة، فإن المحاضر يرى أن أسباب معضلة النص التي يعاني منها البحث العلمي في التراث لها أسباب ثلاثة وقد تعرض لها في محاضرته بشئ من التفصيل، فقال إن السبب الأول هو انعدام المنهجية في حركة نشر التراث، حيث تبارت وتتبارى الهيئات والمؤسسات ومعها المجامع والجامعات، من بعدها وزارات الثقافة والأوقاف في تأسيس دور لنشر المخطوطات، وذلك منذ بداية ظهور حركة بعث المخطوطات، وتأسس كذلك «معهد المخطوطات العربية» التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة بدورها لجامعة الدول العربية، وكل ذلك بهدف جمع المخطوطات العربية من مختلف أنحاء العالم، وإعدادها للنشر، وهو هدف ما أنبله لو أنه سير إليه بخطى منهجية ثابتة، واستعملت له وسائل تقنية متطورة، وأن تؤسس له قواعد متينة، لأنه وعلى الرغم من كل الجهود المباركة التي تبذل في هذا المجال إلا أنها لم تسلم من آفة الانتقاء القبلي، ولم تسلم من آفة الفردية في السير، والعصر عصر الجماعية، وتكررت الجهود إن لم تكن ضاعت لصرفها في غير ما ينبغي لها. وتساءل المحاضر عن الفائدة - في النظر البعيد المدى - من أن يصور مخطوط ما في جميع هذه المراكز ولا تصور مخطوطات أخرى في أي مركز من المراكز، مع أنه لو كان التعاون على البر والتقوى وكان التكامل في إقامتها لأنقذ هذا المركز ذاك المخطوط، وأنقذ الآخر الآخر، وهكذا.. وبنفس المال والوقت والجهد الذي ضاع بالتكرار، وفي التكرار منهجية مطلوبة.

كشف الغمة ولإنقاذ الأمة

وقبل أن يغادر المحاضر هذا السبب الأول من أسباب المعضلة حرص على التأكيد بأن المنهجية العامة في إطار الرؤية الحضارية اللازمة لكشف الغمة وإنقاذ مخطوطات الأمة تقتضي سيراً غير السير، ونظاماً في صرف الجهد غير هذا النظام، وأن هذه المنهجية تقتضي أموراً بعينها هي الفراغ من أمر الفهرسة أولاً، ثم الفراغ من أمر التصوير والحفظ ثانياً ثم تصنيف المصور من متخصصين تلبية لعدة حاجات في الزمان والمكان والإنسان والموضوعات، ثم التحقيق العلمي لصنوف المصنفات حسب الأولويات، ثم الطبع لما حقق، والنشر لما طبع في مختلف البلدان والإعلان عن ذلك في كبريات الصحف والمجلات، وأكد على أن الهمة الرسمية أو الشعبية لن تعجزا إذا نهضتا أو نهضت إحداهما بتكامل وانسجام أن تنجز ذلك بإذن الله تعالى.

انعدام المنهجية العامة في التحقيق

أما السبب الثاني الذي أورده المحاضر فهو انعدام المنهجية العلمية في تحقيق أغلب ما نشر من التراث، وقال إنه شيء واضح لكل من ابتلي بالبحث في أي قضية من قضايا التراث إذ يلتفت أول ما يلتفت إلى المطبوعات لتمده بالمادة الخام المصفاة على أساس أن الناشر لها لم ينشرها إلا وقد فرغ منها توثيقاً وتحقيقاً، ولكن الذي يجابهه وينغص عليه بحثه تنغيصاً أنه يضطر إلى إعادة التوثيق والتحقيق في أغلب الأحيان لمادة بحثه إن رغب الصحة والسلامة العملية للنتائج، وإلا كان البناء كله على شفا جرف هار. وصرح بأنه عانى من هذا الأمر بنفسه كغيره، وتساءل في استنكار: «كيف يستساغ مرور نحو القرنين على حركة إحياء التراث العربي ودواوين الشعراء لم تعد الإعداد العلمي؟ وكيف يستساغ بقاء ديوان مثل ديوان الفرزدق حتى هذا اليوم غير محقق ولا موثق وإن كان قد نشر مرات ومرات، ومع العلم بأن نص الشعر قد حظي بما لم يحظ به سواه جمعاً وتحقيقاً.

ضغوط.. وشروط

ويرى الدكتور الشاهد البوشيخي في هذا الصدد أن التحقيق العلمي ليكون علمياً يجب أن يتحرر من ضغوط أهمها ضغط الخبز ولقمة العيش وهو وراء كثير من صور الإخلال في تحقيقات طلبة الجامعات، وهم الرافد الرئيس لحركة التحقيق، وكذلك ضغط المنافسة والسبق إلى السوق وهو وراء كثير من صور الإخلال في تحقيقات الباحثين لا سيما الذين يرتبطون بوجه ما بدور النشر، كما لا بد للبحث أن يستجيب لشروط من أهمها التقيد بقواعد التحقيق وآداب البحث من استقصاء للنسخ ومقارنة بينها ومقابلة بين المختار منها لترجيح الأصلح، وخدمة للمتن في الهامش بما يعين على فهمه بالمعروف وتكشيفه أسماءً ونقولاً وموضوعات ومصطلحات حتى يتيسر للمريدين ويلذ للسالكين.

انعدام التكامل والتنسيق

ويأتي الدكتور المحاضر إلى السبب الثالث من أسباب معضلة النص في البحث العلمي ولخصه بأنه انعدام التكامل والتنسيق بين أغلب الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تحقيق التراث ووصفه بأنه «الداء العياء المستعصي كل الاستعصاء المؤخر للشفاء مهما كان الدواء» ويؤكد أن هذا السبب تحديداً كامن في أغلب وجوه المعضلة مساهم في مظاهرها وأعراضها، وأضاف أن التنسيق بين الناشرين يسرع السير ويخفف المؤونة ويرشد الإنفاق والمال والوقت والجهد.

علاج مطلوب ومقترحات عملية

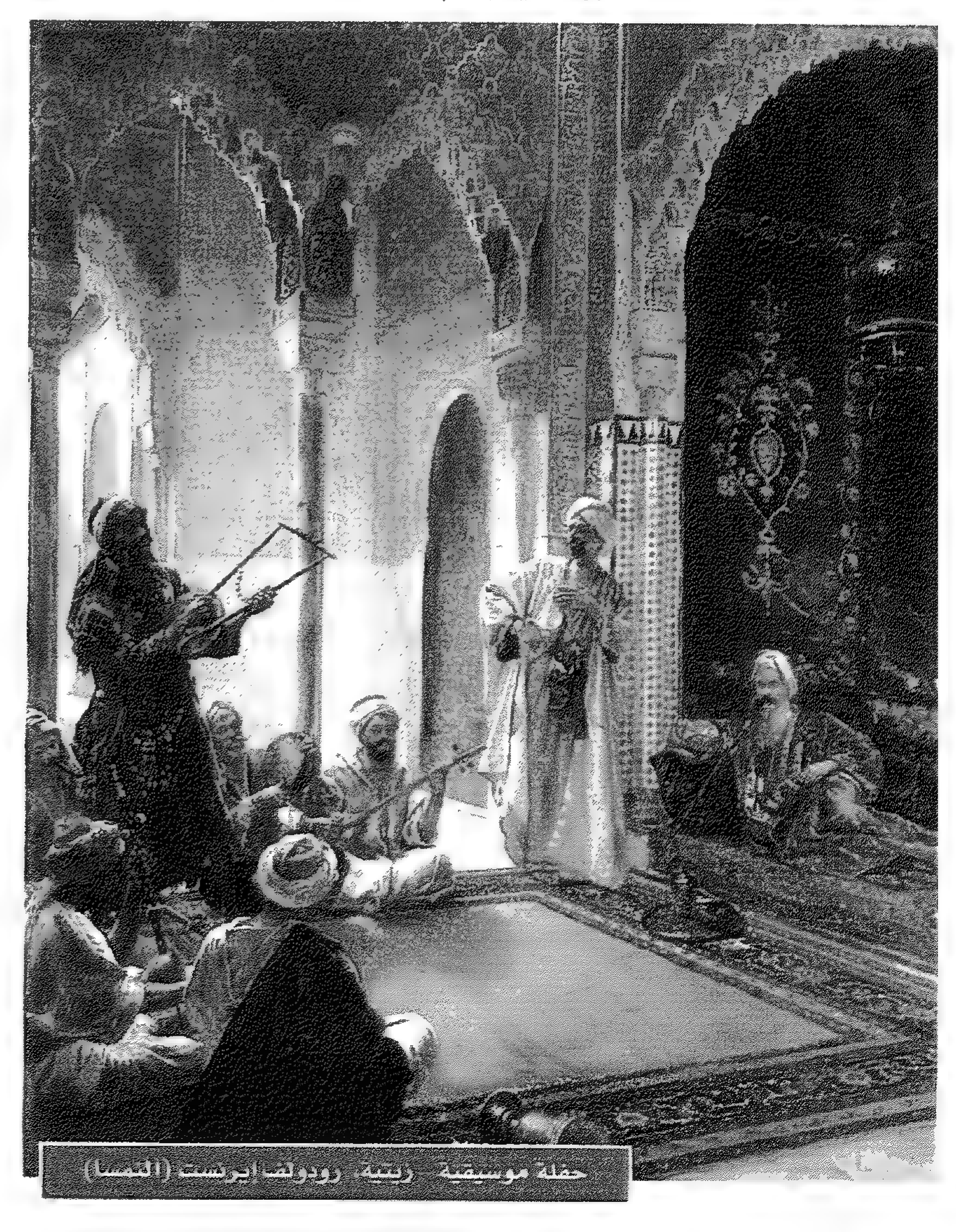
وبعد أن حدد المحاضر المعضلة وجوهاً وأسباباً، قدم من وجهة نظره ما يراه علاجاً لها، ووصفه بضرورة الحسم السريع لهذا «التفلت» في أمور من أهمها التعاون بتكامل وتنسيق على إنجاز «المعجم المفهرس للمخطوطات العربية في العالم» وذلك لإنهاء وجهي المعضلة الأوليين، وهما وجه العلم بمراكز وجود المخطوطات، ووجه العلم بأحوال وجود هذه المخطوطات، ثم التعاون بتكامل وتنسيق على إنشاء «المركز الجامع لصور المخطوطات العربية في العالم» والمراكز الفرعية التابعة له، والمرتبطة به حاسوبياً، وذلك لتعبيد الطريق إلى التوثيق والتحقيق، وأخيراً التعاون بتكامل وتنسيق على تأسيس «معهد تنسيق حركة التحقيق للمخطوطات العربية في العالم» يرتبط به ويستفيد منه المحققون والناشرون على السواء أفراداً ومؤسسات وذلك لتنظيم حركة السير في مجال المخطوطات من البداية للنهاية درءاً للمفاسد وجلباً للمصالح، وبعد ذلك نادى بعقد المؤتمر الدولي الذي أشرنا إليه في بداية هذا المقال، وناشد الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، وجميع الحاضرين مركز زايد للتراث والتاريخ تبني فكرة المؤتمر خدمة للتراث العلمي للأمة وخدمة لمخطوطاتها التي هي عماد هذا التراث. ■

مقتنيـــات وتحـف تــراثية تحـ

■ لندن - مصطفى كركوتي

بين الفترة ١٩ يونيو و١٩ يوليو عام ٢٠٠٢م، تُعرض أعمال نادرة من المقتنيات الفنية من الرسوم واللوحات الشرقية ذات الطابع الإسلامي والعربي، التي تسجل حقبة مزدهرة من الإنتاج الإبداعي والعطاء الثقافي غير المحدود. كل هذه الأعمال تجدها تحت سقف واحد ضمن صالة عرض متواضعة للغاية لمن يراها من الخارج، ولكن من يدخلها يكتشف محتوياتها وكأنها كنوز من تراث لا ينضب، وهي الصالة المعروفة باسم «غاليري المتحف». صالة العروض هذه، تواجه تحديات السوق الصعبة منذ افتتاحها عام ١٩٧٥م على هامش انطلاق «مهرجان العالم الإسلامي» *World of Islam Festival* الذي انتظم في العاصمة البريطانية بدعم مباشر من قبل عدد من الدول العربية والإسلامية.

وكان «غاليري المتحف» قد أسسه صاحبه الحالي براين ماكديرموت بهدف عرض اللوحات التي تتناول العالم العربي بشكل محدد، حيث عرض أعمالاً نادرة خلال ربع قرن ونيف لفنانين كبار مثل تحف جيروم Gerome وليثوغرافيات دافيد روبرتز. وكعضو في



حفلة موسيقية - زيتية، رودولف ايرنست (النمسا)



قوارب على شط النيل - زيتية، واشنطن نيكلسون (أمريكا)

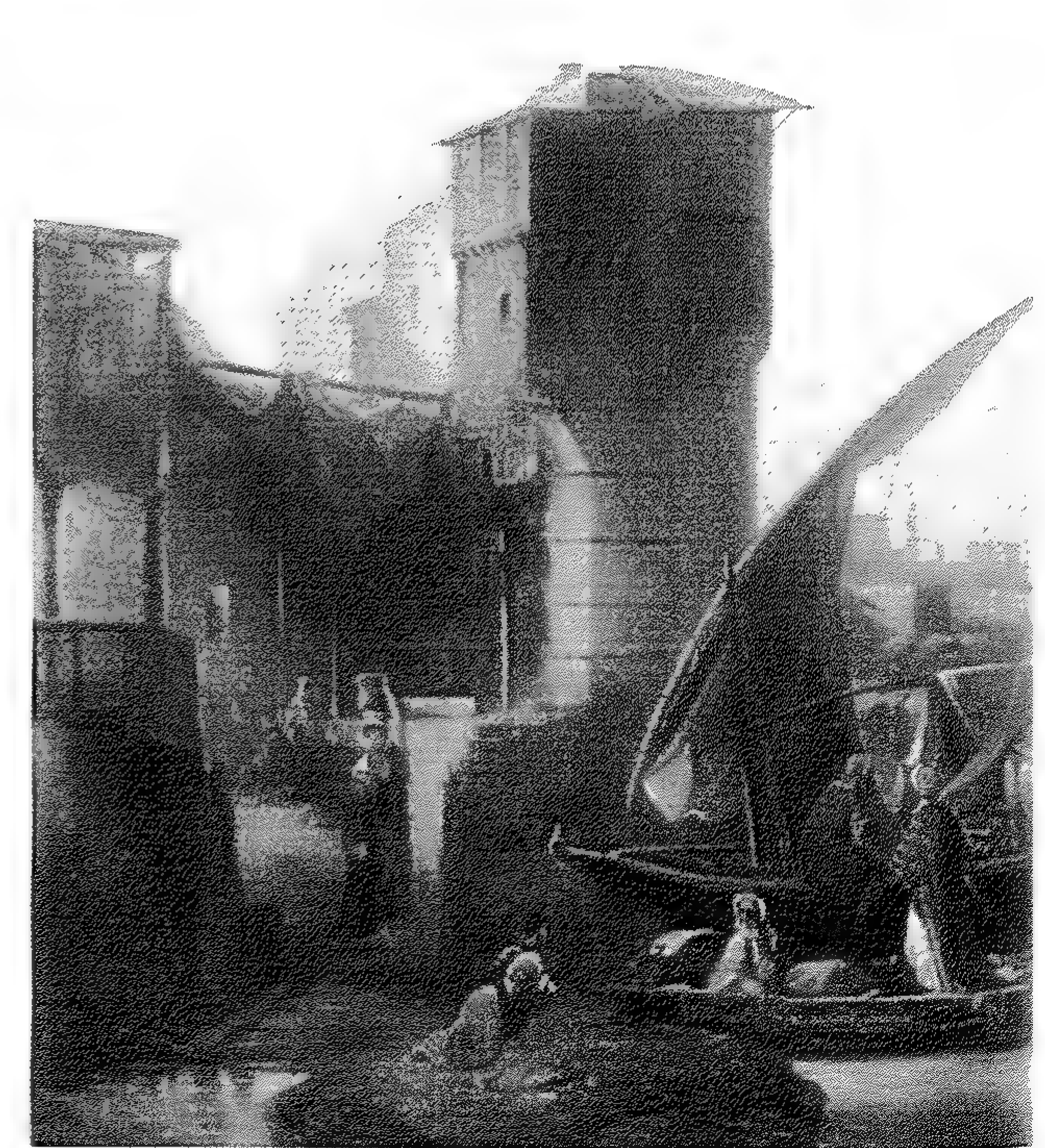
ـت سقف واحـد

جمعية تجار الأعمال الفنية في لندن ورابطة تجار المقتنيات الأثرية Antiques وغرفة التجارة العربية - البريطانية، يمنح «غاليري المتحف» شهادات المنشأ التي تثبت أصالة العمل الفني الموثقة قبل بيعها إلى الزبائن. ويحافظ على التقاليد العربية والإسلامية في الطريقة التي يقدم بها اللوحات إلى هواة جمع المقتنيات بتأطير الأعمال الفنية بإطارات ذات طابع إسلامي من حيث اللون والنمنمة.

ثروات التراث

ولـ «غاليري المتحف» زبائنه الكثر إن كان في أوروبا أو في الشرق الأقصى أو في الولايات المتحدة أم الشرق الأوسط نفسه. فهو ليس واحداً من بيوت المزاد المعروفة مثل «سوذابيز» أو «كريستييز» ولا يدخل في مجال المضاربات واللعب بالأسعار، بل إنه يسعى لتحقيق الهدف الذي تأسس لخدمته وهو البحث والكشف عن «ثروات التراث» وفقاً لبراين مايدرموت، والتي موضوعها الشرق والإسلام والعالم العربي، من أجل عرضها أمام العالم للتعرف على مكنوناتها وجمالها الدفين، لا سيما اللوحات الزيتية التي يستطيع الغاليري بين حين وآخر إخراجها إلى السوق من مخازن مقفلة ومهملة منذ زمن بعيد. فالقاعدة المعروفة في عالم المقتنيات تقول: إن ما هو متوفر في الأسواق منها، لا يزيد عن ثلث عددها الحقيقي. وقد تمكن «معرض المتحف» في ربع السنة الأخير من الكشف عن أعمال فنية قيمة لم تكن معروفة تعود إلى القرن التاسع عشر لفنانين بارزين.

وكان المعرض قد شارك في الماضي في عدد من المعارض الرئيسة في الولايات المتحدة، بينها معرض الفنون الجميلة والأثريات في نيويورك آخر للأعمال القديمة في «بالم بيتش» في أكتوبر ٢٠٠١م، وهو يستعد لتكرار تجربة المشاركة في هذا المعرض الأخير في شهر فبراير ٢٠٠٣م. والمعرض الدائم في مقره بمنطقة «ساوث كنزنغتون» وسط لندن، فإن المعرض شارك في معارض





النوبي حقصان - مائية، كارل هاغ (ألمانيا)



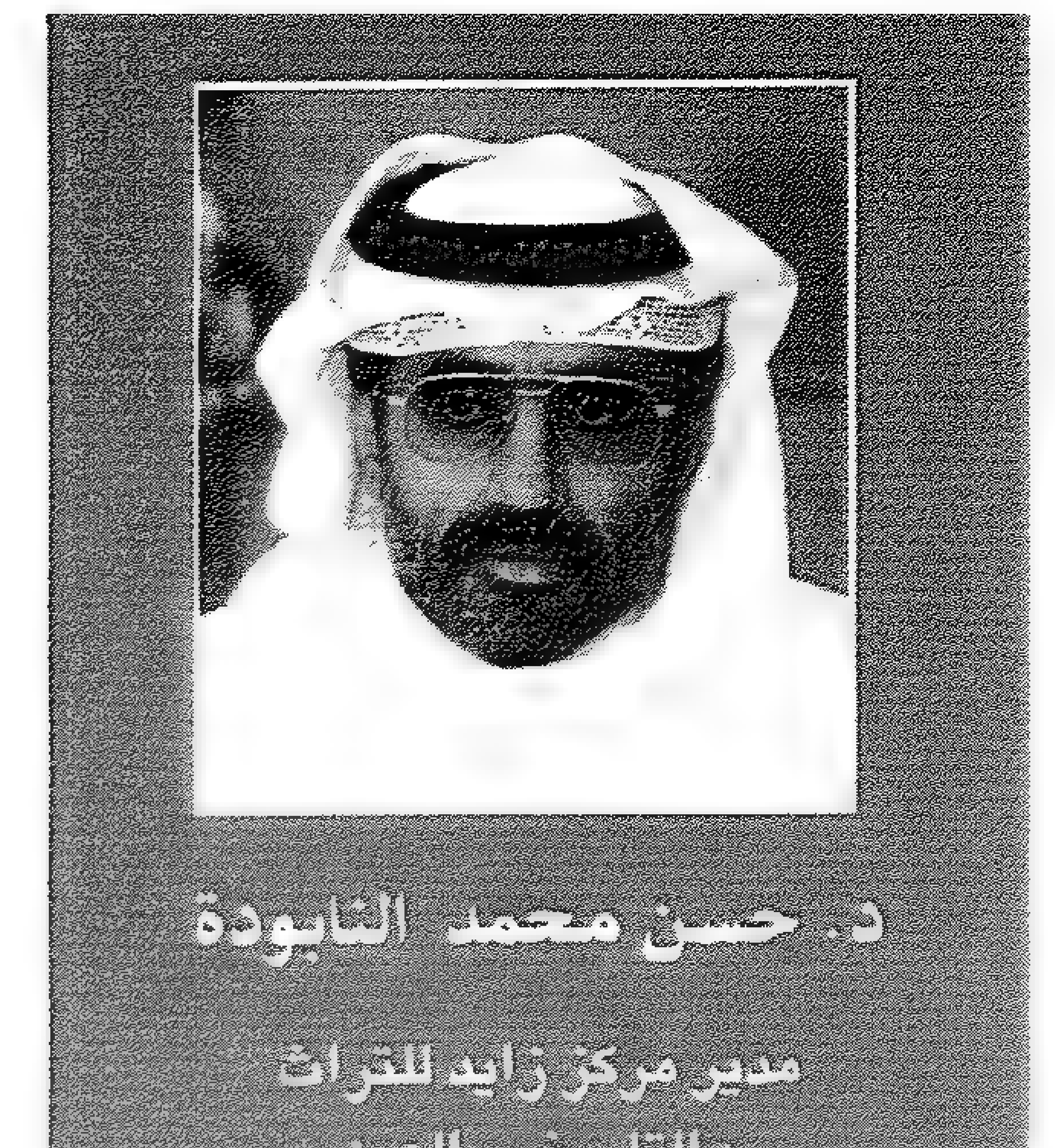
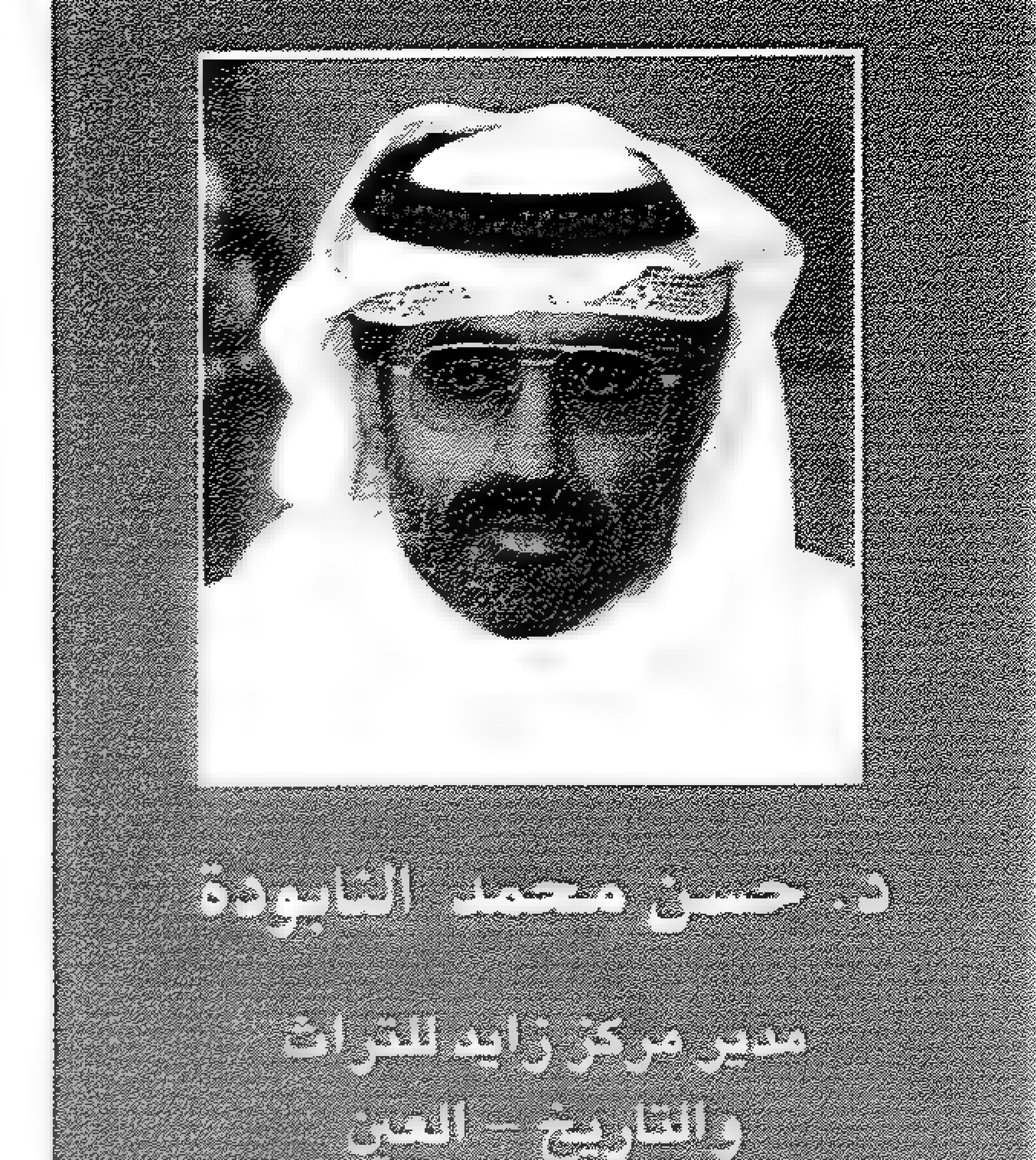
انطلاق سباق الهجن - ريشة جيلبيرت (بريطانيا)

فنية عدة تنظم في العالم العربي بشكل دوري. وفي ضوء تجربة «غاليري المتحف» يقول براين ماكديرموت إنه لمس اهتماماً بالغاً باقتناء الأعمال الفنية النادرة بين أوساط «عدد كبير من الزبائن العرب» الذين يزورون «المتحف» بانتظام، أو من يتابع المعارض المتنقلة من مكان إلى آخر في عواصم المعمورة. ويعتقد ماكديرموت أن ثمة حوافز عدة تثير اهتمام الزبائن بينها إشباع الهواية من ناحية، والاستثمار المجدي من ناحية أخرى حيث إن أسعار بعض الأعمال النادرة قد تضاعف عشر مرات على الأقل منذ بيعها لأول مرة، فضلاً عن ندرة بعض هذه الأعمال الآن.

إنجازات

ولعل أهم إنجازات «غاليري المتحف» هو تجميعه لمجموعة من المقتنيات النادرة التي تضم أكثر من ١٥٠ لوحة لفناني الاستشراق، أطلق عليها اسم «مجموعة نجد». وقد أصدر «المتحف» في ذلك الوقت منشوراً مصوراً خاصاً بالمناسبة باللغتين العربية والإنجليزية. كما قام بجمع لوحات هذه المجموعة من مصادر عدة بينها أفراد ومتاحف، بما في ذلك متحف سيدني في أستراليا ومعرض الفنون في «نيو ساوث ويلز»، والمتحف الوطني في أوكلاند. وقد أعار المعرض بعض لوحات هذه المجموعة في السابق إلى «معرض الاستشراق» في المتحف الوطني في واشنطن والأكاديمية الملكية في لندن. وقد شملت المجموعة أعمال أكثر من ٢٥ فناناً استشراقياً بينهم على سبيل المثال البريطاني دافيد روبرتس (١٧٩٦م- ١٨٦٤م) الذي عاش سنوات طويلة في المشرق ومصر، والأمريكي جورج واشنطن نيكلسون (١٨٣٢م- ١٩١٢م) والموضوع الرئيس مصر وشمال أفريقيا، والألماني كارل هاغ (١٨٢٠م- ١٩١٥م) الذي تجول في معظم أرجاء الشرق الأوسط، والفرنسي جورج واشنطن (١٨٢٧م- ١٩٠١م) الذي سمّاه والده بهذا الاسم لشدة إعجابه بالرئيس الأمريكي الراحل، والأمريكي فريدريك آرثر بريدجمان (١٨٤٧م- ١٩٢٨م) الذي عرف المشرق وشمال أفريقيا جيداً.

بالإضافة إلى لوحات القرن التاسع عشر، فإن «غاليري المتحف» يركز أيضاً على إبراز أعمال الفنانين المعاصرين، وهو على وشك التعاقد مع مجموعة من الفنانين لعرض أعمالهم تحت عنوان «المستشرقون المعاصرون»، الذين أمضوا سنوات طويلة في منطقة الشرق الأوسط بما في ذلك المناطق الصحراوية والمدن التاريخية وخرجوا بأعمال باهرة تسرق الإعجاب. وتتضمن المجموعة المعاصرة لوحات شخصية (بورتريه) ولوحات لحيوانات مختلفة، بما في ذلك الأحصنة والحيوانات البرية. ومن هؤلاء الفنانين على سبيل المثال وليس الحصر البريطانية جون بارتليت التي تعيش في دبي منذ عام ١٩٧٩م والتي رسمت عام ١٩٨٠م لوحة شخصية لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والمختصة برسم لوحات «البورتريه»، والفنان البريطاني تيرانس جيلبيرت المولود في لندن عام ١٩٤٦م الذي يزور المنطقة بشكل مستمر.■

تميم بن جميل الخارجي

خرج تميم بن جميل الخارجي على المعتصم، فأسِر وأُتي به المعتصم. فلما مثل بين يديه نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله ومشيته إلى الموت غير مكترث، فاستنطقه المعتصم ليعرفَ عقله وبلاغته فقال له يا تميم، إن كان لك عذر فأت به. فقال: أما إذا أذِنِ أميرُ المؤمنين جبرَ اللهُ، به صدع الدين، ولم شعث المسلمين، وأخمد شهاب الباطل، وأنار سُبل الحق، فالذنوب يا أميرَ المؤمنين تُخرس الألسنة، وتُصدع الأفئدة، وأيمُ الله لقد عَظمت الجريرةُ، وانقطعت الحجة، وساء الظنُّ، ولم يبقَ إلا العفوُ أو الانتقام. وأميرُ المؤمنين أقربُ إلى العفو، وهو أليقُ شِيمه الطاهرة. ثم أنشد:

أرى الموتَ بين السيف والنّطع كامناً
يُلاحظني من حيثُ ما أتلفّتُ
وأكبرُ ظني أنك اليوم قاتلي
وأي امرئٍ ممّا قضَى الله يُفْلِتُ
ومَن ذا الذي يأتي بعُذرٍ وحُجّةٍ
وسيفُ المنايا بين عينيه مُصْلَتُ
وما جَزعي مِن أن أموتَ وإنني
لأعلمُ أنّ الموتَ شيءٌ موقّتُ
ولكنّ خلفي صِبيةً قد تركتُهم
وأكبادُهم من حَسْرةٍ تتفتّتُ
فإن عِشْتُ عاشوا سالمين بغبطةٍ
أذود الردّى عنهم وإن مِتّ مُوِّتُوا
كأني أراهم حين أنعَى إليهم
وقد لَطَموا تلك الخدودَ وصوتوا

فبكى المعتصم، وقال: إن من البيان لسحراً، كاد. والله يا تميم. أن يسبقَ السيف العذل، وقد وهبتك لله ولِصبيتك، وأعطاه خمسين ألف درهم.

عمرو بن معد يكرب

عمرو بن معدي كرب أدرك الإسلام وأسلم، ولكنه ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، فيمن ارتد في اليمن، ثم أسلم من جديد وهاجر إلى العراق، وحارب في حرب القادسية، وأبلى فيها بلاءً حسناً.

وسأله عمر بن الخطاب عن الحرب، فقال :مرُّة المذاق ، إذا قلصت عن ساق ، من جَسر فيها عُرف ، ومن ضَعف عنها تلف ، وهي كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون ، فتيةٌ
تسعى بزينتها لكُلِ جهول
حتى إذا استعرت وشبَّ ضِرامها
عادت عجوزاً غير ذاتِ خليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكرّت
مكروهةً للشم والتقبيل

وسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن السلاح فقال :

الرمح أخوك، وربما خانك . والنبل منايا تُخطئ وتصيب، والترسُ هو المجن وعليه تدور الدوائر، والدرعُ مشغلةٌ للفارس متعبةٌ للراجل وإنها لحِصنٌ حصين .

أبو الأسود الدؤلي وعمرُ بن أبي ربيعة

حجَّ أبو الأسود الدؤلي بعض السنين ومعه امرأته . وكانت جميلة . فبينما هي تطوف حول الكعبة إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي المشهور. فأتت أبا الأسود وشكت له وأخبرته الخبر، فأتاه أبو الأسود فعاتبه.

فقال له عمر: ما فعلتُ شيئاً وأنكر أن يكونَ قد تعرض لها. فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها ، فأخبرت أبا الأسود مرةً ثانية ، فأتاه أبو الأسود في المسجد وهو مع قوم جالسٌ بينهم فقال له:

وإني لَيثنيني عن الجهل والخنا
وعن شتم أقوام خلائقُ أربعُ
حياء وإسلام وبُقيا وأنني
كريمٌ ومثلي قد يضرُّ ويَنفع
فشتانَ ما بيني وبينكَ إنني
على كلِ حالٍ أستقيمُ وتظلع

فقال عمر بن أبي ربيعة: لست أعود يا عمّ لكلامها بعد هذا اليوم. ولكنه عاود فكلمها، فأتت زوجها أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه وقال له:

أنتَ الفتى وابن الفتى وأخو الفتى
وسيِّدنا لولا خلائق أربعُ
نُكول عن الجلّى وقرب من الخنا
وُبخلٌ عن الجدوى وأنك تُبّع

أي تبّع نساء. ثم خَرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملاً على سيف له. فلما رآهما عمر على هذه الحالة أعرض عنهما، فتمثل أبو الأسود بقول النابغة الذبياني :

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له
وتتّقي صولةَ المستأسِد الحامي

مقتل المهلهل التغلبي

إن المهلهل لما فرَّ إلى جنب قوم من مذحج، اشترى عَبدين يَغزوان معه، فغزاً بهما حتى طال عليهما الأمرُ، وأحبا الراحةَ منه، فأجمعا على قتله بموضع قفر. فلمّا شعر بأنهما فاعلان، ولم يَر لنفسه مَنْجى قال لهما: أما إذا عَوّلتما على قتلي فأبلغا عني هذه الرسالة. فقالا له: هاتِ رسالتك. فأنشدَهما:

مَن مُبلغٌ عني بأنّ مهلهلاً
لله دَركما ودرُّ أبيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بيته، قيل لهما ما فعل سَيّدكما؟ قالا: مات بأرض كذا، فدفناه فيها. قيل لهما: أفما أوصَى بشيءٍ حين مات؟ قالا: أوصانا بكيتَ وكيتَ ، وأنشدا البيت. فلم يَدْر أحدٌ ما أراد، وقالوا: ما هذا بشعر مُهلهل. فقالت ابنته: والله ما كان أبي رديء الشعر ولا سفساف الكلام، وإنما أراد أن يخبركم بأنّ هذين العبدين قتلاه، وإنما معنى البيت:

من مبلغ عني بأن مهلهلاً
أضحى قتيلاً بالفلاةِ مجندلا
لله دَرُّكم ودرُّ أبيكما
لا يبَرح العبدانِ حتى يُقتلا

فقتل العبدان بعد أن أقرا.■

قُرَّةُ العَيْنْ في فرحِ الزَّيْنْ

صُوَرٌ من التاريخ الاجتماعي والثقافي الشّعبي

■ د. محمد رضوان الداية

من المؤلفات التي نقرؤها للاستمتاع، والالتفات إلى أحوال الدنيا وقضايا الناس في الأيام الماضية والعصور الخالية، تلك التي تسجل أحداث الحياة اليومية، وترصد حركتها في ظروفها المختلفة، وتصوّر تناقضات الأحوال واشتباكاتها، وتداخل تلك الظروف، وترسم بروز الشؤون التي تشغل الناس في معايشهم، وفي مآكلهم ومشاربهم، وتُعنى بأفراحهم وأتراحهم، وترصد مناسباتهم ومواسمهم، وتحفظ للأجيال التالية ثمرات من أقوالهم، وأمثالهم، وأغانيهم، وأهازيجهم، وتنقل من عصر إلى عصر هواجس الناس ومطامحهم وأمانيهم، التي يحققونها، أو تحول الأيام دون بلوغها، وتحكي مع الزمان المتطاول حكايات ما يكون بين الناس في المجتمع الواحد من دواعي الألفة والإيناس، أو دواعي الفرقة والاجتناب.. إلى غير ذلك مما لا يُعنى به المؤرخ «الرسميّ» عادة، ولا يقصد إليه المؤلفون على اختلاف تخصصاتهم الأدبية واللغوية والثقافية العامة.

وبعد فإن في العنوان طرافة تحسن الإشارة إليها وهو (قرة العين في فرح الزين)، فقرّة العين لغة: هدوؤها وفي كناية عن السرور والطمأنينة، فصاحب الكتاب يسجّل ما فيه قرة عين الوالد بما احتفل لأولاده. والفَرَحُ هنا هو الاحتفال الذي يقام للأولاد في ختان أو ختمة قُرآن. و(الزين) فيها تَوْرية. فالمعنى الذي يتبادر هو معنى الحُسن (من الزّين ضد الشّين) والمقصود البعيد هو أنه فرح زين العابدين البكري بأولاده في احتفال كبير.

ومن هنا كانت هذه الكتب (أو الكُتَيبات) نتاجاً قليلاً في المكتبة العربية، على رغم أهمية هذه المؤلفات والرسائل والتدوينات. حتى إن بعض الكُنّاشات أو السَّفائن والكراريس التي دوّن فيها أصحابها الحوادث اليومية الجارية على الناس تُعدُّ في نفائس الكتب من الزاوية التي نتحدث عنها، ولقي واحد من هذه الكتب رواجاً عظيماً لم يكن يتوقعه أحد منذ صدوره أول مرة في خمسينيات القرن العشرين، وهو كتاب (حوادث دمشق اليومية) الذي كتبه صاحبه على شكل ملاحظات وتدوينات وتسجيلات خاصة لمعرفته هو، وليكون مذكرة شخصية.

ومن جهة أخرى فإن هذه الكتب أو الكتيبات والرسائل تقدم عن قصد، وحسن تصور، ورغبة في العرض معلومات مهمة وملاحظات شديدة الفائدة في تكوين ملامح العصر الذي صدرت عنه وكانت فيه، من الناحية الاجتماعية في زواياها المختلفة، وهي تجيء مكمّلة لما يسرده المؤرخون أو مساندة لها، أو تنفرد بتقديم الصورة الحياتية المتفاعلة في مطالب المعاش، ووجوه العمل، وأخبار الناس، وأسرار الصنائع، والمعاناة من أساليب الحكم، ومن انتظام الأحوال الإدارية، وسير أعمال الناس في دوائر الدولة على اختلاف اختصاصاتها، وفي كل مجال من مجالات الحياة مع الناس..

وفي المكتبة العربية وكتاب ما يزال مخطوطاً يدخل في هذه الكتب التي نتحدث عن أهميتها الشعبية من جهة، والاجتماعية والثقافية والتاريخية من جهة أخرى، صغير الحجم، محدود عدد الصفحات، عنوانه: «قرّة العين في فرح الزّين».

والكتاب على رغم خصوصيته حين أراد صاحبه أن يؤلفه ليسجل مجريات حفلة خاصة، يخرج من تلك الخصوصية إلى أفق رحب ليبقى بعد انقضاء أربعة قرون أثراً حياً، بل نابضاً بالحياة، وهو يصف تفصيلات احتفال (فرح) جرى في القاهرة، عند أسرة من أُسَر العلم والفكر والثقافة والقضاء والسياسة.

ويدخل هذا الكتاب في جملة تلك المؤلفات الاجتماعية المهمة التي تسجل تسجيلاً عفوياً مجموعة من المظاهر

الحياتية الشعبية، المغموسة في العادات والتقاليد الأصيلة.

ومن الطريف حقاً أن نَصِفَ هذا الكتاب للقارئ الكريم وأن نعرضه عليه عرضاً عاماً، ونبين أبرز جوانبه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وأهميته في تصوير الحياة الشعبية التلقائية في مناسبة تتكرر، لكنها هذه المرة مناسبة أعدت لها الأسباب اللازمة، وأُنفقت من أجلها النفقات العظيمة، وامتدت أياماً طويلة، واستقطبت مناشط كثيرة تم الحديث عنها، وتصويرها بقلم كاتب شاعر، لكنه تصوير لاتنقصه ريشة الرسام ولا كاميرة المصوّر البارع.

بيبلوغرافية الكتاب

- مسرح الأحداث التي سجلها الكتاب: مدينة القاهرة.
- والزمان الذي جرت فيه هو أوائل القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، في سنة ١٠٠٩ هجرية.
- وموضوع الكتاب: وصف تفصيلي لمجريات أفراح جرت في دار أسرة من الأسر المشهورة في مصر والشام.
- وصيغة الكتاب: هي الشعر، فقد نظم المؤلف تلك الأحداث الحية الطريفة على بحر الرجز (أو ما يسمى بالأرجوزة) من النوع المسمى بالمزدوج.

وتخلل الرجز قطعة منظومة من الشعر جاءت على بحر الرجز أيضاً (لكن على غير المزدوج).

- وصفحات الكتاب (٢٣) ثلاث وعشرون، فهو رسالة موجزة أو مجموعة صور متلاحقة تلخّص مشاهد تلك الاحتفالات الشعبية التي تجاوزت دار آل البكري وانتقلت إلى الشوارع العامة، والتي امتدت أياماً طويلة.
- ومؤلف الكتاب، أو ناظمه، هو كاتب شاعر كان مختصاً بالكتابة لكبير أسرة آل البكري، وله ترجمة وأشعار وقليل من الأخبار.
- وتصنيف الكتاب يدخل في الشعر باعتباره منظومة ويدخل في المعارف العامة لأنه يتناول قضايا متعددة، ويدخل في المصادر الاجتماعية لأنه يسجل ملامح احتفالية شعبية اجتماعية تدخل في صميم العادات والتقاليد، ويدخل أيضاً في المؤلفات التي تتناول التراث الشعبي.

مؤلف قرة العين

والمؤلف شخصية طريفة تجمع بين فني الشعر والنثر، وتجمع بين طرفي الجد والهزل، وتتقن التقاط الجانب الشخصي من ثنايا الجوانب العامة، وأخبار هذا الرجل قليلة، لكن الإشارات إليه - بالإضافة إلى ترجمته - توحي بهذه الجوانب، بل ترشح أيضاً لتصور الغائب من معالم تلك الشخصية. والكتاب: الأرجوزة المطولة، يكشف عن بعض جوانب الشاعر في أدبه، وذوقه، وشخصيته، ونفسيته، كما يكشف عن جانب من حياة الأدباء والشعراء في



ذلك الوقت وعن استفادتهم من الطاقة الأدبية والشعرية لديهم.

وفي كتاب خلاصة الأثر لِلْمُحِبِّي ترجمة لمؤلف الكتاب، واسمه فيه: عبد الرحمن بن يحيى الملاّح الحنفي المصري. وقد حلاّه المُحِبِّي بصفات «الناظم الناثر والكاتب الشاعر»، وزاده ثناء فقال بعد ذلك: «كان أديباً فاضلاً شاعراً مُجيداً» واختار من شعره دون أن يورد شيئاً من نثره، ومن شعر الملاّح مثلاً:

ما لحاوي الجمال في الحسن ثانٍ
وفؤادي ما مال عنه لثانِ
ذي جَمال بطلعةٍ كهلالٍ
حار في حُسنه البديع لساني

وقد بقي شيء من شعره منثوراً في بعض الكتب، ولا نعرف له ديواناً جامعاً. ولم تذكر المصادر سنة ولادة الملاّح، ولكنها – بالقرائن المتوفرة – تدور حول سنة ٩٨٠ هجرية، وكانت وفاته كما سجلها المحبّي سنة ١٠٤٤ هجرية.

وفي الجملة فإن الملاّح مؤلف (قرة العين في فرح الزين) هو أحد أدباء القرن الحادي عشر الهجري، برع في النظم والنثر، واشتغل كاتباً، وتكسب بشعره – إضافة إلى الوظائف التي كان يتقلدها. وكان على ثقافية شرعية وأدبية ولغوية وافية بمقياس زمانه.

ويبدو الملاّح أيضاً شخصية طريفة لا تخلو من حسن الدعابة، والبراعة في مداخل الأمور ومخارجها، والكياسة الأدبية والاجتماعية، وحضور البديهة، والقدرة الوافية على التصرف في مجالس الكبراء والعلماء وذوي الشأن من رجال الدولة وأتباعهم. ولا شك في أن نظمه الشعر أفاده في ظهور ملامح تلك الشخصية، وفي مجريات حياته أيضاً.

فكرة الكتاب

والمناسبة التي سجل الملاح تفصيلاتها مرَّ مثلها مناسبات كثيرة في القاهرة وغيرها من بلدان مصر في ذلك الزمان، وفي غيره، ولكن تسجيل مجريات تلك المناسبة لم تخطر في غير بال هذا الأديب الظريف والشاعر الطريف فجاء كتابه فريداً في بابه، غريباً في أوصافه وتفصيلاته.

ونقرأ من أول الأرجوزة أبياتاً تجمع بين شرح العنوان وبيان المناسبة، فقد بدأ بقوله:

قال الفتى المشهور بالملاح
يا طالب النزهة في الأفراح

أفراح بحر العلم قطب العصرْ
الشيخ زين العابدين البكري
فاقت على شمس النهار والقمرْ
وأشرقت مثل الكواكب الزُّهرْ
نظمْتُ فيها من رقيق الشعرِ
نظماً يعد من حلال السِّحرِ

فهي إذن أفراح متداخلة في مناسبة متعددة الجوانب أقيمت في أسرة أحد علماء مصر وفقهائها ومشهوريها، الشيخ زين العابدين البكري.

وأسرة آل البكري تجمع «عراقة النسب، وشرف العلم، وثروة المال، وفصاحة اللسان، وثقة الناس»، كما في مقدمة كتاب (المنح الرحمانية ص٤١) للدكتورة ليلى الصباغ، التي عُنيت بنشر الكتاب المذكور ومؤلفه هو محمد بن أبي السرور البكري ابن أخي الشيخ زين الدين (وابن عمّ الأولاد الثلاثة المحتفى بهم في الفرح الذي وضعه عبد الرحمن الملاح في قرن العين). وكان الشيخ زين العابدين من علماء زمانه، وقال فيه المحبّي: «العارف بالله، الأستاذ..» جمع إلى الفقه والتصوف، النظم والتأليف، فكان فقيهاً متصوفاً وأديباً شاعراً، ومؤلفاً بارعاً.

وقد اقتضت الحال أن يقيم احتفالاً لأولاده بمناسبتين يحتفل لهما عادة: إما احتفالاً منفصلاً، وإما احتفالاً جامعاً.

وهما: الاحتفال بختم القرآن الكريم، والاحتفال بالختان، وطرأت مناسبة ثالثة في أثناء تلك المدة (التحضير للاحتفال أو في أثنائه) وهي ولادة طفل آخر هو ثالث إخوته.

فالأخوان اللذان أقيم الاحتفال لهما هما: أحمد بن زين العابدين (ولد ٩٩٦ وتوفي ١٠٤٨) وعبد الرحمن (توفي سنة ١٠٦٣) ثم محمد الذي ولد سنة ١٠٠٩(وقت هذه المناسبة) وتوفي سنة ١٠٨٧ هجرية فصار ثالثاً لهما.

وكانوا كثيراً ما يجمعون المناسبات: فإن هذا الجمع يقلل النفقة أو يتيح أن تكون عظيمة وافية في النوعية، وممتدة في الليالي والأيام.

وقد أقيم فرح مماثل في أسرة آل البكري، أقامه أبو السرور أخو زين العابدين لابنه محمد قبل الفرح الذي سجله الملاّح بسنوات قليلة وقال في وصفه: «وقد جعل لي والدي في أيامه فرحاً كان نادرة الزمان، ومزيداً من الحسن والإتقان بذل فيه أموالاً كثيرة وتجمل بتجملات غزيرة، صرف فيه من النقد نحواً من خمسة

آلاف دينار، ومن الأقمشة وغيرها ما يزيد على هذا المقدار.. وكانت مدة الفرح أربعين يوماً لم يذق فيها غالب أهل مصر (يعني أهل القاهرة) نوماً..».

وحين نقرأ كتاب «قرة العين في فرح الزين» ندرك أن وصف محمد بن أبي السرور للفرح الخاص به لم يكن مبالغة. وندرك أيضاً أن فرح الشيخ زين العابدين لأولاده الثلاثة كان على ذلك النسق والترتيب، وبتلك النفقة، بل لعله زاد على ذلك وتجاوزه أيضاً.

مفردات الكتاب

قسم المؤلف كتابه إلى ستة عشر باباً، مضافاً إليها المقدمة العامة، وأبيات الافتتاح.. وتوالت الكتاب على النحو الآتي: ١) باب في الكسوة، ٢) باب في البهلوان، ٣) باب في المصابيح، ٤) باب في الحرّاقة، ٥) باب في السماع، ٦) باب في مدح مولانا القدير، ٧) باب في مدح مولانا شيخ الإسلام، ٨) باب في الحلاوات، ٩) باب في الشرابات، ١٠) باب في الأسمطة والطعام، ١١) باب في طلوع سيدي أحمد الديوان، ١٢) باب في زفّة الإصرافة، ١٣) باب في زفة الليل، ١٤) باب في زفة النهار، ١٥) باب في فضل الختان، ١٦) باب في العقيقة ومدح مولانا الشيخ زين العابدين.

فالكتاب يقدم «لوحات» متتابعة، كل لوحة مستقلة في ذاتها ومنقطعة عما قبلها وعما بعدها من جهة العنوان والتفصيل، ولكنها تنسجم من جهة أخرى، ويرتبط بعضها ببعضها الآخر لأنها لوحات تتكامل وتقدم للقارئ مشهداً عاماً تبرز منه التفصيلات، وتتفاعل الأجزاء، وتعود إليها الحيوية المطلوبة.

وابتدأ الكاتب الشاعر (بالكسوة) التي تكون معدة مسبقاً ومهيئة لتوزيعها على درجات أصحابها، ولهذا يقال:

كُسوتنا تزهو بحسن المنظر
من كل لون كعقيق أحمرِ
من أبيض في أزرق في حسنه
زاه، ومن مُضرّج مُعَصفرِ!

وأدخل الشاعر نفسه بلباقة وذكاء مترقباً أن ينال حظه من تلك الكسوة، ومذكراً أيضاً إن كان اسمه سقط سهواً من لائحة آخذي تلك الثياب الموصوفة بالحسن والجمال والجودة، قال مخاطباً زين العابدين:

كم قد كسوتَ ماجداً وسيداً
وما يضر أن يزيدوا واحداً!

و«الواحد» هنا هو الشاعر نفسه أدخل اسمه في «القائمة» بـ«صنعة لطافة» كما يقال في اللهجة المصرية الدارجة!

وكان في جملة الفرح أن يجيء (البهلوان) إلى مكان الاحتفال ليؤدي «دوره» وينصرف إلى عمل آخر أو حفل آخر، فذلك قول الملاح:

سرتُ إلى النزهة يوماً والفُرَجْ
ثم انتشقتُ في الرُبا طِيْبَ الأرَجْ
وجئتُ قصداً لديار الزيني
بكريّ هذا العصر، عَيْن العَيْنِ

وكان المختصون المصريون من أمهر الناس في ألعاب الخفة، وهناك أسر – إلى اليوم – تعنى بهذه الألعاب وتؤدي فقرات «السِّرك» بما يفوق ما عند الأجانب. ومما قاله الملاّح في هذا الباب:

والبهلوان صار فوق الحبل
يمازج الجد بفعل الهزل
فكم مراراً قد تعالى وهبط
بصنعه حتى ظنناه سقط!
كأنه الطائر لما أن علا
وفيه قد حارت جميع العُقلا
يرقص بالطبل وبالمزمار
على حبال وعلى صواري!
يلعب بالخفة والرشاقة
وإنها من أعظم الحداقة!

الوقدة

وباب (المصابيح) يكشف عن عادة اجتماعية لطيفة، فقد كان الأقارب والأصحاب وغيرهم يقدّمون إلى الاحتفال مصابيح بأسمائهم لتكون إضافة وتأييداً للمصابيح المعدة للاحتفال فتضيف إنارة جديدة وجمالاً بديعاً. ويظهر أن ترتيبات المصابيح كانت متقنة جداً حتى إنها كشفت ظلام الليل من جهة، وبدت في تشكيلات فنية من جهة أخرى، قال الملاّح:

وكل قنديل يزيد في السَّنا
وضوؤه فيه الأمان والمُنى
وكل مصباح على مصباح
ضياؤه يلوح كالصباح

وكانت هدية المصابيح التي تقدم إلى صاحب الاحتفال باسم (الوقدة)..

ووقــدة الأســتــاذ زيــنــي ظــاهِــرَهْ
وهــي عــلــى أهــل الــوجــوه ظــاهِــرَهْ!
إشــراقــهــا وافــقــه ضــوء الــقــمــرْ
وأي ضــوء - لــيت شــعــري - قــد قــمــرْ
ووقــــدة المولى ســـنــــان الـــدفتردارْ
ضــيــاؤهــا إشــراقــه مــثــل الــنــهــار

فهذه المصابيح المتوقدة من هنا وهناك تحيل الليل إلى نهار، وتذكّر بضياء الشموس وأنوار الأقمار!

ويبدو أن صاحب الوقدة يشير إلى اسمه بشكل ظاهر فقد سرد الملاّح في أرجوزته هذه أسماء عدد من أصحابها الذين أهدوها، وذكر خصائصها:

ووقـــدة المولى الشـــريـــف مشـــرقـــة
بـــهـــا مســـرّات الـــوجـــوه محدقـــة
ووقـــدة الأمير وهـــو قـــاســـم
كـــعـــقـــد درٍّ حـــار فـــيـــه الـــنـــاظـــر
وانـــظـــر إلى وقـــدة مـــولانـــا حسين
كـــأنـــهـــا الجوهـــر في صـــافي الـــلّـــجَـــيْـــن

وسمى الملاح إحدى الوقدات بـ(العَرُوسة) إمعاناً في إظهار حسنها وجمالها..

الحرّاقة

وخصّ (الحراقة) بباب مستقل، والحراقة سفينة كانت تستخدم في نهر النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة وغيرهم في الاستعراضات والحفلات الرسمية، وهي تستخدم أيضاً في الاحتفالات الشعبية، وإن كانت ذات تكاليف عالية، قال:

حـــراقـــة أنـــوارهـــا ذات لـــهـــبْ
كـــأنـــهـــا مـــن فضـــة أو مـــن ذهبْ
فـــانـــظـــر لـــهـــا تسـبـي لـعـقـل الـرائـي
واعـــجَـــبْ لـــهـــا إذ أشـــعـــلـت في الماء!
لـــهـــيـــبـــهـــا في بـــاطـــن الماء صـــفـــا
جـــلّ الـــذي بـــيـــنـــهـــمـــا قـــد ألّـــفـــا!

وكان (للسمّاع من الموسيقى والغناء) في الاحتفال المذكور نصيب، وقد تكلم الملاّح على عدد من الآلات الموسيقية، ووصف المغنين والمطربين بأوصافهم دون ذكر أسمائهم:

يـــا ســـامـــعـــاً بـــبـــهـــجـــة الأفـــراح
وبـــحـــصـــول الـــبـــســـط والـــنـــجـــاح
أقـــبـــل إلـــيـــنـــا لـــتـــفـــوز بـــالـــنـــظـــر
يـــا ســـيـــدي لـــيـــس الـــعـــيـــان كـــالخبر!

واعترض مجريات أحداث الاحتفال المهرجانية (ببابين) ذكر فيهما مجيء اثنين من ذوي المكانة والقيادة في مصر أحدهما للوزير حاكم مصر نيابة عن السلطنة العثمانية) والآخر لشيخ الإسلام..

فقد كانت العادة في مثل هذه الاحتفالات عند اللامعين والنابهين أن يزورهم كبار رجال السلطة. وهذا يؤكد مكانة الشيخ زين العابدين عند الحاكم وعند الرعية معاً، قال الملاح:

وقـــد أتـــى صـــحـــبـــة مـــولانـــا الـــوزيـــرْ
كـــــل جـــلـــيـــل وأمير وكـــبـــيرْ
و«دفـــتـــدار» الســـعـــد والمجد حضـــرْ
و«الـــكَـــدْخُـــدا» حضـــوره فـــيـــه الـــوطـــرْ
ثـــم جـــمـــيـــع «عـــســـكـــر الـــســـلـــطـــان»
بـــهـــم كـــمـــال الـــســـعـــد في الأوطـــان

ولم ينس الملاّح هذه المناسبة فقدم في أثناء الكتاب قصيدة مدح مشجّرة لكل من الوزير خضر وشيخ الإسلام يحيى.

الحلوى.. رأس المقاصد

وأفرد الشاعر باباً لكل من: الحلاوات، والشرابات، والأطعمة، والأسمطة، على هذا الترتيب. وكثير من المآكل والمشارب والحلويات التي ذكرها ما تزال معروفة بأسمائها أو بذواتها. وإذا كان الإيناس والمشاركة بالخبز والملح من ملازمات المآدب وتقديم الطعام فإن في هذا الملمح أيضاً وجهاً من وجوه البر والإفضال، وإتاحة الفرصة لمن هم في حاجة إلى هذه المناسبات. وفي مثل هذه الاحتفالات يكون في رأس المقاصد بذل المال والكسوة والطعام والحلوى:

- طلباً للإيناس مع الأهل والأقارب والتكريم لكبار الضيوف.
- وتنوعاً من العطاء الكريم لم هم في حاجة إلى ذلك.

قال الملاّح في باب الحلاوات، مثلا:

إن الحلاوات أجَـــلّ الـــمـــقـــصـــد
وإنـــهـــا أطـــيـــب شـــيء عـــنـــدي!
وصـــح «في بـــيـــت الـــفـــؤاد خَـــلْـــوَهْ
لـــيـــس لـــهـــا مَـــلأ خـــلافُ الحَلْـــوَهْ»!
وكـــان في أفـــراح عين الـــعـــصـــر
الشـــيـــخ زيـــن الـــعـــابـــديـــن الـــبـــكـــر

مــن كــل صــنــف صــادق الحلاوه
وفــائــق في الحســن والــطــلاوة!

وهذا الشعر الذي أورده في الأبواب الثلاثة يذكرنا بما يروى عن ظرفاء العلماء والفقهاء، وبالشعر (الحلمنتيشي) الذي كان بعضه يدور حول المآكل والمشارب.. وهو يصلح أيضاً أن يكون منطلقاً للكلام على تطور الذوق في مصر (باعتبار النص يتحدث عن مصر تحديداً) وعلاقة المآكل بالمواد الأولية في البيئة المحلية، وما يترتب على ذلك من أشكال الاستقلال الاقتصادي، وأحوال الناس فيها، وارتباط بعض المآكل والمشارب وألوان الحلوى بمواسم معينة دون سواها، ومقارنة ذلك بما في البيئات العربية الأقرب فالأقرب.

الطلعة البهية

ووصف الملاّح طلوع الفتى أحمد بن الشيخ زين العابدين مع أخيه عبد الرحمن إلى ديوان الوزير (الحاكم) لزيارته رداً اجتماعياً وسياسياً على زيارته إياهم بمناسبة الفرح البكري الكبير، قال:

قــد ركــبــا لصــاحب الســعــادهْ
ومــعــدن الــكــمــال والســيــادهْ
الســيــد الممــدوح مــولانــا الــوزيــر
لا زال في حــفــظ المهــيــمــن الــقــديــر
وعــنــدمــا قــد أقــبــلا إلــيــه
ودخــلا بــهــيــبــة عــلــيــه
أجَــلّــهــم وقــام إجــلالاً لــهــم
أكــرمــه الــلــه كــمــا أكــرمــهــم

وكان من تمام اللقاء أن يلقي الفتى أحمد خطبة مناسبة، ألقاها بثقة بالنفس ورباطة جأش!

وقد تحدث المؤرخون عن أثر أسرة آل البكري في تخفيف غلواء الوزير خضر، وفي تغيير بعض قراراته التي اشتكى الناس منها. فهذا الكتاب الشعري يضيف إشارة أخرى إلى العلاقات الاجتماعية السياسية، ويجيء مصدراً مساعداً يضيء الأحوال في تلك المدة من الحياة العامة في الديار المصرية.

وعقد الملاّح باباً سماه (الإصرافة) ويقال فيها الإصرابة والصّرافة، وهي جزء من الاحتفال بختان الصبي. ومن العادات والمراسم في هذا الاحتفال أن يجتمع رجال ونساء من أقرباء الولد، ومن أصدقائه في الكتّاب، ويكون اجتماعهم في مسجد مشهور كالحسين والأزهر، وأن يخرجوا ومعهم موكب فيه نفر من خاصة النقيب الأشرف، والحلاّق (الذي سيقوم بمهمة الطهور) ومساعده، ويمرون في الشوارع والحارات، وهم ينشدون الأناشيد ومع بعضهم قمقم ماء ورد أو ماء زهر يرش منه على الناس، ومع بعضهم الآخر مباخر تفوح منها روائح البخور واللبان.. ويستمر الملاّح في وصف هذه العادات والتقاليد وكأنها صور تتحرك أمام القارئ لبراعتها وإتقانها.

زفة الليل والنهار

ويجيء بابان آخران: باب زفة الليل، وباب زفة النهار. وقد أعجب الملاّح بزفة الليل، ومن قوله في ذلك، واصفاً الشموع والمشاعل والقناديل والثريات وغيرها:

ولــعــبــت أنــوارُهــا مــع الــريــاحْ
حــتــى رأيتَ الــلــيــل صــار كــالصــبــاح
وزَيَّنــوا لحُــســنــهــا المديــنــةْ
وأصــبــحتْ كــمــثــل يــوم الــزّيــنــةْ
والــطــبــل دَقّ والــنــفــير قــد زعــقْ
وزامِــر الأفــراح بــالــزّمْــرِ نــطــقْ!

ولم يَنْسَ الشاعر الكاتب وإن كان من المقربين للأسرة، أن يعيد مسامع الشيخ زين العابدين مطلبه من الكُسوة وغيرها، قال:

يــا زَيْنُ هــبــنــي بــالــرضــا مــطــالــبــي
فــأنت زيــنــي وأبــو المواهب
أريــد مــنك جُــوخــةً سَــنِــيّــةْ
تــفــضّــلاً يــا أعــظــم الــبــكــريّــةْ!

كما أنه لم ينس أن يُشيد بمنظومته التي جعلها وقفاً على الشيخ زين العابدين وأولاده الذين أقيم لهم ذلك الاحتفال الكبير:

مــنــظــومــتــي كــم قــد حــوتْ إفــادةْ
بــغير نــقص تــقــبــلُ الــزيــادةْ
كــأنــهــا بــحــر طــويــل كــامــلُ
ومــالــهــا في حســنــهــا مماثــلُ
جــاءتْــكَ في أوراقــهــا المُبْــيَــضّــةْ
بــســطــور مسكٍ في طــروس الــفــضّــةْ

وقد استطاع الملاّح أن يعرض على القارئ بعد مرور ذلك الزمن الطويل - مشاهد تتخايل، وتتوالى مزركشة ملونة، فكأنه يراها على حالها، ويُعجب بألوانها وأنواعها وبكل ما فيها.■

مهرجان التراث في القرية

ذاكـــرة الزمـــان والإنســـان والمكـــان

متابعة : محمود إسماعيل بدر تصوير: نجيب محمد نجيب

مهرجان التراث الذي تنظمه القرية التراثية التابعة لنادي تراث الإمارات كل يوم خميس أسبوعياً، وما زال مستمراً بنجاح كبير ويستقطب جمهوراً عريضاً، مليء بالمفاجئات والأفكار الجديدة المستوحاة من الماضي التليد. فقد ولدت فكرة المهرجان في أوائل شهر مارس الماضي من العام الجاري بهدف التواصل مع الجمهور والسياح، وعرض ما تحفل به القرية من نماذج تراثية حية بصورة يمتزج فيها الحاضر بالماضي إلى جانب محاولة نشر التراث وتعزيز السياحة التراثية، بما يجعل من المكان مركزاً لتعليم التراث ونشره وترسيخه في نفوس الجيل الجديد من خلال استقطاب الوفود المدرسية التي تحظى بشرح وافٍ عن القرية التراثية وأهدافها والتعرف على مقتنياتها وبيئاتها المختلفة في خطوة ناجحة نحو التعريف بالتجربة الإماراتية في المحافظة على روح التراث وحياة الآباء والأجداد.

وفي هذا السياق تحدث احمد أمين الخاجة مستشار إدارة شؤون الجزر والقرى التراثية لـ «تراث» مؤكداً على أهمية المهرجان ونجاحه في استقطاب الأسرة المحلية والعربية، ضمن تجمع تراثي ثقافي إنساني، يجد فيه الجميع فرصة للاطلاع على روعة التراث في بقعة واحدة. وبيّن الخاجة أن المهرجان التراثي الأسبوعي الذي سيستمر في استقبال الجمهور كل يوم خميس ما بين الساعة الخامسة وحتى الحادية عشرة مساء، يتضمن نماذج حية من الصناعات القديمة مثل القراقير والشباك وصناعة الشاشة والأشرعة والرماح وتمليح السمك إلى جانب بيت الطواش أو تاجر اللؤلؤ، كل ذلك من خلال عرض حي يشهده جمهور المهرجان في أركان متفرقة من القرية. وأشار إلى العديد من الوسائل الهادفة إلى استقطاب الجمهور وإجراء حوار غير مباشر معه من خلال المسابقات التراثية التي تقوم على توجيه أسئلة تراثية حول السفن القديمة والآلات الموسيقية المحلية الشعبية، كما رصدت العديد من الجوائز القيمة للجمهور.

«تراث» تجولت في جنبات المهرجان. وزارت سوق الحرفيين وجناح البخور والحناء وصناعة المأكولات الشعبية، والمعرض التشكيلي التراثي الذي يستكمل المشهد التراثي الذي تشكله القرية بطبيعتها الساحرة واشجارها المتنوعة وإطلالتها على البحر في منطقة كاسر الأمواج، المعرض يتضمن أكثر من ٥٠ لوحة من أعمال الفنانين مهاب لبيب وميرفت الترك والفنان وردا عيسى.. وهي تدور حول الخيول العربية والمفردات التراثية المحلية من عمارة وصيد وفنون بحر وغيرها من المفردات الموحية بقيمة التراث في نفوس المجتمع القديم.

وضمن الجولة التقينا ناصر مسعود قبيل من المملكة العربية السعودية والذي كان برفقة أسرته وشقيقه في زيارة خاصة للقرية، ناصر أشاد بتجربة المهرجان وقال

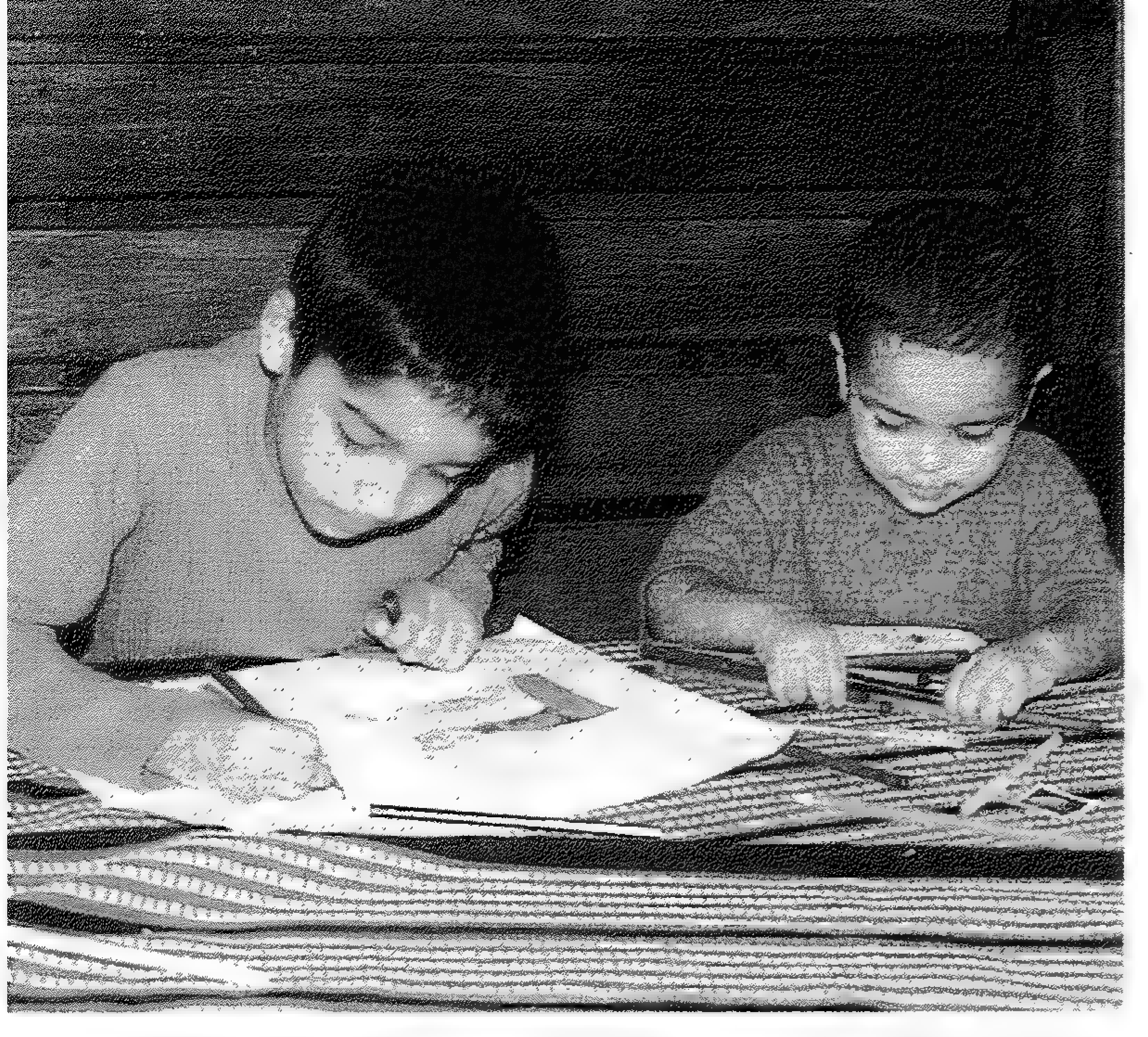
الفروسية ..إحدى فقرات المهرجان التراثي

التـــراثيـــة

إنها تفتح آفاقا طيبة من المعرفة والاقتراب من التراث على الطبيعة، وأضاف: «ما شاهدناه هو تصوير حي لحياة بسيطة ولكنها توحي بالتمسك بالتراث والأصالة، كما أن طريقة عرض النماذج التراثية والتسهيلات المقدمة للجمهور مشجعة وتبعث على الارتياح والتواصل».

ومن المرافق والعروض التراثية الثابتة مثل السوق الشعبي ومقتنيات متحف القرية والبيئة الزراعية والبرية والبحرية، ثمة أنشطة جاذبة للنظر والجمهور مثل محتويات بيت الشعر ومجلس الشعراء وفيهما تتاح للزائرين فرصة التعرف على الأدوات التراثية في بيت الشعر واحتساء القهوة العربية الأصيلة طازجة طيبة، ويقوم بإعدادها أشخاص ذوو خبرة في هذا المجال وتقديمها مجاناً، فيما يمكن خلال هذه الجلسة من الاستماع إلى شرح واف عن القرية ومرافقها ومحتوياتها، ولهذا الغرض فقد أعدت إدارة المهرجان طاقماً خاصاً من موظفيها لاستقبال الضيوف من لحظة دخولهم باب القرية التراثية المبني على هيئة قلعة - ويشير إلى فن العمارة المحلية القديمة - وحتى تجوالهم في المرافق المختلفة مع توزيع بعض النشرات والكتيبات على الزوار لتسهيل زيارتهم والتعرف على المعلومات بكل سهولة ويسر.

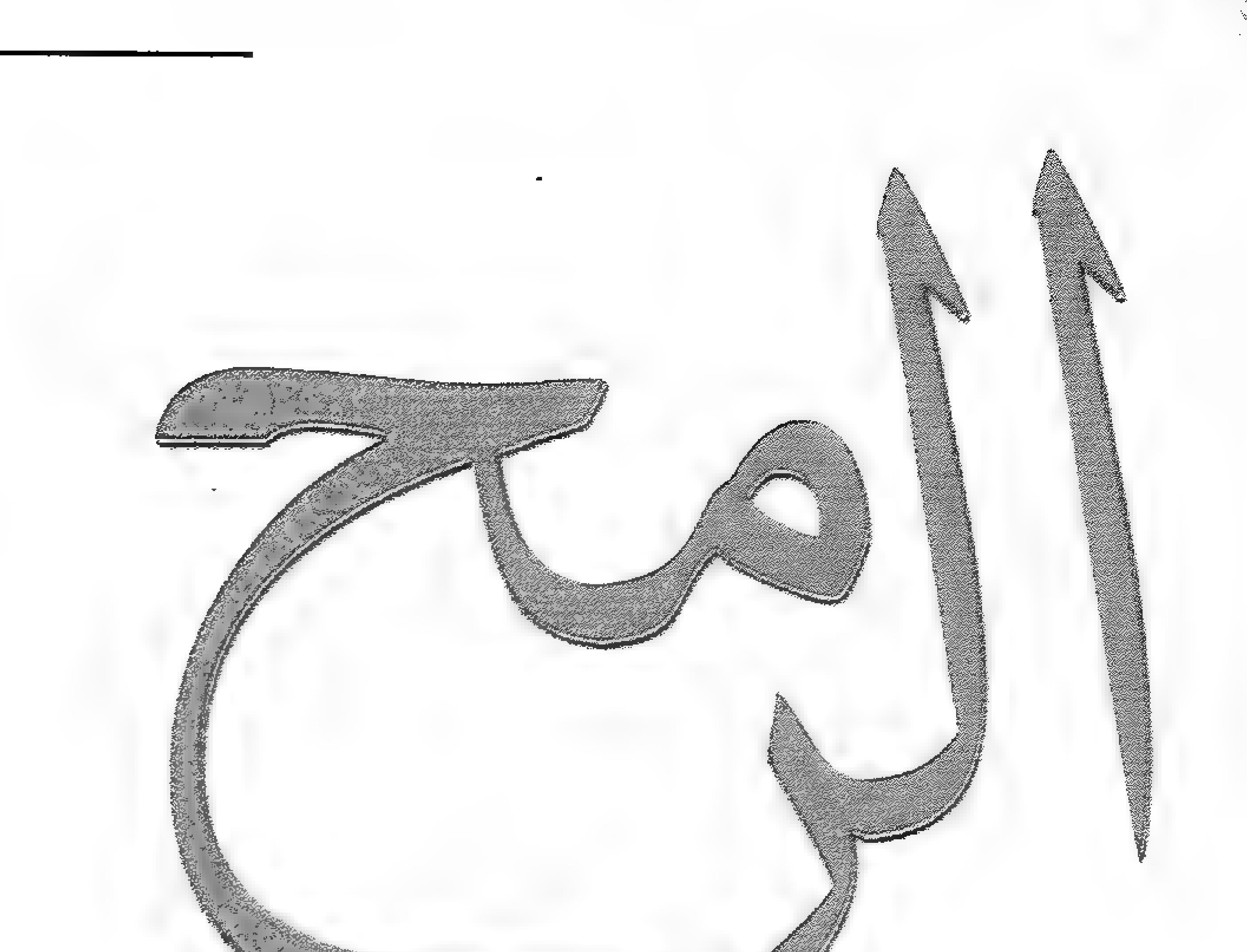
اللافت في المهرجان هو التنويعات التراثية المختلفة وطرق عرضها ما بين الهواء الطلق والساحات الصغيرة، وما بين الأمكنة المغلقة وعلى شاطئ البحر، فعلى الشاطئ يمكن مشاهدة بعض الحرفيين وهم يصنعون شباك الصيد التقليدية، إلى جانب صناعة الشاشة وهو عبارة عن قارب صغير يصنع من جريد النخيل ويمكن هنا مشاهدة الدهشة في عيون الكبار قبل الصغار وهم يتابعون الصناع التقليديين المهرة وهم ينتجون أشياء قديمة بينما هم في الواقع يعملون على إحياء صناعات عريقة أصيلة يخشى أن تندثر مع التقدم التقني والحضاري، ولعل ذلك أحد أهم أهداف المهرجان كما ذكر الخاجة، وبيّن أن هناك تركيزاً شديداً على إبراز الصناعات الحرفية مثل دلال القهوة بأحجامها المختلفة وصناعة السيوف والخناجر والنقش على النحاس والحفر على الخشب وصناعة الأدوات الموسيقية الشعبية مثل (الطارة والعود والربابة)، إلى جانب الصناعات التقليدية النسائية التي تحتل ركنا هاما من المهرجان فهنا الجدات يصنعن السدو والتلي والخوص



إقبال من الصغار على المشاركة والاندماج في المهرجان

والمطرزات، بينما تظهر الكاجوجة كوسيلة نسائية في صناعة التلي.. وفي القريب من هذا المكان تجد دكان الطب الشعبي من الحجامة إلى أنواع متعددة من النباتات الطبية، يمكن للزائر التعرف على هذه النباتات وخصائصها وفوائدها العلاجية من خلال خبير متخصص في الطب الشعبي، فقد أعدت إدارة القرية مجموعة من خبرائها التراثيين العاملين في النادي لتقديم المعلومة التراثية الصحيحة مباشرة للجمهور من خلال تواجدهم الدائم في أركان القرية المختلفة.

وعن الإقبال الجماهيري على المهرجان أمكن التعرف على ذلك من خلال الأعداد والأرقام التي ذكرها الخاجة، فقد أوضح لنا أن المهرجان حقق مردوداً معنوياً عالياً من حيث تحقيق الأهداف التي أقيم من أجلها. وبيّن أن المهرجان يستقبل في كل مرة ما يزيد على ١٣٠٠ زائر ما بين مواطن ومقيم وسائح ووفود زائرة وسياح من خارج الدولة، وقد أثمر ذلك تعاوناً مؤسسياً مع العديد من المؤسسات والسفارات العاملة في الدولة، فقد أصبحت القرية ومهرجانها الأسبوعي على وجه الخصوص مكاناً مفضلاً لاستقبال الوفود الرسمية ، إلى جانب قطاع الأطفال، فقد أعدت إدارة المهرجان مكانا خاصا للأطفال لكي يجدوا المتعة وهو ما يتيح الفرص لأسرهم لمتابعة نشاطات المهرجان بسهولة وراحة. وبالمجمل العام فان المهرجان قد نجح بعد ٩ أسابيع من إقامته في التواصل مع الناس، ومن ثم جذبهم إلى فعاليات المهرجان بصورة حضارية تحقق لنادي تراث الإمارات أهدافه من إنشاء هذا الصرح التراثي الذي غدا اليوم مركزاً تراثياً متكاملاً من المعرفة والثقافة والتراث. ■



يَجْمَح الخيال، وينفعل الوُجْدان حين يتأثر صاحبه بما يقرأ من سِيَر الأبطال والمحاربين الأشداء، والشخصيات ذات الحضور التاريخي، ويدفع بأهل الصنعة والفن منهم ليقدم صوراً متخيلة لهم في أبرز أوضاعهم التي تترجم عن شخصياتهم وأحوالهم. وللناس ولوع برؤية هذه الصور المتخيلة ومساعدة الخيال على مطابقة الصورة الغائبة الرسوم الحاضرة. وهكذا فإن بعض الفنانين الشعبيين قدّموا صوراً ورسوماً لعنترة بن شداد والزناتي خليفة، وسيف بن ذي يزن، وعلي الزّيبق، ودليلة المُحتالة، والظاهر بيبرس وغيرهم من الشخصيات التي زخرت بها القصص والسير الشعبية.

ويبرز الأبطال المحاربون بأسلحتهم وهم ذاهبون إلى المعركة أو عائدون منها، وتبرز معهم بعض أسلحتهم، ونجد أبا الفوارس (عنترة) يحمل رمحاً طويلاً يلمع سنانه، ويُرهب شكله وطوله وأسلوب حمله. وكأن راسم لوحة عنترة استفاد من وصفه لنفسه في المعلقة (من شعره الحقيقي الصحيح النسبة إليه) وقد برز لخصم مدجج بالسلاح مُقدِم على الحرب:

ومُـدَجّـجٍ كـرهَ الـكُـمـاةُ نِـزَالَـهُ
لا مُـمْـعِـنٍ هَـرباً ولا مُـسْـتَـسْـلِـمِ

جـادَتْ يـدايَ لـه بـعـاجـلِ طـعـنـةٍ
بمثـقّـفٍ صَـدْقِ الـكُـعـوبِ مُـقَـوّمِ
فشـكـكتُ بـالـرّمـحِ الأصـمّ ثـيـابـه
لَـيْـسَ الـكـريمُ عـلـى الـقَـنـا بِـمُـحَـرّمِ!

لقد كان سلاح عنترة في ذلك الوقت رُمْحٌ مثقّفٌ مُقَوّمٌ، شكّ به ثياب ذلك الفارس الخصم (وهو شجاع كريم) فنفذ الرّمح من ثيابه وكانت تلك الطعنة هي القاضية!

(١)

والرّمح أحد الأسلحة الرئيسة القديمة، فهو أخو السيف، والتالي بعده في الذكر والكلام ودوران المعارك. ثم تأتي الأسلحة الأخرى. وللرمح مكانته في النصوص التراثية الرسمية التقليدية، وفي التراث الشعبي أيضاً.

واهتمت بالرمح الكتبُ التي جرى تأليفها على امتداد العصور. وهو اهتمام لغوي من جهة، وفني عسكري في شكله وأجزائه واستعماله وموادّه التي يتركب منها من جهة، وهو اهتمام اجتماعي تراثي بما قدمه الرّمح أو (الرّماح) للتراث الفصيح والشعبي وما ترك في وجدان الناس على الزمان المتطاول.

ومن هذه الكتب رسالة خاصة ألّفها السيوطي عنوانها «السماح في أخبار الرّماح» وابتدأ هذا الكتاب بحديث مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إن الله جعل رزقي تحت ظل رُمحي، وجعل الذلة والصغار على مَنْ خالف أمري، ومَنْ تشبّه بقوم فهو منهم» وروي من الأثر عن علي رضي الله عنه: «كان المغيرة بن شعبة إذا غزا مع النبي ﷺ حَمل معه رُمحاً.

وعقد السيوطي فصلاً للمفاخرة بين السيف والرمح، ومما قال الرّمح: «أنا الذي طُلْتُ حتى اتخذت أسنّتي الشهب، وعلوتُ حتى كادت السماء تعقد عليّ لواءً من السحب، كم مَيّل نسيمُ الصّبا غصني ومَيّد، وكم وهى بي ركنُ الملحدين، وللموحّدين تشيّد.. وكم شُبّهت أعطافُ الحِسَان بما لي من مَيَل، وضرب بطول ظلّ قناتي المثل.. وحسبي من الشرف الأسْنى أنّ أعلى الممالك ما عليّ يُبْنى».

وفي آخر عبارة من مفاخرة الرّمح إشارة إلى قصيدة لأبي الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة يقول في أولها:

أعْلى الممالكِ ما يُبْنى على الأسَلِ
والطّعن عند محبّيهنّ كالقُبَلِ
مثل الأمير بغى أمراً فقرّبهُ
طولُ الرّماح وأيدي الخيل والإبلِ
تتلو أسِنَّته الكتب التي نفذت
وتجعل الخيلَ أبْداً من الرّسلِ!

فالأسل هي الرّماح (جمع أسلة) والطّعن: هو استعمال الرّمح ضد العدو (كالضرب بالسيف) والأسِنّة: الرماح أيضاً (جمع سِنان). يقول: إن سيف الدولة في زمان استكلاب العدو وكثرة الخصوم قد بنى دولته على أسس من الرّماح و(السيوف) لأن القوة ينبغي أن تقاوَمَ بقوة مثلها أو أكبر منها.

(٢)

واعتنت كتب اللغة والمعاجم الموسعة وكتب السلاح والفروسية بالرّماح وأفاضت في تشكيل الرّمح (أجزائه) والمواد التي تُتخذ منها، وأنواعها، ووجوه استعمالها، وصُنعها، وتثقيفها، وما اشتهر من تلك الأنواع ومن صُنّاعها، وأماكن صناعتها وجَلبها، وكيفية الاستعانة بها، واختيار كل نوع منها.

وذكرت كُتب التراث أسماءها، وأسماء ما يشبهها من أنواع السلاح، والعبارات المستخدمة معها، والأفعال المناسبة لها في كل حال من أحوالها..

ووقف الشعراء والكُتّاب عند وصفها وصفاً مباشراً، أو وصفاً أدبياً يمزج الرؤية بالخيال، والواقع بالتصور. وقد كانت الرّماح مادة غنية في تشبيهات العرب واستعاراتهم، وفي أقوالهم وأمثالهم، وفي مدائحهم ومفاخراتهم.

وأشهر الأسماء هو الرّمح والجمع أرْماح ورماح، ومن هذا قول أبي تمام في رائعته الملحمية في فتح عمورية:

والعِلْمُ في شُهُبِ الأرْماحِ لامعةً
بين الخميسين لا في السّبعة الشُّهُبِ

وكان قد بدأ القصيدة بذكر السيف ثم ثنّى بذكر الرّمح، وقال إن العلم الحقيقي هو الذي يحققه السيف والرمح مع عدو شرس ينتهك البلاد ويسفك الدماء، ثم عابَ على المنجمين سفاهاتهم حين زعموا للمعتصم أنه لن يربح الحرب في الوقت الذي خرج فيه لحرب البيزنطيين.

والرّمح يتألف أساساً من عنصرين أحدهما من الحديد: السِّنان أو النَّصل الذي يوضع في رأس القناة. والقناة العَصا أو الخشبة المستوية. وهي التي تثقف (تقوّم) إذا كانت مُعوجّة لكي تصبح ملائمة للاستعمال. ويكثر أن توضع حديدةٌ في أسفل الرّمح ليركز فيها على الأرض تسمى: الزُّجّ. والجمع زِجاج.

والرّمَّاح الذي حِرفته الرِّماحة. والمُثَقِّف (بتشديد القاف المكسورة) التي يُصلح العَصا أو الخشبة أو القَصبة لتصبح مستوية (ومن هنا استعاروا كلمة الثّقافة والتّثقيف للإنسان).

واشتهر في أسماء الرماح: الرُّدَيْني نسبة ردينة امرأة كانت تبيع الرماح، والسَّمْهري اسم رجل، والخَطّي نسبة إلى مكان (مرفأ للسفن كان بالبحرين يستقبل السّفن ببضائعها ومنها الرمّاح) ومنها اليَزَنيّة، منسوبة إلى ذي يزن أوْ من صُنعت له على صفة معيّنة.

(٣)

وسُمّيت الرّماح بأسماء أجزاء منها فقالوا في الرّماح: أَسِنّة، وخُرْصان وعَوالٍ، وسمَّوها ببعض صفاتها، فقالوا: الصُّباحية والسُّمْر. فالأسنة جمع سِنان الرّمح وهو حَدُّه، ومثله الخُرْص، والعَوالي جمع العالية، وهي من الرّمح: أعلاه أو نصفه من جهة السِّنان، والصُّباحية: الأسنّة العِراض، والسُّمر صفة غالبة على الرّماح بسبب لونها، والعَسّالة للينها.

ونقرأ لأبي الطيب المتنبي:

كلما أنبتَ الزمان قناةً
ركّبَ المَرْءُ في القَناةِ سِنانا

فالأرض بتسخير الله تعالى تُنبت الشجر، والإنسان يأخذ ما يصلح منها ليكون قناة يركّب عليها السِّنان، يقول: هكذا طبع الإنسان!

وفي قصيدة أبي البقاء الرُّندي:

يُمزّق الدّهْرُ حَتماً كُلّ سابغةٍ
إذا نَبتْ مَشرفياتٌ وخُرْصَانُ

فالمَشْرفيّات: السيوف، والخُرصان، الرّماح جمع خُرْص، وأصْلُ معناه، القضيب من الشجرة، ثم قيل في الرّمح عامّة.

وفي قصيدة صفي الدين الحلّي المشهورة:

سَلِ الرّماح العَوالي عن مَعالينا
واستَخْبِرِ البِيْضَ هَلْ خابَ الرّجا فينا؟

ويقول أبو تمام الطائي:

إنّ الحمامين من بَيْض ومن سُمُرٍ
دَلْوَا الحَياتين من ماءٍ ومن عُشُبِ!

فالبيض: السيوف، والسُّمر: الرّماح. وهما وإن كانا من آلاتِ الموت فهما سبب انتعاشة الحياة وأمنها.

ووصفَ المتنبي الرّماح بالعَسّالة: الرّماح الطوال التي تهتزّ. والذُبل جمع ذابل، وهو اليابس، وهو وَصْفٌ مشهور.

وقد استرسَل الشعراء والأدباء في ذكر الرّماح والكلام عليها بما يطول استقصاؤه.

(٤)

وفي الرمح: المَتْن، وهو وسطه، والسِّنان وهو حَدُّه، والجُبّة: ما دَخل فيه الرّمح من السّنان، والعامل أسفل من ذلك، وهو صدر الرمح، والقارية: أعلى الرمح، وعاليته: أعلاه أو نصفه من جهة السّنان.

ويُشْبه الرّمح أدوات كثيرة فمن ذلك: الحَرْبة، وهي أصغر من الرّمح، والألَّة وهي الحربة في سنانها عِرَضٌ؛ والمِثَلّ: قرن يُطعن به، والصَّعْدة: قريبٌ من الألّة؛ والعَنزة: قدر نِصْف رُمح، والعكّاز: قريب من العنزة، والمِزْراق، أخفّ من العنزة، والنَّيْزك قريب منه.

وقالوا في الأفعال: رمى بالرمح رَمْياً، وزجّ برمحه، ونَجَل، طَعْناً (وهذه جميعاً أنواع من استعمال الرّمح).

وأوردت العرب فعل طعن للرُّمح؛ مثلما قالت: ضَرَبَ بالسَّيف.

واشتهر من الشعر القديم قول حجل بن نضلة يخاطب ابن عَمٍّ له اسمه (شقيق) وقد رفع لهم الرّمح:

جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ
إنّ بني عَمّك فيهم رماحْ!
هَلْ أحْدَثَ الدهرُ لنا ذلّةً
أم هل رَمَتْ أمّ شقيق سلاح؟!

يقول إنه جاءَ واضعاً رمحه عَرضاً مفتخراً بتصريف الرّماح (القدرة على التفنن في استعمالها) ظاناً أن بني عمه عُزل من السلاح، وينبّه الشاعر ابن عمّه المذكور إلى الرّماح الكثيرة عندهم. وضرب الشاعر الرماح مثلاً للقوة.

ووصف أحد الشعراء الكتاب الرمح فقال داعياً إياه باسم الصّديق والصاحب:

ولي صاحبٌ قد كمّل الله خَلْقَهُ
وليس به نَقْصٌ يُعابُ فيُذكرُ
عصيٌّ ثقيلٌ إن أُطيل عنانُه
مطيعٌ خفيفُ الكَلّ حين يُقصَّرُ
يسابقني يوم النّزال إلى العِدا
فإنْ لم أؤخّره فما يتأخّرُ!
ويؤمَنُ منه الشرّ ما دام قائماً
ولكنْ إذا ما نامَ يُخشى ويُحْذَرُ!

فالرمح يثقل إذا طالت قناته ويخف إذا قَصُرت، وهو يسابق المحارب لأنه يكون أمامه على الفرس ممدوداً، ويؤمن شرّه إذا كان مرفوعاً (صاحبه في غير وضعية القتال) ويُخشى إذا نام (وضعه صاحبه على ظهر فرسه استعداداً للقتال والطعن).

والرمّاح مادة يُشبّه بها الفتى والفتاة؛ وقد كثر تشبيه القوام المشوق بالرمح، ومن القطعة المُغنّاة:

يا ذا القَوام السَّمهريّ

وقول الخنساء تثني على أبناء عمومتها: «أترونني تاركةً بني عمّي كأنهم عوالي الرّماح..»؟ شبّهتهم بعوالي الرماح لطراءة شبابهم وحُسن وجوههم.

وسأل عمر رضي الله عنه عمرو بن معدي كرب عن أنواع السلاح فوصفها، وقال في الرُّمح «أخوك وربّما خانك!».

وشبَّه دِعبل الرُّمْح بلسان الحيّة، ووصف القناة بالسُّمرة ووصف السّنان بالزُّرقة (لون الحديد الجديد):

وأسْمَرٍ في رأسِهِ أزْرَقٌ
مثل لِسان الحيّة الصّادي

وجعل لسان الحية عطشان، لكثرة حركته في يد الفارس، وجَعل حركة الرمح في يد الفارس بخفّة ورشاقة وسرعة كحركة لسانِ الحيّة في صورة بصرية رائعة التشبيه.

وبعد، لقد صار الرُّمح كسائر أدوات الحرب القديمة سلاحاً تاريخياً، لكنه ما يزال موجوداً في استعمال الناس لأغراض شتى، وما يزال يصلح للتشبيه وتلوين الكلام، وتوسيع مقاصده، ولاستعارته في أغراض تراثية، ومعاصرة.■



«راعي» البر والمزيون

علي بن رحمة الشامسي

و نصف قرن من الشعر

التقيت معه في أحضان منطقة (فلاح) الواقعة على الطرف الجنوبي الشرقي لإمارة الشارقة.. وقد رأيته مثلما وصفه الشاعر محمد بن سالم الظاهري عندما قال:

كريم ومرحباني نفسه ما تكدرت

إنه الشاعر المخضرم علي بن رحمة الشامسي الذي تقاعد عن العمل بعد أن اشتغل في (الطواشة)، وبعد أن اندثرت هذه التجارة التحق بإحدى القطاعات الحكومية، ولكنه لم يتقاعد عن الشعر مؤكداً أنه «إذا كان العمل يحيل أصحابه بعد فترة إلى (المعاش) فإن الشعر لا يعترف بهذا المنطق.. فالشعر حتى لو لم تستدعه فإنه يستدعيك ويزورك بين الحين والآخر».

الشاعر بن رحمة «مخاوي الشعر» الذي أنشد روائعه منذ نصف قرن من الزمن دون كلل ولا زالت قصائده تحتفظ بحرارتها وعذريتها رغم قدمها. ولا يزال مستمراً في إبداعه.. وقد شدا بعض قصائده الفنان ميحد حمد وأشهرها (أحبك يا نظر عيني) و(إذا مريت) و(ما يكفيني نظر عينك) و أخيراً قصيدته الجميلة الشهيرة (أحب البر والمزيون). التقينا به وكان لنا معه هذا الحوار..

شريط الذكريات

* *دعنا نرجع شريط الذكريات قليلاً إلى الوراء حيث يهجع الماضي بجماله وذكرياته وحيث كانت الانطلاقة في أوجها.. حدثني عن البداية ومتى وكيف؟*

■ بدأت في كتابة الشعر قبل ٥٥ عاماً تقريباً وكان عمري حوالي ١٥ عاماً، كنت مولعاً بسماع الشعر.. فكنت أرتاد المجالس الشعرية واستمع إلى ما يدور فيها من حوارات وردود ومساجلات بين الشعراء، استمع إلى جديد الشعر وقديمه، وكان للقصيد الجيد متذوقوه ومردوده حيث كان الشعراء يمتدحون القصائد الجيدة ويتوقفون عند جمالياتها ويقومون أيضاً بالرد عليها شعراً وذلك تقديراً للشاعر والقصيدة، وعندما كنت أتذوق في البداية تلك الكلمات الشعرية أقول في نفسي هل يمكنني أن أبدع مثل هؤلاء الشعراء وهل استطيع مجاراتهم فيما يقولون؟ وبعد فترة بدأت في محاولاتي وبدأ هاجس الشعر يزورني وتمخضت البداية عن قصيدة نالت استحساناً كبيراً من الشعراء وعمر هذه القصيدة عمر بدايتي أي أكثر من نصف قرن من الزمن لذلك لها مكانة خاصة في نفسي.. وأقول فيها:

باني قصر في راس حبه
واخطف الوادي معاليه
أحب واداوي المحبة
وخلي بكاس الود بسجيه
درب الهوى كل تعب به
وانا شرات الصوف بطويه
خلي رماني وش عسبّه
ما عرفت وش دعواه برضيه
حالي نحل كثر المحبة
حتى نظر عيني يساويه

ومن كثر ولعي بالشعر كنت أكتب قصائد بدل الدرس الذي كان يمليه علينا (المطوع) وأكثر من مرة «احصل ضرب ولا أتوب عنه» حتى أخبر (المطوع) والدي وقال له: ابنك اتعبني وأعجزني.. ورغم ما نلت بأسباب الشعر، إلا أن ذلك لم يزدني إلا إصراراً على مواصلة الطريق.

* *ما رأيك بالقول الذي ذهب إليه بعض الشعراء وهو أن الشعر ينتقل بين الأجيال والأبناء والأحفاد بالوراثة؟*

■ الشعر يمكن أن يورث كتراث وليس كإبداع.. فالشاعر قد يورث ديواناً شعرياً لأبنائه يمكنهم الاستفادة منه مادياً وأدبياً، أما أنه يورث الإبداع نفسه فلا أعتقد.

القصائد الغنائية

* *ما رأيك بالقصائد الغنائية؟*

■ الشعر الغنائي ليس فناً حديثاً، إنما هو فن قديم جداً حيث كان البدوي يتغنى به على ظهر ناقته في الصحاري ويردده النهام على سطح السفينة في البحار وتسمعه على شفاه العذارى في أيام العيد وهن يتأرجحن على (المريحانات) المعلقة على جذوع (الرول والسدر) فكل هذا فن غنائي موروث.

* *الشاعر المخضرم علي بن رحمة الشامسي.. بما أنك عاصرت جيلين وفترتين زمنيتين مختلفتين إلى حد كبير، فماذا تقول عن هذا العصر وما هو الفرق بينهما كما تراه؟*

■ تميز الحاضر بالبساطة والجمال رغم صعوباته و(أمحانه) أما هذا الزمن فإن رأيي فيه قلته شعراً:

هذا الزمن ياهو عجوبات
يارب تكفينا بلاويه
وقت الانااسة والشراغات
لكن راحة بال ما فيه

وهي قصيدة طويلة تصور مشاهد هذا الزمن ومشاكله..

لكنه زمن الخير والنعمة أيضاً في عهد زايد..

■ صحيح بلا شك وقد قلت في ذلك قصيدة تعبر عن اعتزازي وفخري بهذا العهد الميمون..

في عهد زايد

لله درك يا زمنا
اسميك ما قصرت فينا
اعطيتنا كل ما انتمنى
في عهد زايد واغتنينا
راحت هموم الوقت عنا
والخير ثامر في حوينا
العود وارياحه اتبنا
ورد وفل وياسمينا
والراعبي بالصوت غنى
ويسلي القلب الحزينا
ما حد قصاه الوقت منا
كلنا بخير ومنعمينا
سعد الليالي ولفنا
في دار من يحمي الزبينا
زاد وحكام إالوطنا
ياالله عساهم دايمينا
والشعب ورجاله اتهنى
وجنودنا والحاضرينا
ياالله عسى سحب المزنا
تسقي ديار الطيبينا
والعود يثمر كل فنا
ونزورهم في كل حينا

الساحة الشعرية

كيف ترى الساحة الشعرية وما تقييمك لها؟

■ إذا نظرنا إلى الساحة المحلية سنرى بوضوح أن شعراء كبار يقفون فيها ونستطيع أن نحكم على الساحة من خلال ما يدور فيها وهذا واضح من خلال الجرائد والمجلات والملاحق الشعرية والبرامج الإذاعية ولو أن الساحة ضعيفة لما كانت هناك مبادرات إعلامية.

دعنا نعود إلى الشعر.. بما أنك شاعر لك خبرتك وتجربتك الطويلة في ميدان الشعر، هي يمكن تعلم الشعر؟ كمادة تدرس مثلاً أو على نحو فردي باعتباره فناً له مقوماته وقواعده؟

■ في رأيي لا يمكن تعلم الشعر دون وجود موهبة، ربما يستطيع المرء أن يكون (راوية) ينقل أخبار الشعراء والشعر وفنونه ونوادره، لأن الإبداع يحتاج إلى (قريحة) وبدونها يصبح الأمر عقيماً.

إذن كيف يمكننا تمييز الموهوبين عن غيرهم خصوصاً في المراحل المبكرة من بدايتهم؟

■ عندما يكون المرء هاوياً فهذا يعني أنه مستعد لبدع (الجيل) من خاطره وسيحاول التعلم، فالرغبة في التعلم هي نصف المسافة ويأتي الاستماع والقراءة كأسس يقف عليها المبتدئ وبعد ذلك يأتي الإبداع.

لك رصيد كبير من القصائد العاطفية فأيها لها وقع في نفسك؟

■ (قال مباشرة وهو يبتسم):

ما يكفيني نظر عينك
والسلام وخزة عيونك
يوم اشوفك قلت لي وينك
مرحباً بو سالم شلونك
لو تصادفني معاديتك
مهجتي والروح يفدونك
وأنا اقرب من محبينك
حتى اهلك لي يحبونك
العفو من فضلك وزينك
وانت راعي الفضل من بونك
ليش ما توفي مدايينك
يا الحبيب وتدّي اديونك
قبل لا تمحل بساتينك
والورق يذبل على اغصونك

عناصر القصيدة

ما هو أهم عنصر في القصيدة بعد الوزن والقافية؟

■ الترابط والشاعرية.. استمع إلى أجراس هذه القصيدة ولاحظ اتساق الأبيات وترابطها وموسيقاها..

كان ما عندك من يجيبك
لا تراوي نفسك الهوني
أنا بسرح بك وبضوي بك
لو بحطك داخل عيوني
في دجايا الليل بسري بك
يحفظك لي خالق الكوني
وين ما تبغي بودي بك
لو بربع الخالي اسكوني



بين رمل وسيح بايبك
في قرون جبال وحصوني
قال ما ودي أعنّي بك
يا عزيز القدر ما تهوني
قلت له لمقدر ايصيبك
والذي في الكاين يكوني
بس يكفيني ترحّيبك
والسلام وبهجة اللوني
أرضف الونه واغنّي بك
في الشعر واعدل فنوني
ويوم اسالك قلت ما دري بك
والظروف تحدها دوني

** الشاعر من أكثر البشر تأثراً وتأثيراً بمن حوله فهو بين أخذ وعطاء فمن من الشعراء أثر في الشاعر بن رحمة؟*

■ أثر في الشاعر الكبير راشد الخضر رحمه الله فقصائده بفرادتها وتميزها وكلماتها مؤثرة وكان يزورنا في البيت ونتحدث معاً في الشعر وأنا أحفظ الكثير من أشعاره الجميلة كما انني تأثرت بقصائد صاحب السمو رئيس الدولة وقصائد سمو الشيخ محمد بن راشد وبفضل تشجيعهم وإبداعهم تحركت الساحة الشعرية.

التقاعد !!

** بعد هذا المشوار الطويل والعطاء الشعري، هل سيعلن بن رحمة تقاعده عن مضمار الشعر؟*

■ حاولت لكن الشعر لم يتركني في حالي فهو معي في حلّي وترحالي لا يفارقني.. أقول الآن وبصراحة لا أستطيع مفارقة الشعر.. لقد تقاعدت من عملي لكن الشعر لا يمكن التقاعد عنه لأنه ليس مهنة إنما هو دمي الذي يجري في عروقي فهل يستطيع الإنسان الاستغناء عن دمه؟!

** كيف تنشئ قصائدك؟*

■ سأقول لك حقيقة عني قد تستغرب منها.. إني برغم مشواري الطويل في طريق الشعر إلا أن القصيدة بعد كتابتها «اهندس عليها فكرياً» قبل أن تخرج إلى النور ولا أخرجها قبل اكتمالها وربما أحذف أبياتاً وأضيف أخرى، فالشعر في طريقة كتابته مثل طريق المتعرجات أو الطريق المسدود فإذا لم تعرف المداخل الصحيحة فسيتعسر عليك الدخول أو الخروج وبالتالي لن تصل القصيدة إلى المتلقي ولن تعبر عما يدور في نفسك.

غناتي

** الأغنية الرائعة (أحبك يا نظر عيني) والتي عنونت بها ديوانك الثاني (غناتي) والتي حازت على إعجاب الناس يقال إنها دار حولها جدل وإشكال وسوء فهم، فما السالفة؟*

■ بالفعل حدث جدل حول معاني أبيات القصيدة ومقاصدها وهو مسؤولية كبيرة يتحملها الشاعر حين يساء فهمه وعليه توضيح ما التبس من معنى.

** ولكن أين وقع هذا الالتباس وفي أي الأبيات؟*

■ قال البعض ماذا يقصد بن رحمة في قوله:

ولولا الخوف وادرا العاجباتي
وأخاف الناس يكثر بي حكيها
لطبعها بعاصوف الشراتي
واخلي مويها يطمي عليها

والقصد أنه لولا خوفي و«محاتاتي» للشرف والعادات

والذمم «لبيحت» وأظهرت ما يكنه صدري من أسرار وأكملت المعنى بالبيت التالي وهو أني حين «اطبع» السفينة أي أغرقها بالتأكيد سيخرج ما بها ويطفو على سطح الماء ما خفي بها من أسرار.

ثم قالوا ماذا يقصد الشاعر في قوله:

أحبك يا نظر عيني غناتي
واحب الأرض لي تمشي عليها

قلت لهم: الأرض التي يمشي عليها الحبيب هي أرض منطقتي وبلادي فأنا أحبه وأحب وطني أكثر.

مفردات التراث

** نلاحظ في قصائدك كلمات قديمة قد لا يفهمها الجيل المعاصر فهل تتعمد تضمين قصيدك هذه المفردات للفت الانتباه؟*

■ الصراحة ان هذه المفردات من صميم لغتنا الشعبية وتعبر بصدق عن لسان المجتمع ولا يمكن التخلي عنها وهي عندما تأتي في سياق نص القصيدة فهي تأتي طبيعية فلا أحاول أن أغيرها لكي تترسخ في أذهان جيل الشباب.. خذ مثلاً هذه القصيدة ستجد أنها مليئة بمفردات قد يحتاج بعض الشباب لمترجم ليعرف معانيها:

احب البر واشد الرحايل
وادور قلب ضايع في البوادي
واشيد خيمتي والدمع سايل
وانوح بصوت وازقر في «الحوادي»
لكن الحب خذني «بالدغايل»
وخلاني معذب في ودادي
زرعت الحب في أرض محايل
وقمت اسقيه من لولب فوادي
وشفت الأرض ما فيها «صمايل»
هشيم وزرعها مثل الرمادي
صبرت أيام وسنين طوايل
وريت الدرب و«المسراح» زادي
وكم «هويرت» في شمس القوايل
وكم اسهرت يوم الليل هادي
ومن عقب التعب رديت «فايل»
وغيري نال قصده والمرادي

لو لاحظت هذه القصيدة ستجد في كل بيت مفردة قديمة وأصيلة فالحوادي والدغايل والصمايل والمسراح وهويرت وفايل كلمات تحتاج لقاموس شعبي يفسرها وحري بنا أن نوثقها في شعرنا حتى لا تندثر.

أعمال فنية

** وماذا عن تعاونك مع الفنانين الشباب؟*

■ التعاون مستمر بيني وبين الفنانين عموماً وأرحب بالفنانين الشباب وأنا مستعد أن أعطيهم قصائدي بشرط أن يكون فناناً أولاً ثم لا يبدل حرفاً منها دون علمي.

** هل لديك متسع من الوقت لتوجيه الشعراء الشباب حين يطلبون رأيك؟*

■ يستشيرني الكثير من القراء المبتدئين وغير المبتدئين وأنا أبدي رأيي بكل صراحة ولا أخشى لوماً.

المشاكاة والردود

** وماذا عن الردود بينك وبين الشعراء.. ألا تتعبك الردود على كثرتها وتلزمك بالرد عليها؟*

■ أنا أتشرف بأي قصيدة مشاكاة أو موجهة إلي وأتشرف بالرد عليها لأن الذي يشاكيك ويوجه كلماته إنما يقدرك ويجلك، فلا يسعك إلا أن ترد على من يوجه إليك مشاعره مهما كلف ذلك من عناء وتعب لما في ذلك من مشاركة وجدانية وكذلك خدمة للشعر وإرضاء للشعراء.. قبل فترة أرسل إليّ سعادة الشاعر محمد بن سالم الظاهري هذه القصيدة فرددت عليها..

يقول بوسالم:

الهاتف اللي ياني
روحي له رحبت
ذكرني بعرباني
وايامي لي مضت
من مفرود الثماني
الفرقة طولت
احبه من زماني
وجروحه ما برت
يا ليت يرجع ثاني
كود انسه لي بخت
بيني وبينه معاني
واطباعٍ ما دنت
لو طال ابنا الزماني
حبه بقلبي ثبت
من فرقاهم تراني
عيوني ما غضت
يا طارشي يا عاني
صوب اللي له نعت
بيته عالي المباني
وامثاله اتميزت

كـــــريم ومـــــــرحـــــــبـــــاني
نـــــفســـــه مـــا تــــكـــدرت
يـــــا بــــو رحــــمــــه لك عـــاني
بــــامــــــثـــــال انضــــــمت
أبـــــيـــــاتــــــي والمعـــــاني
هـــــــديــــــــة لك نصت

فهذه مشاكاة من شاعر مرموق وفيها معاناة بالغة وحنين إلى الأيام الماضية فرددت عليها قائلاً:

يـــــا حـــــي مـــــن نـــاداني
يـــــوم الـــنـــــاس اهـــجـــعت
يـــــاب عـــلـــوم الـــبـــياني
واحــــوالــــــه لي جـــــرت
صـــــوت الخوي يـــــعـــــزاني
وعـــــيـــنـــي صـــوبـــه مشت
يَـــهْــلا بـــعـــلـــمٍ لِـــفـــاني
وابــــيـــــاتــــه لي لـــــفت
مـــن ديــرة الشــجــعـــاني
لي يضــــرب فــــيــــهم نــــعت
لي لـــــهـــــم مــــرد الشـــــاني
ولـــهـــم جـــاه وبـــخت
صـــوت الـــهـــاتـــف لـــهـــاني
وابـــــلادي نـــــــورت
يـــوم اســـمـــعت المعـــاني
وابـــيـــاتـــــه لي بـــدت
لـــــه في الشـــعـــر مـــيـــزاني
وابـــيـــاتــــه مـــا خـــفت
يـــذكـــر ســـيـــد الـــغـــواني
وايـــــامــــــه لي مضت
يـــوم الـــهـــوى رويـــاني
والـــدنـــيـــا ازخـــرفت
يـــا بـــو ســــالم تــــراني
لك حـــاضـــر بـــالـــنـــعت

*** ترى هل تحصل على مردود مادي من خلال قصائدك المغناة؟**

■ لم أحصل على أية مبالغ عن قصائدي التي غنيت.. حيث يأخذها الفنان ويتحمل تكاليف الأغنية فإذا نجحت أخذ أرباحها ونحن نأخذ فرحة النجاح فقط! و«يوم نسلم من الدفع زين»!!

*** ما هي آخر تعاوناتك الفنية؟**

■ كثيرة لكن ما يحضرني أن لي أعمالاً جديدة مع الفنان ميحد حمد وخالد محمد وشهاب حمد ومحمد البلوشي وعبيد الزعابي وعلي المحبوب ومحمد حسن وسعيد السالم.

*** وكيف هي نشاطاتك الشعرية؟**

■ لا أزال ألبي الدعوات التي توجه إليّ من قبل الجهات الرسمية وغير الرسمية وأقدم أمسيات شعرية بشكل مستمر والحمد لله، كما أني مستمر في المشاركة في برنامج الجلسة الشعبية التي تبث من خلال إذاعة دبي والذي يقدمه الشاعر راشد شرار كل اثنين والذي يستمر من الساعة السادسة مساء إلى الثامنة من كل أسبوع.

*** ماذا إذا وجهت لك دعوة من قبل مدرسة أو جامعة في أبوظبي؟**

■ ضحك.. وقال «ما يهمك بعدني شباب» ثم قال: أبوظبي داري الذي أتشرف أن أقدم بها أي أمسية وأنا على استعداد للحضور في أي منطقة من إماراتنا وفي أي وقت.

فقبل فترة سعدت جداً بمشاركة أولادنا في (عرس جماعي) أقيم في مدينة الشارقة وقد قدمت خلال أمسية كان لها صدى طيب.

*** وأخيراً .. نريد منك «ختاماً مسكا» للقاء.**

■ *لم يفكر كثيراً .. وإنما ترنم بهذه الأبيات ليكون ختامها مسكاً فعلاً:*

تـــفضـــل يـــا قـــمـــر نـــور سـمـــانـــا
عســـانـــا مـــن جـــمـــالك نســـتـــفـــيد
عســـانـــا مـــنك مـــا نـــقـــطـــع رجـــانـــا
كـــانك تـــبـــاشـــرنـــا بشـــوفك مـــن بـــعـــيد
تـــفضـــل زورنـــا كـــانك تـــبـــانـــا
تـــرى وصـــلك عـــلـــيـــنـــا يـــوم عـــيـــد
عســـى الأيـــام تســـعـــى في رضـــانـــا
نـــعـــيش ويـــاك مـــثـــل مـــا تـــحـــيـــد
نـــعـــيـــد الـــذاكـــرة في مـــلـــتـــقـــانـــا
ونـــبـــدى في المحبـــة مـــن جـــديـــد
وانـــتـــهـــنـــا ونـــطـــرب في هـــوانـــا
ونســـمـــع مـــا بـــدانـــا مـــن قصـــيـــد■

هذا
الميدان
يا حميدان

تواصل تراث طرح مسابقة الشعر الشعبي والفصيح بالتبادل شهريا .. وشهر يوليو هو شهر الشعر الشعبي.

المسابقة هدفها دائما تنشيط القريحة... والتنافس في ميدان برع فيه العرب... وتألق فيه أجدادنا ولأننا على خطى أجدادنا نسير.. فإن تراث تتمنى لو أحيت سوق عكاظ من جديد على صفحاتها.. للتنافس في الإبداع من خلال النظم والصورة والفكرة والمضمون.
تراث في مسابقاتها لا تفرض عنواناً .. وإنما تترك الساحة للشعراء كي يختاروا الميدان الذي يرغبون فيه.. ليبدعوا ويتنافسوا.
مسابقة الشعر الشعبي لشهر يوليو جوائزها:

- المركز الأول: ٧٠٠٠درهم
- المركز الثاني: ٥٠٠٠ درهم
- المركز الثالث: ٣٠٠٠ درهم

وكالعادة .. المسابقة مفتوحة للجميع .. اكتب قصيدتك واقدح قريحتك وسطر أبياتك .. وأرسلها لنا على عنوان أو فاكس المجلة فقد تكون من المبدعين.
الشرط الوحيد الذي وضعناه: أن تكون القصيدة جديدة.. وآخر موعد لتلقي المشاركات هو آخر شهر يوليو ٢٠٠٢م .
اكتب اسمك وعنوانك ورقم هاتفك واسم القصيدة في ورقة منفصلة .. واكتب على المغلف: (مسابقة شهر يوليو للشعر الشعبي). ترسل القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة أو الكمبيوتر. ونعتذر عن عدم قبول أية قصيدة لا تلتزم بذلك.

عنوان المجلة



ص.ب: ٢٧٧٦٥ - أبوظبي، أو على فاكس المجلة: ٤٤٣٠٨٨١ / ٠٢
وهذا الميدان يا حميدان ... وسلمتوا

ملاحظة: لا يحق للفائزين المشاركة في المسابقات مرة أخرى، وسيتم الاتصال بالمرشحين للفوز لمناقشتهم حول قصائدهم المشاركة.

خيــــل الطحاوية

■ سحر أبو رياش

في الشرقية إحدى محافظات بر مصر تسكن ومنذ الفتح الإسلامي قبيلة من أعرق القبائل العربية هي قبيلة الطحاوية، وهم يعودون إلى بني سليم الذين حطّوا برحالهم في مصر ومعهم سلالات عربية أصيلة من الخيل العربي، وقد حافظ الطحاوية على هذه السلالات جيلاً بعد جيل، فأخذت خيلهم هذه الشهرة الواسعة التي تعدت مصر إلى بقية أرجاء الوطن العربي.



الحاج عبد اللطيف الطحاوي

وقد لفت نظري هذا الاهتمام.. فسألت الحاج عبد اللطيف الطحاوي وهو أحد أبناء الطحاوية المشهورين بتربية الخيول فقال: أثناء الفتح الإسلامي جاء بنو سليم مع عمرو بن العاص إلى مصر واستقر الجزء الأكبر منهم في محافظة الشرقية، جالبين معهم بعضاً من السلالات الأصيلة للخيل التي ظلوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل، ويحافظون عليها، ويحفظون أنسابها كما يحفظون أسماءهم، وأغلب ظني أن سبب اشتهار الطحاوية دون غيرهم بتربية الخيول، هو أن معظم القبائل العربية الأخرى استبدلت الخيل بالإبل، مثل بعض القبائل التي سكنت سيناء وحافظت على سلالات نقية من الإبل، ويحفظون أنسابها تماماً كما نحفظ نحن أنساب خيولنا.

وعن أنسابها قال: للأسف الشديد نحن لا نملك سجلات مكتوبة بأنساب خيولنا.. ولكن نحفظ أنسابها شفاهياً، كما نعتمد في هذا الصدد على شهادات مشايخ القبائل الذين يعرفون خيولنا جيداً ويحفظون أنسابها تماماً مثلما نحفظه نحن، لكن ذلك لا يشفع لنا مما يؤدي إلى بخس ثمن الخيول.

فمعظم المشترين يطلبون شهادات نسب معتمدة، وهذا للأسف الشديد غير متوافر لنا، فالجهة الوحيدة التي تملك إعطاء شهادات نسب معتمدة، هي محطة الزهراء لتربية الخيول.

وعن نسب الحصان عندهم قال: إنه ينسب لأمه، وليست للنسب علاقة بالأب، لأن الأم هي التي تنجب، نحن ننسب الابن دائماً لأمه وإن كان هذا لا يعني أننا لا نهتم بالأب فلا بد أن يكون الأب من صَفٍّ جيد، أي من سلالة نقية معروفة النسب.

وعن مواصفات الحصان العربي ذكر عبد اللطيف الطحاوي: أن له مواصفات خاصة، فرأسه صغيرة نسبياً، وبها انحناءة خفيفة في الجبهة، كما أن عيونه كبيرة، أما الحصان الإنجليزي فعيونه صغيرة، والخليط أيضاً عيونه صغيرة. والحصان العربي عيناه بارزتان وكبيرتان وشكلهما جميل، إضافة إلى أن طاقة الخشم لديه واسعة، أما الحصان الإنجليزي فطاقة خشمه ضيقة، وبراطين الحصان العربي مليئة، وعند الإنجليزي ضيقة، والفرس العربي رأسه جميل متناسق مع عينيه عندما تنظر إليه يسرك، أما الخليط المهجن فشكله عكس ذلك. هذا بالنسبة للرأس أما بالنسبة للجسد فالحصان الهجين أو الإنجليزي، جسده أقوى بكثير من الحصان العربي صحة وحجماً، بينما العربي متناسق وحجمه أصغر وظهره قصير، كما أن غزلة ذيله عالية، أقصد أن ذيله مرتفع شيئاً ما من الخلف، وهي ميزة لا يشاركه فيها أي نوع من الخيل على مستوى العالم، ثم إن قوائمه ناعمة ليس بها خشونة، وإذا صادفتِ حصاناً خليطاً وشكله به بعض الجمال، فذلك لأنه به عرق عربي، فلو كان هجيناً صافياً فشكله لن يعجبكِ بالمرة، وقد أدرك مربّو الخيل الإنجليز مغزى ذلك فأخذوا خيلاً عربية من خيلنا وهجنوها وأحسنوا تهجينها، فأنتجت لهم سلالة جيدة، واستطاعوا في نهاية الأمر أن يبيعوا الحصان من هذه السلالة بأسعار فلكية تصل في بعض الأحيان إلى ٦ ملايين دولار.

وعن المواصفات السلوكية للحصان العربي قال الطحاوي: الحصان العربي نبيل ومهذب، بمعنى أنكِ تستطيعين أن تلمسي جسده وتربتي عليه فلا يضركِ ولا يخونكِ، أما الحصان الهجين فيمكن أن يرفسك أو يوقعكِ من فوق ظهره، والحصان العربي صبور وغير ملول، يستطيع أن يتحمل المسافات الطويلة، باختصار يمكنني أن أقول لك بأن صفات الحصان العربي تقترب كثيراً من صفات الإنسان العربي من حيث النبل والصبر والكرم ولين الجانب والإخلاص.■

«صلاح الدين».. في دائرة «المطبعين»!!

■ عبد العال الباقوري

في ثلاثة أعداد متتالية من مجلة «الأهرام العربي»، هي الأعداد ٢٦٩ و٢٧٠ و٢٧١ الصادرة في ١٨ و٢٥ مايو وفي الأول من يونيو الماضيين، قدم الدكتور (عبد المنعم سعيد) مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في مؤسسة الأهرام قراءةً لكتاب (جيمس ريستون الابن)، وعنوانه: «مقاتلون في سبيل الله: صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة»، الذي ترجمه إلى العربية الدكتور رضوان السيد.

في هذه القراءة، بسط الدكتور عبد المنعم تفسيراً مثيراً لتاريخ وكفاح بطل حطين، بحيث بدا وكأنه أحد أبطال سياسة التخاذل والتنازل التي تجري حالياً في المواجهة ضد العدو الصهيوني.. أكثر من هذا، أدخل الدكتور رئيس مركز الدراسات، وبجرأة يحسد عليها، صلاح الدين في دائرة أهل التطبيع، ووصل به الأمر إلى حد الادعاء بأن محرر القدس هو الذي قام بتكوين أول «شرق أوسطية» تقوم على التبادل التجاري الحر!

أقل ما يقال في هذه القراءة إنها رؤية «مغلوطة» و«مقلوبة» على «صلاح الدين»، تضاد وتناقض الحقائق التاريخية التي لا تعرف هذا البطل إلا كلاً متكاملاً لا يباع بالتجزئة وبعيداً عن أي تصورات «ملحمية» و«أسطورية». وفي هذا الإطار التاريخي تبرز استراتيجية «صلاح الدين»، وهي نفسها التي أرسى قواعدها سلفاه الكبيران المجاهدان «عماد الدين زنكي» وابنه «نور الدين محمود».. الأول نقل الصراع الدائر في المنطقة عندئذ بين الدويلات وأمرائها من دائرة الصراع على السلطة إلى كونه «صراعاً حضارياً وقارياً بين عالم العرب وعالم الفرنج». وأكمل «نور الدين» الدائرة بأن النصر في هذا الصراع مرهون بتوحيد بلاد الشام أولاً، ثم توحيد الشام مع مصر.

وهذا ما أنجزه «صلاح الدين»، وانطلق منه لتحقيق النصر: مقاتلاً، ومفاوضاً، ومعاهداً، ومهادناً، ومبدأه الأساسي في ذلك، كما كتبه إلى ريتشارد قلب الأسد: «القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة، فلا يتصور أن ننزل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين. أما البلاد فهي أيضاً لنا في الأصل، واستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من بها من المسلمين في ذلك الوقت. وما أقدركم الله على عمارة حجر منها مادام الحرب قائماً، وما في أيدينا نحن منها نأكل بحمد الله مُغَلِّه وننتفع به» (بهاء الدين بن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) ولو أن الدكتور (عبد المنعم سعيد) تذكر أن «صلاح الدين» لم يزر القدس وهي تحت الاحتلال الفرنجي بل استخلصها من المحتلين، ورفض أن يجتمع مع (ريتشارد قلب الأسد) إلا بعد أن يكون هناك اتفاق على ما سيسفر عنه الاجتماع، فهذه -كما قال له- عادة الملوك، لو تذكر هذا لانهار أمام عينيه بالكامل التفسير الذي حاول نسجه.. لأنه تفسير لا أصل له، ولا رأس ولا قدمين، يقدم صلاحاً آخر غير «صلاح الدين» الذي عرفه العرب والمسلمون والناس كافة من حطين إلى اليوم.■

من قبائل العرب

بنو تميم

■ ميرفت سلطي *

هم بنو تميم بن اد بن طابخه بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان، وطابخه هو لقب واسمه الحقيقي عمرو، وسبب هذه التسمية أنه وأخوه عامر جد قريش سرحا في إبل والدهما وفي أثناء ذلك اصطادا صيداً برياً وقدحا ناراً لطبخ صيدهما فأشغلهما ذلك عن الإبل فتفرقت فقال عمرو لأخيه عامر: أدرك الإبل وأنا أطبخ الصيد، ولما عادا لوالدهما وأخبراه القصة قال لعمرو: أنت طابخه، وأنت يا عامر مدركه، فغلبت الكنيتان على اسميهما ولهما أخ كنيته قمعة واسمه عمير.

منازلهم

ليس لأية قبيلة من قبائل العرب وطن ثابتة حدوده، واضحة معالمه وإنما ينتشرون وينكمشون حسب الظروف الطبيعية والقبلية والاجتماعية وحسب حالة الربيع والغيث وعادة العرب في شد الرحال إلى حيث الربيع وما يصاحب ذلك من حروب على الماء والكلأ، وقد استوطن بنو تميم في نجد في مناطق مثل الوشم والسر والتسرير ووادي سدير (الفقي) وحوطة بني تميم والساحل الشرقي (بيرين) والصمان والدهناء وحايل وفي دول الخليج مثل قطر وعمان والإمارات والبحرين والكويت وإيران والعراق وفي مصر، ويوجد في منطقة عسير قبائل من تميم في بلاد رفيده وغيرها، ويوجد في اليمن قبائل يعفر المعروفة وهي من سلالة المعافر بن يعفر بن مر بن اد وهو ابن أخ لتميم حيث إن تميم هاجر في آخر حياته إلى اليمن. دخل الكثير من أفراد هذه القبيلة مع قبائل أخرى مثل عتيبة وسبيع وشمر وحرب وغيرهم. استوطن بنو بتميم بعد الفتوحات الإسلامية في مصر وانتشر أغلبهم في صعيد مصر وهناك قرى مشهورة لبني تميم مثل تل بني تميم مركز شبين القناطر التابع لمديرية القليوبية في مصر السفلى وقرية بني مر في مصر العليا.

صفات بني تميم

من صفات التميمي الشدة في الحق والصدع به حتى لو جاء من وراء ذلك أشد العواقب من غير عناد ولجاجة فهو سريع الاعتراف بالحق على نفسه إذا ثبت له أن الحق مع الطرف الآخر، وأبلغ مثال على ذلك عندما وفدوا على رسول الله ﷺ قالوا له: هذا خطيبنا وهذا شاعرنا فتعال نفاخرك، ورد عليهم الرسول ﷺ وطلب من حسان الرد عليهم بالشعر فاعترفوا له أن خطيبه أفضل من خطيبهم وشاعره أفضل من شاعرهم بدون مكابرة وبايعوه.

ومن صفاتهم الاعتداد بأنفسهم ونسبهم وعدم الخضوع أو التزلف إلى أحد ويرون ذلك عيباً ومنقصة. ومن صفات بني تميم الوفاء وضرب بهم المثل في الوفاء في الجاهلية فإذا عاهدك التميمي فلا تخشى غدره.

ومن صفات التميمي أنه يأتي بالرفق واللين، أما إذا حاولت أن تجبره على ما لا يقتنع به فقد أتعبت نفسك فيما لا طائل منه، فهم يأبون الضيم والخضوع لمن يحاول أن يستهين بهم ومثال ذلك مناظرة الأحنف مع معاوية وهو من المكرمين عنده، فعندما قام يلومه في نصر علي رضي الله عنه رد عليه برد قاس بدأه بمناداته يا معاوية مثل ما ناداه معاوية يا أحنف، فلما ترفق معه معاوية وقال له عهدتك حليماً يا أبا صخر أجابه ليس على الند يا أمير المؤمنين، وكانت ابنته تسمع وتستغرب هذا الرجل الذي يرد على الخليفة بهذا الأسلوب فقال معاوية: هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف فارس من تميم لا يسألونه فيما غضب.

ومن صفات التميمي الحلم حتى ضرب المثل بالأحنف وقيس بن عاصم وشهد لهما ابن رشيد بحلمهما وأنهما بطيئا الغضب.

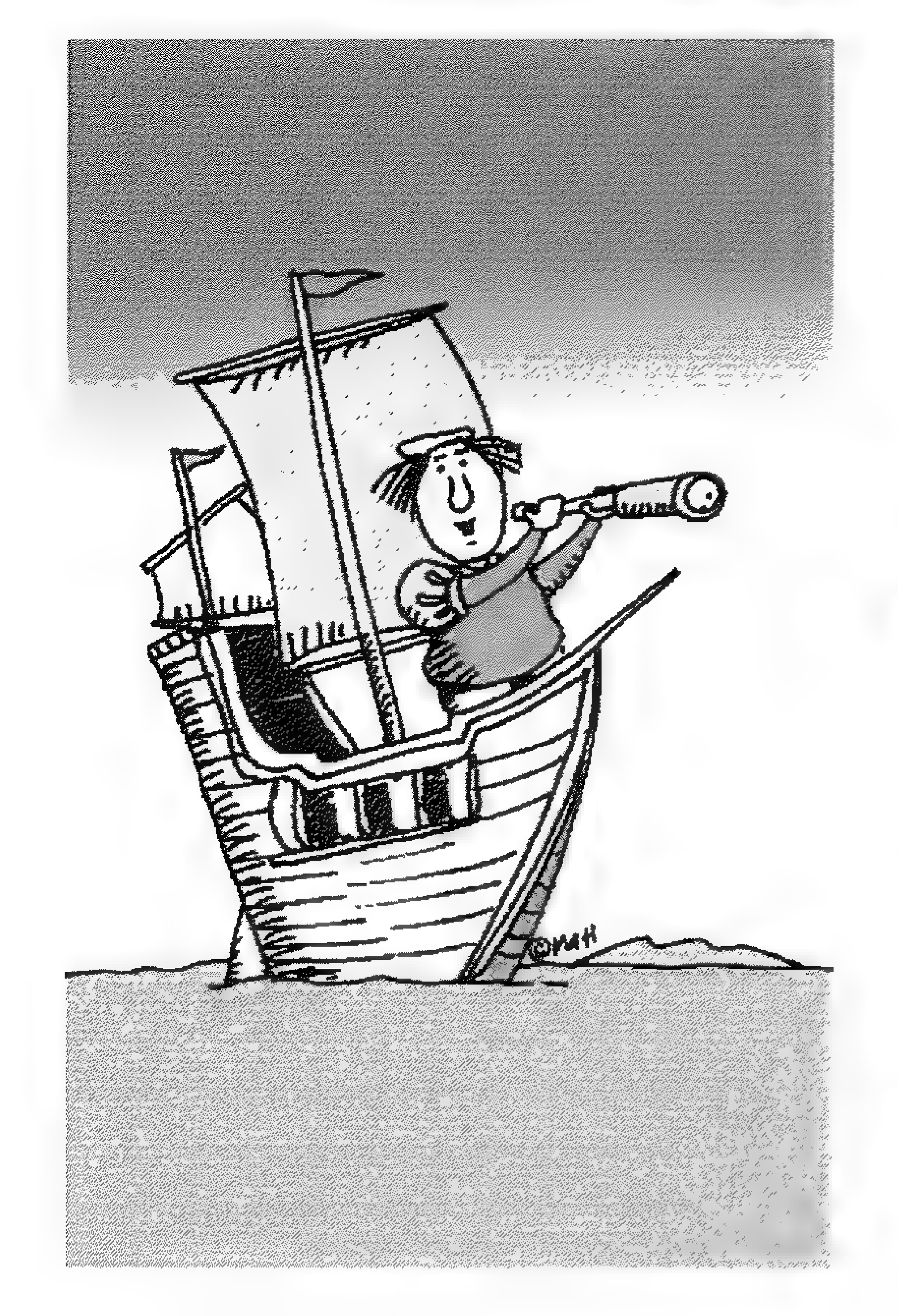
دخل دغفل النسابة على معاوية فقال له أخبرني عن تميم وتاريخها قال: كانوا أعز العرب قديماً وأكثرها عظيماً وأمنعها حريماً وأحلمها حليماً وقد اشتهروا في الجاهلية بعزة نفوسهم وجعلت أكثر القبائل تخشى بأسهم وتحسب لهم ألف حساب حتى إن ملوك الغساسنة تخشى سطوتهم وقد حدثت بينهم وبين ملوك الغساسنة والمناذرة والفرس عدة حروب سجلها لهم التاريخ.

وقد حرص الكثير من مشاهير العرب على مصاهرة بني تميم وعلى سبيل المثال، تزوج علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه من ليلى بنت مسعود الدارمية من بني حنظلة، وتزوج ابنه الحسن رضي الله عنه من أم حبيب بنت عمرو بن الأهتم، وتزوج شريح القاضي زينب بنت حدير التميمية وأوصى بمصاهرتهم الشعبي وغيره.

زوجة شريح القاضي

قال الشعبي: إن شريحاً القاضي قال له بعد زواجه من تميمية: يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء، فقلت: وكيف هذا، قال: مررت بدور لبني تميم فإذا بامرأة جالسة على وساد وتجاهها جارية كأحسن ما رأيت فاستقيت، فقالت: أي الشراب أعجب لديك؟ فقلت: ما تيسر، قالت: اسقوا الرجل لبناً فإني أخاله غريباً، فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتني فقلت: من هذه؟ قالت: بنتي، قلت: ومَن، قالت: زينب بنت حدير من بني حنظلة، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجينيها، قالت: نعم إن كنت كفاء. فتركتها ومضيت إلى منزلي لأقيل فيه فلم يطب لي مقيل، فلما صليت أخذت بعض إخواني من أشراف العرب فوافيت معهم صلاة العصر فإذا عمها جالس فقال: أبا أمية ما حاجتك؟ فذكرت له حاجتي وزوجني وبارك القوم لي ثم نهضنا فما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها وتذكرت نساء تميم وغلظ قلوبهم فهممت بطلاقها ثم قلت أجمعها فإن لاقيت ما أحب وإلا طلقتها وأقمت أياماً ثم أقبل نساؤها يهادينها فلما أجلست في البيت قلت: يا هذه إ من السُنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي هي كذلك وقمت أصلي ثم التفت ورائي فإذا هي خلفي تصلي فلما انتهيت أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي إلى ناحيتها فقالت: على رسلك، فقلت في نفسي إحدى الدواهي منيت بها، فحمدَت الله وصلَّت على النبي ﷺ وقالت: إني امرأة عربية ولا والله ما سرت سيراً قط إلا لما يرضي الله وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدثني بما تحب فآتيه وما تكرهه فاجتنبه، فقلت لها أحب كذا وكذا وأكره كذا، قالت: أخبرني عن أصهارك أتحب أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاض وما أحب أن يملوني، فقمت بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثاً ثم خرجت إلى مجلس القضاء فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله حتى كان رأس الحول ودخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى فقلت: يا زينب من هذه؟ قالت: أمي، قلت: مرحباً، فقالت: يا أبا أمية كيف أنت وحالك؟ قلت بخير أحمد الله، قالت كيف زوجتك؟ قلت كخير امرأة وأوفق قرينة لقد ربّيت فأحسنت التربية وأدّبت فأحسنت التأديب، فقالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالتين، إذا حظيت عند زوجها وإذا ولدت غلاماً، فإن رابك منها ريب فالسوط فإن الرجال ما حازت في بيوتها شراً من الورهاء المدللة، وكانت كل حول تأتينا مرة واحدة ثم تنصرف بعد أن تسألني كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ وأجيبها حيث شاؤوا فمكثت معي عشرين سنة لم أعب عليها شيئاً وما غضبت عليها قط.■

* مركز زايد للتراث والتاريخ



قــراءة فــي سجلاّت رحلات كولومبوس إلى العالم الجديد

■ رجب سعد السيد

كان كريستوفر كولومبوس يقف على الشاطئ الأوروبي، ويفكِّر: ماذا وراء هذه المياه، التي تبدو ممتدة إلى ما لا نهاية؟.. هل صحيح أن الأشباح تسكنها؟.. يقولون إن خلفها نهاية العالم، فإذا فكَّر أحد أن يتوغل فيها، فسوف ينتهي إلى هوَّة هائلة تبتلعه..! ولكن هذه القصص لا تتفق مع المفهوم الجديد عن كروية الأرض، هي - إذن - لا تزيد عن مجرد خرافات يرددها الذين يخافون من البحر.. أمَّا أنا، فأحلم باقتحام هذا المجهول.. لديَّ خططي وأفكاري، ولكنني عاجز عن تنفيذها، لأنني لا أملك المال لبناء السفن وتجهيزها بالرجال والعتاد!

والحقيقة، أن كولومبوس لم يكن مجرد مغامر حالم.. فقد كان مسلَّحاً بخبرة عملية واسعة بالبحر وفنون الملاحة البحرية، إذ أنه ركب البحر في الرابعة عشرة من عمره؛ ويُروى أن السفينة التي كان يعمل عليها احترقت، فلم ينج من بحارتها إلا من ألقوا بأنفسهم في لُجَّة اليمِّ، وكان من بينهم كولومبوس، ولولا أنه كان سبَّاحاً ماهراً، لما كتبت له النجاة، إذ سبح لمسافة ستة أميال، في بحر مضطرب، حتى بلغ الشاطئ. وبالإضافة إلى الخبرة العملية، كان كولومبوس مطَّلعاً على معارف وثقافة عصره؛ وكان حموه - والد زوجته - حاكماً لواحدة من جزر البرتغال، وكان يمتلك مجموعة من الخرائط والوثائق البحرية، عكف كولومبوس على دراستها، فساعدت في بلورة أفكاره الجديدة، لاقتحام المحيط المجهول، والوصول إلى الشرق الساحر، بالإبحار غرباً.!

أخيراً، نجحت مساعي كولومبوس، وتمكن من مقابلة ملك البرتغال، وقال له إن طرق التجارة البرية، بين الشرق والغرب، طويلة جداً، ويتعرّض المسافرون فيها للعديد من الأخطار، ويتكبدون المشاق، فتأتي معهم بضائع الشرق، مثل الكافور والقرفة والفلفل وجوزة الطيب والقرنفل والحرير، إلى أوربا، وقد ارتفعت تكلفتها، فتباع بأسعار مرتفعة.

قال له الملك: هذا حقيقي .. فماذا تقترح؟

فبدأ كولومبوس يشرح له أفكاره وقال له: بدلاً من الاتجاه إلى الشرق براً - يا مولاي - تأخذنا إليه السفن في المحيط الكبير.. ولأن الأرض كروية، فلا بدّ أن هذا المحيط ينتهي عند بلاد الشرق.. الهند والصين واليابان!

تردد الملك قليلاً، وسأل مستشاريه، فقالوا له إن كولومبوس معتوه.!

لم ييأس كولومبوس، وحمل أفكاره ومشروعه إلى الملكة (إيزابيلا)، ملكة أسبانيا، التي كانت تطمع في الوصول إلى الشرق بسحره وذهبه وتوابله، فوافقت

على تمويل رحلة ذلك البحّار البرتغالي المغامر إلى الشرق، بحرا.

وفي الثالث من أغسطس ١٤٩٢، بدأ كولومبوس مغامرته التاريخية، ومعه مائة رجل، على ثلاث سفن، هي الـ(نينا) والـ(بنتا) و(سانتا ماريا)؛ وكانت الأخيرة هي سفينة القيادة.

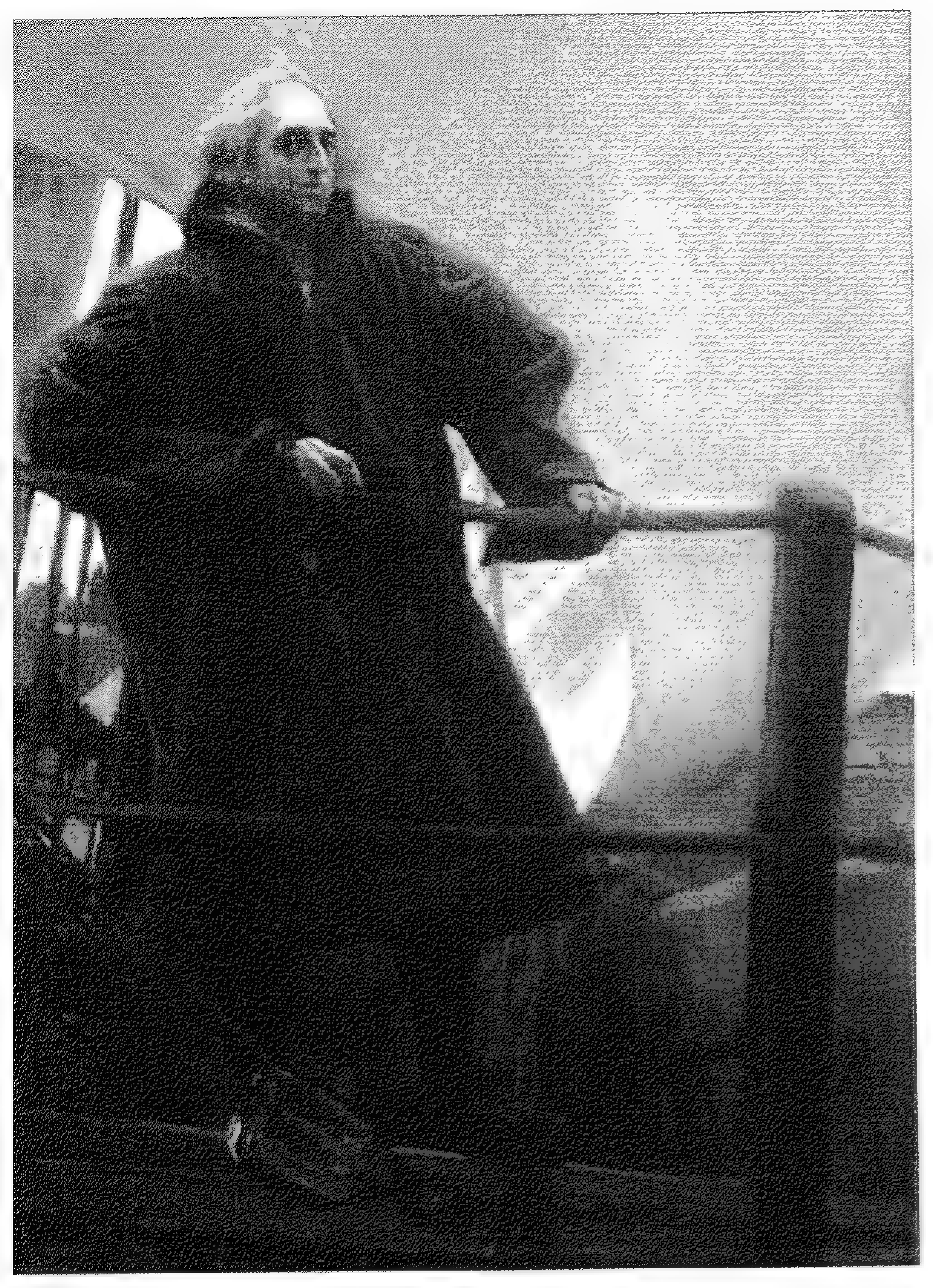
وكانت الملكة إيزابيللا قد كلّفت كولومبوس بأن يسجّل ويصف مشاهداته في يوميات للرحلة، كما فعل من قبله رحّالة اسمه (ماركوبولو)، الذي كان قد قام برحلة إلى شرق آسيا، عن طريق البر، وكتب تقريراً عن رحلته، عامراً بالغرائب والحكايات العجيبة.

وثمة كتابات عديدة حول شخصية كريستوفر كولومبوس، تصوره بعضها كمستكشف وبطل حقق للبشرية إنجازاً كبيراً؛ فقد كان يقصد فتح طريق بحري لتجارة الشرق، فاكتشف - دون أن يدري - أرضاً جديدة، هي القارة الأمريكية الشمالية، والقارة الأمريكية الجنوبية، (والأمر العجيب أن كولومبوس مات وهو يعتقد أن الأرض التي عبر المحيط إليها هي جزر الهند الغربية)؛ بينما لا يرى بعض المؤرخين في كولومبوس إلاّ غازيا، ويجدونه أسوأ من (أتيلا) زعيم التتار، ومن (هولاكو) المغولي، ومن هتلر!.

على أي حال، لا يهمنا من كولومبوس، في هذا المجال، إلاّ أن نتابعه في رحلاته الاستكشافية، من خلال سجلاّت رحلاته، التي احتوت على ما رآه بنفسه من غرائب في البحار التي أبحر فيها إلى المجهول، وفي الجزر التي وطأت أرضها قدماه.

مرّت الأيام على كولومبوس ورجاله، في رحلتهم الأولى، بطيئة.. لقد ظلوا مبحرين لمدة ٤٣ يوماً، لا يرون غير البحر والسماء. وفجأةً، انطلقت صيحة من أحد الرجال المكلّفين بالمراقبة على سطح السفينة (نينا)، فأسرع جميع البحارة يمسحون الأفق بعيونهم؛ ولكن.. أين هي الأرض؟. لا أرض. كان المراقب يشير إلى طائر بحري عريض الجناحين، يلتقط غذاءه من الأسماك، من بين الأمواج. كان ظهور الطائر البحري فألاً طيباً للبحارة.. إنه، على أي حال، أول كائن حي يقابلونه منذ بدأت الرحلة. وها هو طائر آخر يحوم فوق سطح المحيط، مختالاً بريش نيله الطويل المقوّس. كانت أوامر كولومبوس لجميع بحارته أن يراقبوا ويسجلوا ما يرونه من طيور بحرية وأعشاب وطحالب طافية، أو أية ظاهرة طبيعية تدل على أنهم يقتربون من الأرض.

رأى كولومبوس الطائر طويل الذيل، فعرفه على الفور، فقد سبق أن رآه في رحلة على متن أسطول



كولومبوس على ظهر سفينته

تجاري على سواحل غينيا. أطلق عليه اسم (ذي الذيل القصبة). وسجّل كولومبوس في دفاتره نوعاً آخر من الطيور، سمّاه (الخطّاف ذا المنقار الأحمر)؛ وسجّل في ملاحظاته عن الطائرين أن كلاًّ منهما خبير بفنون صيد الأسماك، ولكنه لا يجيد فنون القتال، فلا يستطيع الدفاع عن نفسه إذا هاجمه الطائر البحري الضخم المعروف باسم (الفرقاطة)، والمعروف عنه أيضاً أنه يهوى سرقة محصول الطيور الأخرى من الأسماك!

ولم يكن كولومبوس يعرف أنه يقترب من أرض غير موجودة على أي من خرائط ذلك الزمان.. إذ أن أحداً في أوربا، أو في أي مكان آخر من الأرض لم يكن ليعرف شيئاً عن قارتي أمريكا (الشمالية والجنوبية) الموجودتين حالياً. كانت تلك الخرائط تحتوي على

مساحات ضخمة من مياه المحيط، ممتدة بين غرب أوربا وشرق آسيا، وقد تناثرت فيها بعض الجزر التي لم يرها أحد، ولكن جاء ذكرها في روايات منقولة، مليئة بالغموض.

إذن، ها هو الشرق يقترب من كولومبوس، بكل ما يكمن فيه من سحر، وبقصوره الرخامية، وأسواقه المملوءة بأكوام الذهب والتوابل والحرير، وغيرها من الأعاجيب.. ها هي أرض الشرق تقترب!

ويسجل كولومبوس، في يوميات السادس عشر من سبتمبر ١٤٩٢م، شيئاً لفت انتباهه بشدة.. فقد كانت المياه المحيطة بسفنه مغطاة بحشود، أو كتل ضخمة من الأعشاب البحرية، التي انتشرت بكثافة عالية في مساحة كبيرة من المحيط، وكانت تأخذ ألواناً تميل إلى الأصفر والبني والأخضر.. وفي اليوم التالي، سجّل كولومبوس أول حيوان بحري يقابله في رحلته، وكان سرطاناً بحرياً صغيراً، يتوارى بين الأعشاب الكثيفة. ولم يعط كولومبوس أسماءً للعشب أو للسرطان البحري، ولكن المنطقة من المحيط التي رآها مكتظة بالأعشاب تعرف الآن باسم (بحر السارجاسّو)، وهي تسمية برتغالية، معناها الأرض المغطاة بالنباتات.

كان لبعض الأعشاب لون أخضر زاهٍ، كما لو كان قد انتزع حديثاً من تربة قوية... فهل ثمة دليل، أقوى من هذا، على أن الأرض تقترب..؟! هكذا فكّر كولومبوس، وقد استند على هذا الدليل في تهدئة رجاله، وكان يشعر بأن بعضهم قد أوشك على التمرُّد، بعد أن طال بعدهم عن الأرض، بل إن بعضهم بدأ يطالبه بالعودة إلى الوطن.. كان كولومبوس واثقاً من نفسه وهو يؤكد لهم أن الأرض ستظهر بعد ثلاثة أيام. وفعلاً.. صدقت فراسة كولومبوس، وفي الموعد الذى حدده، سمع صياح الرجال على ظهر السفينة (بنتا): الأرض.. الأرض!!

وفي نهاية نهار الثاني عشر من أكتوبر ١٤٩٢م، رست سفن كولومبوس الثلاث أمام إحدى جزر الباهاما.. وعندما رأى البحارة أرض الجزيرة، توقعوا أن يندفع إليها قائدهم، فقد طال شوقهم إلى الأرض: ولكنهم فوجئوا بكولومبوس ينتظر حتى صباح اليوم التالي، ويسلك طريقاً طويلاً، غير مباشر، في الوصول إلى الجزيرة. لم تكن لهم خبرة قائدهم، الذي كان عليماً بالشعاب المرجانية الخطيرة، فانتظر حتى بداية النهار، ليتمكن من اختيار ممرات آمنة لسفنه، بعيداً عن القمم المدببة للشعاب المرجانية!

وفي تلك الجزيرة، لم يسجل كولومبوس أنه رأى حيوانات غير الببغاوات. ولقد سرّه أن يجد هذه الببغاوات، فقد كان لدى الأوروبيين، بصفة عامة، اعتقاد بأنه حيث توجد الببغاوات يوجد الذهب.!! ولمّا رأى أهل الجزيرة مدى شغف كولومبوس بالببغاوات، قدموا له هدية، عبارة عن ببغاء في قفص، فأسعده ذلك كثيراً؛ فتتابعت هداياهم من نفس النوع. ولما عاد كولومبوس إلى أسبانيا، في شهر مارس من السنة التالية، حمل معه أربعين ببغاء.

وقد رُوِّع كولومبوس حين رأى نوعاً ضخماً من السحالي، يحمل على ظهره بروزات قرنية قوية؛ وسجل كولومبوس في يومياته أن معركة شرسة دارت بين تلك السحلية وبعض من بحارته، انتهت بأسر السحلية وسلخها؛ وحمل كولومبوس جلد ذلك المخلوق العجيب، إلى أسبانيا، لتراه الملكة إيزابيللا.

وفي أبريل من العام ١٤٩٣، بعد شهر من عودة كولومبوس إلى أسبانيا، أقيم احتفال كبير لتكريمه، حيث أغدقت عليه الملكة إيزابيللا الأموال والألقاب؛ كما أعدّت له أسطولاً جديداً، مكوَّناً من سبع عشرة سفينة، ليقوم برحلته الثانية إلى الأرض الجديدة التي اكتشفها..

وقد بدأت الرحلة الثانية في الخامس والعشرين من سبتمبر ١٤٩٣م؛ وتشير سجلات هذه الرحلة إلى استمرار كولومبوس في تنفيذ أوامر الملكة إيزابيللا برصد وتسجيل مشاهداته اليومية... فيصف – في جزيرة كوبا – نوعاً كبير الحجم من الحمام، له زوائد فوق رأسه، تشبه التاج الأبيض، ونوعاً من الطيور الضخمة التي نعرفها الآن باسم (البشاروش)، وأنواعاً من الغربان والنسور والصقور، وطيوراً أعطاها اسم (الحجل).

ويتساءل كولومبوس في يوميات الرحلة الثانية: أليست هذه الأرض امتداداً للشرق؟.. أين – إذن – الملوك والأمراء الذين تروى عنهم الحكايات العجيبة؟.. وأين القصور الساحرة وأكوام الذهب والتوابل؟... إنه لم يجد شيئاً مما كان يحلم به .

وسرعان ما بدأت المشاكل تواجه كولومبوس، متمثلة في الأمراض التي تعرَّض لها رجاله، والسخط وحالات التبرّم التي كانت تنتابهم، بالإضافة إلى ما كانوا يدبرونه،فيما بينهم، من مكائد ودسائس. واشتدت تلك الأمور المزعجة في الرحلة الثالثة، التي بدأت في ٣٠ مايو من العام ١٤٩٨م، وانتهت في ٣١ أكتوبر ١٥٠٠م؛ وامتدت إلى الرحلة الرابعة والأخيرة، التي بدأت في ٩ مايو ١٥٠٢م، وانتهت في ٧ نوفمبر ١٥٠٤م. ولكن تلك المنغصات لم تكن لتمنع كولومبوس من تدوين مذكراته وملاحظاته عن مشاهداته في الأرض الجديدة.. ويبدو



نموذج لإحدى السفن التي أبحر فيها كولومبوس لاكتشاف العالم الجديد

أنه كان يجد في هذه الكتابات متعة.

وقد تمكن كولومبوس، في رحلته الثالثة، من الوصول إلى أراضي أمريكا الجنوبية، حيث رست سفنه في خليج كان يسمى (خليج باريا)، وهو الآن جزء من دولة (فنزويلا)، فوجد الأهالي يستقبلونه بترحاب واضح، ويتبادلون معه السلع، فكانوا يعطونه اللآلئ مقابل أي شيء يقدمه لهم مما حملته سفنه. وسرعان ما تكوّنت لكولومبوس شحنة كبيرة من اللؤلؤ، بادر بإرسالها إلى أسبانيا. وقد سجل كولومبوس، في هذه الرحلة الثالثة، مشاهدته للديك الرومي، الذى كان يسميه بالطاووس.. والحقيقة أنه لم يميز بين الديك الرومي والطاووس إلاّ في سجلات الرحلة الرابعة، حيث أطلق على الديك اسم (الدجاجة الكبيرة)؛ وقال عنه: إن ذلك النوع الجديد من الدجاج أشهى مذاقاً من دجاجنا!

وقد انتهت رحلة كولومبوس الرابعة نهاية حزينة، إذ هبت على أسطوله عاصفة شديدة، أمام شاطئ جامايكا، وتحطمت سفينتان؛ وطلب كولومبوس العون من أهالي تلك المنطقة، فرفضوا. وكان الرجال الذين غرقت سفينتاهم يعانون الجوع والإرهاق، فلجأ كولومبوس - الذي لم يكن يخلو من دهاء - إلى خبرته ومعلوماته الفلكية، يستغلها لدفع الأهالي إلى إمدادهم بالطعام.. لقد كان يعلم، من حساباته الفلكية، أن موعد خسوف القمر وشيك، بل إن تلك الحسابات حددت الموعد في الليلة القادمة؛ فأرسل المغامر البحري المحنَّك إلى الأهالي، يحذِّرهم ويتوعَّدهم، بأنه سوف يجعل القمر يختفي إلى الأبد، إذا لم يزوِّدوه ورجاله بالطعام.

سخر الأهالي من تحذيره؛ ولكنهم فوجئوا بالقمر يختفي، فعلاً.. فقد بدأ الخسوف؛ فانتابهم ذعر شديد، وتأكد لهم صدق تهديدات كولومبوس، وأنه قادر - حقاً - على إخفاء القمر؛ وأسرعوا يقدمون له الطعام، ويرجونه أن يبعد عنهم غضبه، فوعدهم خيراً!! وتلاشت الظلال عن وجه القمر، فعاد مضيئاً، لأن تلك الظاهرة الطبيعية المؤقتة - الخسوف - كانت قد انتهت.. ولكن جهل الأهالي البسطاء صوَّر لهم أن لعنة كولومبوس قد زالت عندما استجابوا لمطالبه.. ولم يعودوا يرفضون له طلباً!!.■

الرومانسية في زمن لاهث

بقلم: ظاعن شاهين *

هل يحتاج إنسان اليوم إلى لغة الرومانسية بعد أن تبدلت المقاييس والمعايير، وتغيرت ملامح وقسمات وجه العالم، وأصبح يلهث صباح مساء دون انقطاع وراء عالم لا يرى أو يحس أو يتكلم.

اختصر الإجابة وحدي نيابة عنكم جميعاً، وأصرخ بأعلى صوتي، كما يفعل المراهقون والعشاق أحياناً، فأقول: نعم بملء الفم.. فكم نحن في حاجة إلى عالم يتسع لمشاغباتنا، وصراخنا، وجنوننا البريء، وكم نحن في حاجة أكبر إلى عوالم حب تهز كياننا بعد أن أرهقتنا العوالم الصناعية بكل ما هو مزيف.

لقد أصبحت العودة إلى الماضي البعيد، حيث راحة البال، والبساطة، والهدوء، ومصالحة النفس، والقصص الشفيفة الحالمة، مطلباً عالمياً، قبل أن تنفرد به جماعة على أخرى، فوجدنا إحياء مثيراً لكل ما هو قديم وعتيق.

ومثلما نقول جميعاً في أمثالنا الجميلة «اللي ما له أول ما له ثاني» تأتي نكهة ورائحة العشق القديم معبرة عن زمن غادرنا ونحاول الآن أن نتشبث به لعله يرأف بحالنا، فللقديم نكهة أخرى مهما حاولنا أن نستنسخها لا نستطيع.

ومن يدقق في التراث العربي في هذ االزمن اللاهث على وجه الخصوص يجد تلك اللغة الغائبة، ويبحر عبر سفينة التراث الذي قلما أن جادت به حضارة سابقة أو لاحقة إلى عوالم شفيفة ساحرة مثيرة، تلعب التجربة الإنسانية فيها أدوار البطولة، فهل نبحر لنرى ونستحضر تلك المواقف؟

يحكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كُثير الخبر، فقال: والله لأحجّن لعلّي أفوز من عزّة بنظرة، وبينما الناس في الطواف نظر كُثير لعزّة وقد مضت إلى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت: حييت يا جمل، فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال:

حـيّـتك عـزّة بـعـد الحج وانصـرفت	فـحـيّ ويـحك مـن حـيّـاك يـا جـمـل
لـو كـنت حـيـيـتـهـا مـا كـنت ذا سـرف	عـنـدي ولا مسك الادلاج والـعـمـل

فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له: من تكون يرحمك الله، قال: أنا كُثير عزّة، فمن أنت يرحمك الله، قال: أنا الفرزدق بن غالب التميمي، قال: أأنت القائل:


رحـلـت جـمـالـهـم بـكـلّ أسـيـلـة	تـركـت فـؤادي هـائـمـاً مخبـولا
لـو كـنت أمـلـكـهـم إذا لم يـرحـلـوا	حـتـى أودع قـلـبـي المتبـولا
سـاروا بـقـلـبـي في الحدوج وغـادروا	جسـمـي يـعـالـج زفـرة وعـويـلا

قال الفرزدق: نعم، فقال كُثير: والله لولا أني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع بها هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه، فقال الفرزدق: والله لأعرّفن بذلك هشاماً ثم تَوادعا وافترقا، فلما وصل الفرزدق إلى دمشق دخل إلى هشام فعرّفه بما حدث مع كُثير، فقال له: اكتب إليه بالحضور عندنا لنطلّق عزّة من زوجها ونزوجه إياها.. فكتب إليه بذلك، فخرج كُثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلاً رأى غراباً على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه، وارتفاع من ذلك وجد في السير، ثم مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير، فبصر به شيخ من الحي فقال: يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئاً فراعك؟ قال: نعم يا عم، رأيت غراباً يتفلى وينتف ريشه، فقال الشيخ: أما الغراب فإنه اغتراب، والبانة بين، والتفلي فرقة، فازداد كُثير حزناً على حزنه، ومضى إلى أن وصل دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم، فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كُثير عن هذا اليوم، فقال: ما هذا اليوم يا سيدي؟ فقال: إن هذه عزّة قد فرقها الموت وهذه جنازتها فخر مغشياً عليه.
فلما أفاق أنشأ يقول:

فـمـا أعـرف الـفـهـدي لا درّ درّه	وأزجـر لـلـطـير لا عـز نـاصـره
رأيت غـرابـاً قـد عـلا فـوق بـانـة	يـنـتـف أعـلـى ريشـه ويـطـايـره
فـقـال غـراب اغتراب مـن الـنـوى	وبـانـة بين مـن حـبـيب تـعـاشـره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزّة في يوم واحد.■

* نائب رئيس التحرير التنفيذي – جريدة البيان



البارجيل

إطلالة على العدد القادم

- ملف عيد الجلوس
- المسرح العربي القديم كما يراه المستشرقون
- الحلي في دبي قبل ثلاثة آلاف عام
- ١٢٦ عاما على صدور جريدة الأهرام
- يوم النهر.. ويوم الطين..ويوم الثلج
- .. وآثار فلسطين تحت الحصار

